الغنية

لطالبي طريق الحق عز وجل

(في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية)

تأليف

الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني

المتوفى سنة ٥٦١ هـ

وضع حواشيه

أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة

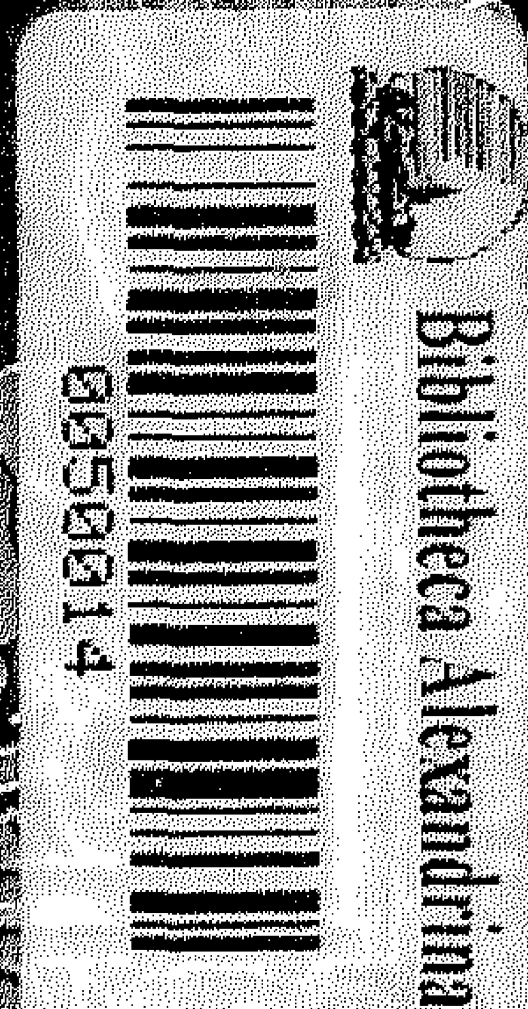
الجزء الثاني

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



الفهرس

الموضـــــوع الصفحة

مجلس فى فضائل شهر رمضان ٥
(فصل) اختلف الناس فى معنى قوله رمضان ٧
(فصل) فى قوله عز وجل: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن﴾ ٨
(فصل) فيما يختص بشهر رمضان من الفضائل ٩
(فصل) أخبرنى أبو نصر عن والده بإسناده أن النبى ﷺ قال: «إن الجنة لتتجدد وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان» ١١
(فصل) رمضان خمسة أحرف ١٥
(فصل) إن آدم سيد البشر (وذكر السادة من كل شىء) ١٥
(فصل) فى فضائل ليلة القدر ١٦
(فصل) وتلتمس ليلة القدر ١٨
(فصل) هل ليلة الجمعة أفضل من ليلة القدر ١٩
(فصل) لماذا لم يطلع الله عباده على ليلة القدر ٢٠
(فصل) أعطى الله المصطفى خمس ليالى ٢٠
(فصل) والأمارة فى أنها ليلة القدر ٢٣
(فصل) فى صلاة التراويح ٢٣
(فصل) ويستحب لها الجماعة والجهر ٢٥
(فصل آخر) يختم به ما يتعلق بليلة القدر وجميع شهر رمضان ٢٦
مجلس فى ذكر يوم الفطر ٢٨
(فصل) وإنما سمى العيد عيداً ٢٩
(فصل) وأربعة أعياد لأربعة أقوام ٣٠
(فصل) يشترك المؤمن والكافر فى العيد ٣٤
(فصل) ليس العيد بلبس الناعمات ٣٤
مجلس فى فضائل إيام العشر ٣٦
(فصل) فيما ورد فى عشر ذى الحجة من كرامات الأنبياء ٣٨
(فصل) وأما الصلاة الواردة فى أيام العشر ٤٠
(فصل) والعشر لخمسة أنبياء عليهم السلام ٤١
(فصل) من أكرم هذه الأيام العشرة أكرمه الله ٤٢

الموضـــــوع	الصفحة
(فصل) وقد أقسم الله تعالى بالفجر وليال عشر	٤٣
مجلس فى ذكر يوم التروية	٤٥
(فصل) فى فضل من أحرم بالحج	٤٦
(فصل) واختلفوا فى تسمية يوم التروية	٤٩
مجلس فى فضائل يوم عرفة	٥٢
(فصل) قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾	٥٣
(فصل) واختلفوا لم قيل للموقف عرفات، وليوم الوقف عرفة	٥٤
(فصل) فى شرف يوم عرفة وليلته	٥٦
(فصل) فى تفضيل صيامه وما ورد فيه من الصلوات والدعوات	٥٩
(فصل) ما اختص به ﷺ من الدعاء عشية عرفة	٦٢
(فصل) فى دعاء جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر وإلياس عليهم السلام عشية عرفة	٦٣
(فصل) أكثر دعاء المسلم فى الموقف	٦٤
مجلس فى فضائل يوم الأضحى ويوم النحر	٦٧
(فصل) فأما الذكر	٦٨
(فصل) وأما الدعاء	٧١
(فصل) وأما النحر	٧٤
(فصل) فى فضيلة يوم النحر والأضحية	٧٧
(فصل) فى صلاة ليلة الأضحى	٧٩
(فصل) والأضحية سنة	٧٩
(فصل) وأفضلها الإبل	٧٩
(فصل) فى ذكر أيام التشريق	٨١
(فصل) وقد سمى الله عز وجل أشياء فى القرآن ذكراً	٨٣
(فصل) واختلف لِمَ سميت أيام التشريق	٨٤
(فصل) واختلف فى قدر التكبير فى هذه الأيام	٨٤
(فصل) وإن كان محرمًا	٨٥
(فصل) مثل التكبير فى الأضحى فى الفطر	٨٦
مجلس فى فضائل شهر عاشوراء	٨٧
(فصل) واختلف العلماء رحمهم الله فى تسميته بيوم عاشوراء	٩٠

الموضـــــــوع الصفحة

(فصل) واختلفوا فى أى يوم هو من المحرم ٩٢
(فصل) من فضائل عاشوراء أن الحسين (رضى الله عنه) قتل فيه ٩٢
(فصل) وقد طعن على من صام هذا اليوم ٩٣
مجلس فى فضائل يوم الجمعة ٩٥
فى فضائل يوم الجمعة من طريق الآثار ٩٦
(فصل) من اغتسل يوم الجمعة ثم راح ١٠٠
(فصل) أتانى جبريل فى كفه كمأة بيضاء ١٠٣
(فصل) فى يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد يدعو الله إلا استجيبت دعوته ... ١٠٥
(فصل) فى الصلاة على النبى ﷺ فى يوم الجمعة ١٠٧
(فصل) فيما تستحب قراءته فى الصبح يوم الجمعة ١٠٨
(فصل) فى تسميته بيوم الجمعة ١٠٩
(فصل) وجميع ما ذكرنا لا يقبل إلا بعد التوبة ١٠٩
(فصل) وأما الإخلاص ١١٠
(فصل) وينبغى لكل متعبد ١١٣

[القسم الرابع: فى فضائل الأعمال]

(باب) فى ذكر فضـائل أيام الأسبوع والأيام البيض ومـا ورد فى صيام ذلك من التخصيص وذكر أوراد الليل والنهار فيها ١٢٣
(فصل) وأما صيام الأيام البيض ١٢٥
(باب) فى صيام الدهر وما لمن صامه من الثواب والأجر ١٢٧
(فصل) فى فضل الصيام فى الجملة ١٢٩
(فصل) وأما أوراد الليل ١٣١
(فصل) وأما صلاة رسول الله ﷺ فى الليل ١٣٥
(فصل آخر) فى صلاة الليل ١٣٧
(فصل) فى فضل الصلاة بين العشاءين ١٣٩
(فصل) وأما الركعتان قبل المغرب ١٤١
(فصل آخر) فى ذكـر ما ورد فعله بين العشـاءين ورؤية فاعله للنبى ﷺ فى المنام ١٤١
(فصل) فى ذكر الصلاة بعد العشاء الآخرة ١٤٤

الموضـــــــوع | الصفحة

(فصل) وأما الوتر ١٤٥
(فصل) ومن أوتر أول الليل ثم قام إلى التهجد هل يفتح وتره أم لا ١٤٦
(فصل) فى دعاء الوتر ١٤٧
(فصل) وإذا كان ممن يصلى بالليل وغلبه النعاس فالأولى له النوم ١٤٨
(فصل) وأما قيام جميع الليل ١٥١
(فصل) ومن استكملت غفلته ١٥١
(فصل) ومن أنعم الله عليه بقيام الليل ١٥٢
(فصل) ما يستحب قوله للمتهجد ١٥٢
(فصل) ما يستحب لمن قام الليل ١٥٤
(فصل) ما يستحب قراءته فى الليل من القرآن ١٥٤
(فصل) والذى يستعان به على قيام الليل أشياء ١٥٤
(فصل) ويستحب لمن قام الليل أن ينام آخره ١٥٦
(فصل) قضاء قيام الليل ١٥٧
(فصل) أوراد الليل خمسة ١٥٧
فصول: أوراد النهار ١٥٨
(فصل) وأما أوراد النهار فخمسة ١٥٨
(فصل) أما الورد الأول ١٥٨
(فصل) أما الورد الثانى ١٦١
(فصل) وأما عدد صلاة الضحى ١٦٢
(فصل) وأما وقتها ١٦٣
(فصل) وأما الذى يقرأ منها ١٦٤
(فصل) ورد إنكار صلاة الضحى ١٦٤
(فصل) وأما الورد الثالث ١٦٥
(فصل) وأما الورد الرابع ١٦٥
(فصل) ورد حديث جامع للنوافل ١٦٦
(فصل) وأما الورد الخامس ١٦٧
(باب) فى الصلوات الخمس: وبيان أوقاتها وأعدادها وسننها وفضائلها ١٦٨
(فصل) الصلوات المكتوبة خمس ١٦٨
(فصل) والأصل فى وجوبها ١٦٨

الموضـــــــوع	الصفحة
(فصل) فى ذكر من صلى هذه الصلوات أولاً قبل نبينا ﷺ	١٦٩
(فصل) ما وجب من الصلوات على نبينا وأمر بفعلها	١٧٠
(فصل) فى بيان وقت صلاة الفجر	١٧٠
(فصل) وأما الظهر	١٧١
(فصل) وهذا الذى ذكرنا من الأقدام	١٧٣
(فصل) فى معرفة الأقدام	١٧٣
(فصل) وذكر بعضهم صفة أخرى	١٧٤
(فصل) وذكر بعض شيوخنا صفة أخرى	١٧٤
(فصل) ومعرفة الزوال	١٧٥
(فصل) ومعرفة الزوال على التحقيق	١٧٥
(فصل) فإذا عرفت الزوال	١٧٦
(فصل) وأما وقت العصر	١٧٦
(فصل) وأما وقت صلاة المغرب	١٧٦
(فصل) وأما وقت صلاة العشاء	١٧٧
(فصل) وأما السنن الراتبة	١٧٧
(فصل) فى فضائل الصلوات الخمس	١٧٩
(فصل) فى الخروج إلى المسجد وفضل الجماعة والخشوع فى الصلاة	١٨١
(فصل) فى المحافظة عليها وما ورد من العقوبة على من ضيعها	١٨٥
(فصل) الصلاة خطرها عظيم	١٨٧
(فصل) مكروهات الصلاة	١٨٩
(فصل) تقديم النية للصلاة	١٩١
(فصل) فيما يختص بالإمام	١٩٦
(فصل) ما ينبغى للإمام فى الصلاة	١٩٩
(فصل) ويجب على المأموم أن ينوى الائتمام	٢٠١
(فصل) وينبغى للمأموم ألا يسبق الإمام	٢٠٢
(فصل) ما يجب على من رأى من يقصر فى صلاته	٢٠٥
(فصل) ويجب على المؤذن	٢٠٧
(فصل) رحم الله من أقبل على صلاته خاشعًا	٢٠٨
(فصل) وأما صلاة الخاصة	٢٠٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
(باب) نشير فيه إلى صلاة الجمعة والعيدين وصلاة الاستسقاء والكسوف والخوف والقصر والجمع وصلاة الجنازة مختصراً	٢١٢
(فصل) وأما صلاة الجمعة	٢١٢
(فصل) وأما صلاة العيدين	٢١٣
(فصل) وأما صلاة الاستسقاء	٢١٥
(فصل) وأما صلاة الكسوف	٢١٧
(فصل) وأما صلاة الخوف	٢١٨
(فصل) وأما قصر الصلاة	٢٢٠
(فصل) وأما الجمع بين الصلاتين	٢٢٢
(فصل) وأما الصلاة على الجنازة	٢٢٣
فصول فيما يفعل بمن حضره الموت وكيفية غسله وتكفينه وتحنيطه ودفنه	٢٢٧
(فصل) يستحب ذكر الموت لكل مؤمن	٢٢٧
(فصل) عيادة المريض	٢٢٩
(فصل) المسارعة فى غسله وتجهيزه	٢٣٠
(فصل) فى ذكر فضائل الصلوات فى أيام الأسبوع ولياليه	٢٣٥
(فصل) فى ذكر صلاة يوم الأحد	٢٣٦
(فصل) فى ذكر صلاة يوم الإثنين	٢٣٦
(فصل) فى ذكر صلاة يوم الثلاثاء	٢٣٧
(فصل) فى ذكر صلاة يوم الأربعاء	٢٣٧
(فصل) فى ذكر صلاة يوم الخميس	٢٣٨
(فصل) فى ذكر صلاة يوم الجمعة	٢٣٨
(فصل) فى ذكر صلاة يوم السبت	٢٤٠
(باب) فى ذكر صلاة الليالى	٢٤١
(فصل) فى ذكر فضل صلاة ليلة الأحد	٢٤١
(فصل) فى ذكر فضل صلاة ليلة الإثنين	٢٤١
(فصل) فى ذكر فضل صلاة ليلة الثلاثاء	٢٤٢
(فصل) فى ذكر فضل صلاة ليلة الأربعاء	٢٤٢
(فصل) فى ذكر فضل صلاة ليلة الخميس	٢٤٢
(فصل) فى ذكر فضل صلاة ليلة الجمعة	٢٤٣

الموضـــــــــوع	الصفحة

(فصل) فى ذكر فضل صلاة ليلة السبت ٢٤٣
(فصل) وقد ذكرنا فى مجلس التوبة ٢٤٤
(فصل) فى ذكر فضل صلاة التسبيح ٢٤٤
(فصل) فى صلاة الاستخارة ودعائها للسفر وغيره ٢٤٥
(فصل) فى حرز المسافر من كل سارق وسبع ومؤذ ٢٤٧
(فصل) فى ذكر صلاة الكفاية ٢٤٧
(فصل) فى ذكر صلاة الخصماء ٢٤٩
(فصل) فى صلاة العتقاء فى شوال ٢٤٩
(فصل) فى فضل الصلاة لرفع عذاب القبر ٢٥٠
(فصل) فى صلاة الحاجة ٢٥٠
(فصل) فى الدعاء لدفع الظلم والاحتراز منه ٢٥١
(دعاء آخر) ٢٥١
(فصل) فى الدعاء لذهاب الهموم وقضاء الديون ٢٥٢
(دعاء آخر) ٢٥٢
(دعاء آخر) ٢٥٣
(باب) الأدعية التى يدعى بها عقيب الصلوات الفرض ودعاء الختمة ٢٥٤
(دعاء آخر) ٢٥٤
(دعاء آخر) ٢٥٥
(فصل) دعاء الختمة ٢٥٦
(الوصية) ٢٦١

[القسم الخامس: التصوف]

(كتاب آداب المريدين من الفقراء الصادقين سالكى طريق الصوفية) ٢٦٩
(فصل) فى الإرادة والمريد والمراد ٢٦٩
(فصل) من المتصوف ومن الصوفى ٢٧٢
(باب) فيما يجب على المبتدئ فى هذه الطريقة أولاً، وما يجب عليه من الأدب مع الشيخ ثانيًا، وما يجب على الشيخ فى تأديب المريد ٢٧٧
(فصل) وأما أدبه مع الشيخ ٢٧٩
(فصل آخر) فى أدبه مع شيخه ٢٨٤

الموضـــــــوع	الصفحة

(فصل) وأما الذى يجب على الشيخ ... ٢٨٤
(باب) فى صحبة الإخوان والصحبة مع الأجانب وكيف الصحبة مع الأغنياء والفقراء ... ٢٨٧
(فصل) وأما الصحبة مع الأجانب ... ٢٨٧
(فصل) وأما الصحبة مع الأغنياء ... ٢٨٨
(فصل) وأما الصحبة مع الفقراء ... ٢٨٨
(فصل) ومن آداب الصحبة مع الفقراء ... ٢٨٩
(فصل) فى آداب الفقير فى فقره ... ٢٩١
(فصل) فى سؤال الفقير ... ٢٩٤
(فصل) فى آداب العشرة ... ٢٩٤
(فصل) فى آداب الفقراء عند الأكل ... ٢٩٦
(فصل) فى آدابهم فيما بينهم ... ٢٩٧
(فصل) فى آدابهم مع الأهل والولد ... ٢٩٨
(فصل) فى آدابهم فى السفر ... ٣٠٠
(فصل) فى آدابهم فى السماع ... ٣٠٢
(باب) المجاهدة والتوكل وحسن الخلق والشكر والصبر والرضا والصدق ... ٣٠٦
(فصل) وأما المجاهدة ... ٣٠٦
(فصل) والأصل فى المجاهدة ... ٣٠٩
(فصل) ولا تتم المجاهدة ... ٣٠٩
(فصل) ولأهل المجاهدة عشر خصال ... ٣١٤
(فصل) وأما التوكل ... ٣١٦
(فصل) وأما حسن الخلق ... ٣٢١
(فصل) وأما الشكر ... ٣٢٣
(فصل) وأما الصبر ... ٣٢٦
(فصل) وأما الرضا ... ٣٢٩
(فصل) وأما الصدق ... ٣٣٤
الفهرس ... ٣٣٧

تم فهرس الجزء الثانى ، والكتاب ، ولله الحمد

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس: فى فضائل شهر رمضان

قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون...﴾ [البقرة: ١٨٣] إلى قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال الحسن البصرى رحمه الله: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأسرع لها سمعك فإنها لأمر تؤمر به أو لنهى تنهى عنه.

وقال جعفر الصادق رحمه الله: لذة ما فى النداء إزالة تعب العبادة والعناء.

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يا: نداء من العالم، وأى: اسم من المعلوم المنادى، وها: تنبيه على نداء المنادى الذى هو إشارة إلى المعرفة السابقة والصحبة القديمة. آمنوا: إشارة إلى السر المعلوم بين المنادى والمنادى، كأنه يقول: يا من هو لى بسره المخلص له بضميره وبلبه ﴿كتب﴾ أى فرض وأوجب ﴿عليكم الصيام﴾ وهو مصدر كقولك: صمت صيامًا وقمت قيامًا.

وأصل الصيام فى اللغة: الإمساك يقال: صامت الريح: إذا سكنت وأمسكت عن الهبوب، وصامت الخيل: إذا وقفت وأمسكت عن السير، ويقال: صام النهار: إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء وقفت وأمسكت عن السير سويعة كما قال الراجز:

حتى إذا صام النهار واعتدل وسال للشمس لعاب فنزل

ويقال للرجل إذا صَمُتَ وأمسك عن الكلام صام، قال الله تعالى: ﴿إنى نذرت للرحمن صومًا﴾ [مريم ٢٦] أى صمتًا، فالصوم: هو الإمساك عن المعتاد من الطعام والشراب والجماع فى الشرع مع ترك الآثام، قال الله عز وجل: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ أى من الأنبياء والأمم أولهم آدم عليه السلام، وهو ما روى عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده قال: سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه

يقول: «أتيت رسول الله ﷺ ذات يوم عند انتصاف النهار وهو فى الحجرة، فسلمت عليه، فرد على السلام ثم قال: يا على هذا جبريل يقرئك السلام، فقلت: عليك وعليه السلام يا رسول الله، فقال ﷺ: ادن منى، فدنوت منه، فقال: يا على يقول لك جبريل صم من كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف حسنة، وباليوم الثانى ثلاثون ألف حسنة، وباليوم الثالث مائة ألف حسنة، فقلت: يا رسول الله هذا الثواب لى خاصة أم للناس عامة؟ قال ﷺ: يا على يعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل عملك بعدك، قلت: يا رسول الله، وما هى؟ قال: الأيام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر»[1].

قال عنترة: فقلت لعلى رضى الله عنه: لأى شىء تسمى هذه الأيام أيام البيض؟ فقال على رضى الله عنه: لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض أحرقته الشمس فاسود جسده فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا آدم أتحب أن يبيض جسدك؟ قال: نعم، قال له: فصم من الشهر ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر، فصام آدم عليه السلام أول يوم فابيض ثلث جسده، ثم صام اليوم الثانى فابيض ثلثا جسده، ثم صام اليوم الثالث فابيض جسده كله فسميت أيام البيض».

فآدم عليه السلام من الذين كتب عليهم الصيام من قبل محمد ﷺ.

وقال الحسن وجماعة من العلماء بالتفسير: أراد الله تعالى بالذين من قبلكم: النصارى، شبه صيامنا بصيامهم لاتفاقهما فى الوقت والقدر.

وذلك أن الله تعالى فرض على النصارى صيام شهر رمضان، فاشتد ذلك عليهم، لأنه ربما كان يأتى فى الحر الشديد أو فى البرد الشديد، وكان يضرّ بهم فى أسفارهم ومعايشهم، فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه فى الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين يومًا، ثم إن ملكًا لهم اشتكى فمه، فجعل لله إن هو برىء من وجعه ذلك أن يزيد فى صومهم أسبوعًا، فزادوا فيه أسبوعًا، ثم مات ذلك الملك، ووليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يومًا.

قال مجاهد رحمه الله: أصابهم موتان، فقال: زيدوا فى صيامكم، فزادوا عشرًا قبل

(١) النسائى ٤/ ٢١٠، وأحمد ٢/١٨٨، وأبو داود (١٣٨٩).

وعشراً بعد.

وقال الشعبى رحمه الله: لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذى يشك فيه، فيقال من شعبان ويقال من رمضان، وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان كما فرض علينا، فحولوه إلى الفصل، وذلك أنهم كانوا ربما صاموا فى القيظ فعدوا ثلاثين يومًا، ثم جاء بعدهم قرن منهم فأخذوا بالثقة فى أنفسهم، فصاموا قبل الثلاثين يومًا وبعدها يومًا، ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذى قبله حتى صاروا إلى خمسين يومًا، فذلك قوله عز وجل: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ١٨٣] يعنى لكى تتقوا الأكل والشرب والجماع.

وقال أهل التفسير أيضًا: فرض الله تعالى على رسوله محمد ﷺ وعلى المؤمنين صوم يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر حين قدم المدينة، فكانوا يصومونها، إلى أن نزل صيام شهر رمضان قبل قتال بدر بشهر وأيام، قال الله تعالى: ﴿أيامًا معدودات﴾ [البقرة: ١٨٤] يعنى شهر رمضان ثلاثين يومًا أو تسعة وعشرين يومًا.

وروى عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه سمع ابن عمر رضى الله عنهما يحدث عن النبى ﷺ أنه قال: «إنَّا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا لتمام الثلاثين»(١) وسمى الشهر شهرًا لشهرته، وهو مأخوذ من الشهرة وهى البياض، ومنه يقال: شهرت السيف إذا سللته وشهر الهلال إذا طلع.

(فصل) اختلف الناس فى معنى قوله رمضان:

فقال بعضهم: رمضان اسم من أسماء الله تعالى، فيقال شهر رمضان، كما يقال: شهر الله الأصم لرجب، وعبد الله.

وروى جعفر الصادق رحمه الله عن آبائه رضى الله عنهم عن النبى ﷺ أنه قال: «شهر رمضان شهر الله»(٢).

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا رمضان بل انسبوه كما نسبه الله تعالى فى القرآن، فقال: شهر رمضان»(٣).

(١) مسلم (٧٦١)، والنسائى ٥/ ١٣٩، وأحمد ٢/ ٤٣.
(٢) الكنز (٢٣٦٨٥).
(٣) بنحوه: الموضوعات ٢/ ١٨٧، والبيهقى ٤/ ٢٠١، والإتحاف ٤/ ١١٠.

وروى الأصمعى قال أبو عمرو: إنما سمى رمضان لأنه رمضت فيه الفصال من الحر.

وقال غيره: لأن الحجارة كانت ترمض فيه من الحرارة، والرمضاء: الحجارة المحماة.

وقيل: سمى بذلك لأنه يرمض الذنوب: أى يحرقها، وهو مروى عن النبى ﷺ».

وقيل: إن القلوب تأخذ من الحرارة الموعظة والفكرة فى أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس.

وقال الخليل : مأخوذ من الرمض، وهو مطر يأتى فى الخريف، فسمى هذا الشهر رمضان لأنه يغسل الأبدان من الآثام غسلاً، ويطهر القلوب تطهيراً.

فصل

فى قوله عز وجل: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة:١٨٥]

روى أن عطية بن الأسود سأل ابن عباس رضى الله عنهما فقال: إنه قد وقع الشك فى قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ [الدخان:٣] وقد نزل القرآن فى سائر الشهور.

وقال الله تعالى: ﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ [الإسراء ١٠٦] ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ [الفرقان ٣٢].

فقال ابن عباس: نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر من شهر رمضان، فوضع فى بيت العزة فى سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ نجومًا نجومًا فى ثلاث وعشرين سنة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة:٧٥].

وقال داود بن أبى هند: قلت للشعبى: شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن أما كان ينزل عليه، عليه السلام فى سائر السنة؟ قال: بلى، ولكن جبريل عليه السلام كان يعارض محمداً ﷺ فى رمضان بما أنزل الله، فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وينسيه ما يشاء.

عن شهاب بن طارق عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم فى ثلاث ليال مضين من شهر رمضان، وأنزلت توراة موسى عليه

السلام فى ست ليال مضين من رمضان، وأنزل إنجيل عيسى عليه السلام فى ثلاثة عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، وأنزل زبور داود عليه السلام فى ثمانى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، وأنزل الفرقان على محمد ﷺ فى الرابعة والعشرين من شهر رمضان»(١) ثم وصف عز وجل القرآن فقال: ﴿هدى للناس﴾ [البقرة: ١٨٥] من الضلالة ﴿وبينات﴾ [البقرة. ١٨٥] من الحلال والحرام والحدود والأحكام ﴿من الهدى والفرقان﴾ [البقرة ١٨٥] يفصل بين الحق والباطل.

(فصل: فيما يختص بشهر رمضان من الفضائل)

أخبرنى أبو نصر عن والده، قال: أنبأنا ابن الفارس، قال: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الجلودى النيسابورى، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال: أنبأنا على بن حجر السعدى، قال: أنبأنا يوسف بن زياد، قال: أخبرنا همام بن يحيى عن على بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب عن سلمان رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعًا، من تقرب فيه بخصلة من الخير أو أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه فى رزق المؤمن، فمن فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قالوا: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، قال: يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائمًا على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فمن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتان ترضون بهما ربكم، وخصلتان لا غنى لكم عنهما.

فالخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى لكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن أشبع فيه صائمًا سقاه الله تعالى من حوضى شربة لا يظمأ بعدها أبدًا»(٢).

(١) بنحوه: البيهقى ٩/١٨٨.

(٢) أمالى الشجرى ١/٢٦٧.

وعن الكلبى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة وأبواب السماء لتفتح لأول ليلة من شهر رمضان، ولا تغلق إلى آخر ليلة منه، ليس من عبد أو أمة يصلى فى ليلة منه إلا كتب الله له بكل سجدة ألفًا وسبعمائة حسنة، وبنى له بيتًا فى الجنة من ياقوتة حمراء له سبعون ألف باب، لكل باب منها مصراعان من ذهب موشح من ياقوتة حمراء، فإذا صام أول يوم من شهر رمضان غفر الله له كل ذنب إلى آخر يوم من رمضان، وكان كفارة إلى مثلها، وكان له بكل يوم يصومه قصر فى الجنة له ألف باب من ذهب، واستغفر له سبعون ألف ملك من غدوه إلى أن تتوارى بالحجاب، وكان له بكل سجدة سجدها من ليل أو نهار شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها»[١].

وأخبرنى أبو نصر عن والده بإسناده عن الأعرج، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، نظر الله إلى خلقه وإذا نظر إلى عبد لم يعذبه أبدًا، ولله عز وجل فى كل يوم ألف ألف عتيق من النار»[٢].

وأخبرنى أبو نصر عن والده بإسناده عن سهل، عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»[٣].

وعن نافع بن بردة، عن أبى مسعود الغفارى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يصوم يومًا من رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة مما نعت الله عز وجل: ﴿حور مقصورات فى الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢] على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى، ويعطى سبعون لونًا من الطيب، ليس منها لون على لون الآخر، ويعطى لكل امرأة منهن سبعون سريرًا من ياقوتة حمراء موشحة بالدر، على كل سرير سبعون فراشًا على كل فراش أريكة، لكل امرأة سبعون ألف وصيف لحاجتها، وسبعون ألف وصيف لزوجها مع كل وصيفة صحفة من ذهب فيها لون من طعام، فيجد لآخر لقمة منها لذة لم يجدها لأوله ويعطى

(١) مجمع الزوائد ٣/ ١٤٢، والطبرانى فى «الصغير» ١/ ١١٧، وتاريخ أصفهان ١/ ٢٤٩.
(٢) الموضوعات ٢/ ١٩٠، والضعيفة ٢٩٩، والكنز (٢٣٧٠٧).
(٣) البخارى ٣/ ٣٢، ومسلم فى: الصيام (١)، وأحمد ٢/ ٣٥٧.

زوجها مثل ذلك، على سرير من ياقوت أحمر، هذا لكل يوم صامه من رمضان سوى ما يعمل من الحسنات»(١).

(فصل) أخبرني أبو نصر عن والده بإسناده، قال: حدثنا محمد بن أحمد، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد قال: حدثنا الحسن بن إبراهيم بن يسار وإبراهيم بن محمد بن حارث، قال: حدثنا سلمة بن شبيب، قال: حدثنا القاسم بن محمد، قال: حدثنا هشام بن الوليد، قال: حدثنا حماد ابن سليمان الدوسي، عن الحسن، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن الجنة لتتجدد وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان، هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة، فتصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع، فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، فتزين الحور العين حتى يقفن بين شرف الجنة، فينادين هل من خاطب إلى الله عز وجل فيزوجه، ثم يقلن: يا رضوان: ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية يا خيرات حسان، هذه أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ فيقول الله تعالى: يا رضوان افتح أبواب الجنان، يا مالك أغلق أبواب النيران عن الصائمين من أمة محمد ﷺ يا جبريل اهبط إلى الأرض فصفّد مردة الشياطين وغلهم بالأغلال، ثم اقذف بهم في لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي صيامهم.

قال: ويقول الله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات: هل من سائل فأعطيه سؤله، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له؟ من يقرض المليء غير المعدم، والوفي غير الظلوم؟

قال: وله في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا العقاب، فإذا كان ليلة الجمعة ويوم الجمعة أعتق الله تعالى في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان في آخر يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره، فإذا كان ليلة القدر يأمر جبريل عليه السلام فيهبط في كبكبة من الملائكة ومعه لواء أخضر إلى

(١) الترغيب ٢/ ١٠٢.

الأرض، فيركزه على ظهر الكعبة، وله ستمائة جناح لا ينشرها إلا فى ليلة القدر، فينشرها فى تلك الليلة، فيجاوز المشرق والمغرب، ويبث جبريل عليه السلام الملائكة فى هذه الأمة فيسلمون على كل قائم ومصل وذاكر، ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، ثم ينادى جبريل عليه السلام: يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل، فيقولون: يا جبريل ما صنع الله فى حوائج المؤمنين من أمة محمد ﷺ؟ فيقول: إن الله تعالى نظر إليهم وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة، فقال رسول الله ﷺ: هؤلاء الأربعة: مدمن خمر، وعاق والدية، وقاطع رحم، ومشاحن.

قيل: يا رسول الله من المشاحن؟ قال: المصارم، فإذا كان ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، فإذا كان غداة الفطر بث الله تعالى الملائكة فى كل البلاد فيهبطون إلى الأرض، فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه كل من خلق الله تعالى إلاَّ الجن والإنس فيقولون: يا أمة محمد ﷺ أخرجوا إلى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله تعالى لملائكته: يا ملائكتى ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟.

قال: فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا توفيه أُجرته، فيقول: فإنى أشهدكم يا ملائكتى أنى قد جعلت ثواب صيامهم من شهر رمضان وقيامهم رضاى ومغفرتى، ثم يقول: يا عبادى سلونى فوعزتى وجلالى لا تسألونى اليوم فى جمعكم لآخرتكم شيئًا إلاَّ أعطيتكم، ولا لدنياكم إلاَّ نظرت لكم، وعزتى وجلالى لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتمونى، وعزتى وجلالى لا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود، انصرفوا مغفوراً لكم، قد أرضيتمونى ورضيت عنكم.

قال: فتفرح الملائكة ويستبشرون بما يعطى الله عز وجل هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان»(١).

وعن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ نحوه، واللفظ متقارب.

وأخبرنى أبو نصر عن والده بإسناده عن نافع، عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول يوم أهلّ شهر رمضان: «لو يعلم العباد ما فى شهر رمضان

---

(١) الكنز (٢٤٢٨١)، والترغيب ٢/ ٩٩، والمتناهية ٢/ ٤٤.

لتمنى العباد أن يكون شهر رمضان سنة، فقال رجل من خزاعة: يا رسول الله حدثنا، فقال رسول الله ﷺ: إن الجنة لتزين لشهر رمضان من رأس الحول إلى الحول، حتى إذا كان أول ليلة منه هبت ريح من تحت العرش، فصفقت ورق الجنة، فنظرت الحور العين إلى ذلك فقلن: يا رب اجعل من عبادك فى هذا الشهر لنا أزواجًا تقر عيننا بهم، وتقر أعينهم بنا، فما من عبد صام شهر رمضان إلاً زوجه الله زوجة من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة، مما نعت الله به: ﴿حور مقصورات فى الخيام﴾ [الرحمن. ٧٢] على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى، وتعطى سبعون لونًا من الطيب ليس منه لون يشبه الأول، كل امرأة منهن على سرير من ياقوت موشح بالدر عليه سبعون فراشًا، بطائنها من إستبرق، وفوق السبعين فراش سبعون أريكة، ولكل امرأة منهن سبعون ألف وصيف يخدمها، وسبعون ألف وصيف لزوجها بيد كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من الطعام، يجد لآخره من اللذة ما لا يجد لأوله، ويعطى زوجها مثل ذلك، على سرير من ياقوتة حمراء، عليه سواران من ذهب مرصع بالياقوت هذا لكل من صام شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات»[1].

وعن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نادى الجليل جلت عظمته رضوان خازن الجنان، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: نجِّد جنتى وزينها للصائمين من أمة أحمد، ولا تغلقها عنهم حتى ينقضى شهرهم، ثم ينادى مالكًا خازن النار: يا مالك، فيقول: لبيك ربى وسعديك، فيقول: اغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة أحمد، ثم لا تفتحها عليهم حتى ينقضى شهرهم، ثم ينادى جبريل عليه السلام، فيقول: لبيك ربى وسعديك، فيقول. انزل إلى الأرض فغل مردة الشياطين عن أمة أحمد حتى لا يفسدوا عليهم صيامهم وإفطارهم، ولله عز وجل فى كل يوم من شهر رمضان عند طلوع الشمس وعند الإفطار عتقاء يعتقهم من النار عبيداً وإماء، وله فى كل سماء مناد فيهم ملك له عرف تحت عرش رب العالمين، وفرائسه فى تخوم الأرض السابعة السفلى، له جناح بالمشرق، مكلل بالمرجان والدر والجواهر، ينادى: هل من تائب يتاب عليه، هل من داع يستجاب له، هل من مظلوم ينصره الله، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى سؤله؟

(١) الكنز (٢٣٧١٥)، ومجمع الزوائد ٣/ ١٤١

قال: وينادى الرب ـ تعالى ذكره ـ الشهر كله: عبادى وإمائى أبشروا واصبروا وداوموا، يوشك أن أرفع عنكم المؤنات وتفضوا إلى رحمتى وكرامتى، فإذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام فى كبكبة من الملائكة يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل»(١).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أذن الله للسموات والأرض أن تتكلما لبشرتا من صام رمضان بالجنة».

وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف»(٢).

وروى الأعمش عن أبى خيثمة رضى الله عنه أنه قال: كانوا يقولون رمضان إلى رمضان، والحج إلى الحج والجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول إذا دخل شهر رمضان: مرحبًا بالمطهر خير كله، صيام نهاره وقيام ليله، والنفقة فيه كالنفقة فى سبيل الله.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٣).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضًا عن النبى ﷺ أنه قال: «كل حسنة يعملها ابن آدم تتضاعف عشرًا إلى سبعمائة ضعف، إلاَّ الصوم فإن الله تعالى يقول: الصوم لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلى، والصوم جنة، وللصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه»(٤).

وأخبرنا أبو البركات السقطى بإسناده عن يزيد بن هارون قال: حدثنا المسعودى قال: بلغنى أن من قرأ فى ليلة من شهر رمضان فى التطوع ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾ [الفتح:١] حفظ فى ذلك العام.

---

(١) الموضوعات ٢/ ١٨٧، واللآلىء المصنوعة ٢/ ٥٢، ٥٣.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٨٣، والإتحاف ٤/ ١٩٣، والكنز (٢٣٥٦٢).

(٣) الترمذى (٦٨٣)، وابن ماجه (١٣٢٦)، وأحمد ٢/ ٥٠٣.

(٤) أحمد ٢/ ٢٦٦، ومصنف عبد الرزاق (٧٨٩٣).

(فصل) رمضان خمسة أحرف:

الراء: رضوان الله، والميم: محاباة الله عن العصاة، والضاد: ضمان الله، والألف: ألفة الله، والنون: نور الله، فهو شهر رضوان ومحاباة وضمان وألفة ونوال وكرامة للأولياء والأبرار.

وقيل: مثل شهر رمضان فى الشهور كمثل القلب فى الصدور، وكالأنبياء فى الأنام، وكالحرم فى البلاد، فالحرم يمنع منه الدجال اللعين، وشهر رمضان تصفد فيه مردة الشياطين، والأنبياء شفعاء للمجرمين، وشهر رمضان شفيع للصائمين، والقلب مزين بنور المعرفة والإيمان، وشهر رمضان مزين بنور تلاوة القرآن، فمن لم يغفر له فى شهر رمضان ففى أى شهر يغفر له، فليتب العبد إلى الله عز وجل قبل أن تغلق أبواب التوبة، وليتب إليه عز وجل قبل أن يفوت وقت الإنابة، وليبك قبل أن ينقضى وقت البكاء والرحمة.

وقد قال النبى ﷺ: «إن أمتى لم يخزوا ما أقاموا شهر رمضان، فقال رجل: يا نبى الله وما خزيهم؟ قال: من انتهك فيه محرمًا أو عمل سيئة أو شرب خمراً، أو زنى لم يقبل منه رمضان، لعنه الله وملائكته وأهل السموات إلى مثله من الحول، وإن مات فيما بينه وبين رمضان فليس له عند الله حسنة»[1].

(فصل) قيل: إن سيد البشر آدم عليه السلام، وسيد العرب محمد ﷺ، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبش بلال، وسيد القرى مكة، وسيد الأودية وادى بيت المقدس، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الليالى ليلة القدر، وسيد الكتب القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسى، وسيد الأحجار الحجر الأسود، وسيد الآبار زمزم، وسيد العصى عصا موسى، وسيد الحيتان الحوت الذى كان يونس عليه السلام فى بطنه، وسيد النوق ناقة صالح، وسيد الأفراس البراق، وسيد الخواتم خاتم سليمان عليه السلام، وسيد الشهور شهر رمضان.

* * *

(١) الطبرانى فى «الصغير» ١/٢٤٨.

(فصل: فى فضائل ليلة القدر)

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر...﴾ [القدر ١] إلى آخر السورة، فأنزلناه كناية عن القرآن أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى السفرة، وهم الكتبة من الملائكة، فكان ينزل فى تلك الليلة من اللوح المحفوظ على قدر ما ينزل به جبريل عليه السلام بإذن الله تعالى إلى النبى ﷺ فى السنة كلها، إلى مثلها من قابل، حتى نزل القرآن كله فى ليلة القدر من شهر رمضان إلى سماء الدنيا.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ [القدر ١] يعنى أنزلنا جبريل بهذه السورة وجملة القرآن فى ليلة القدر على الكتبة ثم نزل بعد ذلك نجمًا نجمًا على رسول الله ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة، فى سائر الشهور والأيام والليالى والأوقات.

قوله تعالى: ﴿فى ليلة القدر﴾ أى فى ليلة عظيمة، وقيل: فى ليلة الحكم، وسميت ليلة القدر تعظيمًا لها ولقدرها لأن الله تعالى يقدر فيها ما يكون من أمر السنة إلى مثلها من العام المقبل.

ثم قال: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ [القدر.٢] يا محمد لولا أن الله أعلمك بعظمتها، فكل ما فى القرآن ﴿وما أدراك﴾ فقد أُعلمه، وما فيه ﴿وما يدريك﴾ فلم يُدره، ولم يطلعه عليه كقوله عز وجل: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا﴾ [الأحزاب:٦٣] وما بين له وقتها.

قوله تعالى: ﴿ليلة القدر﴾ أى ليلة العظمة والحكمة.

وقيل: هى الليلة المباركة التى قال الله عز وجل: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة... * فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان٣٠ ـ ٤] ثم قال عز وجل: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ [القدر:٣] يعنى العمل فيها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

ويقال أن الصحابة رضى الله عنهم لم يفرحوا بشىء كفرحهم بقوله تعالى: ﴿خير من ألف شهر﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ ذكر يومًا لأصحابه أربعة من بنى إسرائيل بأنهم عبدوا الله ثمانين عامًا لم يعصوه طرفة عين، وذكر أيوب وزكريا وحزقيل ويوشع ابن نون عليهم السلام، فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك، فأتاه جبريل عليه

السلام وقال له: يا محمد عجبت أنت وأصحابك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله تعالى فيها طرفة عين، فقد أنزل الله عليك خيراً من ذلك، ثم قرأ عليه ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر...﴾ إلى آخرها، وقال له: هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك منه، فَسُرَّ بذلك النبى ﷺ.

وقال ابن نجيح: إنه كان فى بنى إسرائيل رجل لبس السلاح ألف شهر فى سبيل الله تعالى لم يضعه عنه، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأصحابه، فتعجبوا من قوله، فأنزل الله عز وجل: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ [القدر ٣] يعنى خير لكم من تلك الألف شهر التى لبس فيها ذلك الرجل السلاح فى سبيل الله ولم يضعه.

وقيل: إنه كان اسمه شمعون العابد فى بنى إسرائيل، وقيل شمسون.

﴿تنزل الملائكة﴾ [القدر:٤] يعنى تنزل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ﴿والروح﴾ [القدر.٤] يعنى جبريل عليه السلام.

وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: الروح على صورة الإنسان عظيم الخلق وهو عظيم الخلق، وهو الذى قال الله عز وجل: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء:٨٥] وهو الملك يقوم مع الملائكة صفًا يوم القيامة.

وقال مقاتل: هو أشرف الملائكة عند الله تعالى.

وقال غيره: إنه ملك وجهه على صورة الإنسان وجسده جسد الملائكة، وهو أعظم مخلوق عند العرش يقوم صفًا، وتقوم الملائكة صفًا، قال الله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفًا﴾ [النبأ:٣٨].

﴿فيها﴾ [القدر.٤] يعنى فى ليلة القدر.

﴿بإذن ربهم﴾ [القدر:٤] أى بأمر ربهم.

﴿من كل أمر﴾ [القدر:٤] يعنى بكل خير.

﴿سلام هى حتى﴾ [القدر.٥] أى هى سلام، أى سليمة.

﴿حتى مطلع الفجر﴾ [القدر:٥] لا يحدث فيها داء ولا كهانة.

﴿مطلع الفجر﴾ بكسر اللام يريد: الطلوع، وبالفتح يريد: الموضع الذى يطلع فيه، وقيل سلام، يعنى سلام الملائكة على المؤمنين من أهل الأرض، يقولون: سلام سلام حتى يطلع الفجر.

(فصل) وتلتمس ليلة القدر فى العشر الأواخر من شهر رمضان، وآكدها ليلة سبع وعشرين.

وعند مالك رحمه الله جميع ليالى العشر الأواخر ليس بعض بآكد من بعض. وعند الشافعى رحمه الله آكدها إحدى وعشرون.

وقيل: إنها ليلة التاسع عشر، وهو مذهب عائشة رضى الله عنها.

وقال أبو بردة الأسلمى رضى الله عنه: هى ليلة ثلاث وعشرين.

وقال أبو ذر والحسن رضى الله عنهما: إنها ليلة خمس وعشرين.

وروى بلال رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «إنها ليلة أربع وعشرين».

وقال ابن عباس وأبى بن كعب رضى الله عنهم: إنها ليلة سبع وعشرين.

والدليل على أن آكدها ليلة سبع وعشرين - والله أعلم - ما روى حنبل رحمه الله بإسناده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «كانوا لا يزالون يقصون على النبى ﷺ الرؤيا من العشر الأواخر فقال النبى ﷺ: أرى رؤياكم قد تواترت إنها ليلة سابعة من العشر الأواخر، من كان متحريًا فليتحرها الليلة السابعة من العشر الأواخر»[1].

ويروى أن ابن العباس قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنهم: إنى نظرت فى الأفراد فلم أر فيها أحرى لى من السبعة، فذكر بعض ما نذكره فى السبعة فقال: السموات سبع، والأرضون سبع، والليالى سبع، والأفلاك سبع، والنجوم سبع، والسعى بين الصفا والمروة سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمى الجمار سبع، وخلق الإنسان من سبع، ورزقه من سبع، وشق فى وجهه سبع، والخواتيم سبع، والحمد سبع آيات، وقراءة القرآن على سبعة أحرف، والسبع المثانى، والسجود على سبعة أعضاء، وأبواب جهنم سبع، وأسماؤها سبع، وأدراكها سبع، وأصحاب الكهف سبع، وأهلك عاد بالريح العقيم فى سبع ليال، ومكث يوسف عليه السلام فى السجن سبع سنين، والبقرات سبع، والسنون الجدبة سبع، والسنون الخصبة سبع، والصلوات الخمس سبع عشرة ركعة، وقال الله عز وجل: ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ [البقرة.١٩٦] وحرم من النساء بالنسب سبع، ومن الصهر سبع، وجعل رسول الله ﷺ طهارة الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب، وعدد حروف سورة القدر إلى قوله: ﴿سلام هى﴾ سبع

---

(١) البخارى ٢/٦٩، ومسلم فى: الصيام (٢٠٥)، وأحمد ٢/٥.

وعشرون حرفًا، ومكث أيوب عليه السلام فى بلائه سبع سنين، وقالت عائشة رضى الله عنها: تزوجنى رسول الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين، وأيام العجوز يعنى الحسوم سبعة، ثلاثة من شباط وأربعة من آذار، وقال رسول الله ﷺ: «شهداء أمتى سبعة: القتيل فى سبيل الله، والمطعون، والمسلول، والغريق، والحريق، والمبطون، والنفساء»(١).

وأقسم الله عز وجل بسبع: ﴿والشمس وضحاها...﴾ [الشمس ١] إلى قوله: ﴿ونفس وما سواها﴾ [الشمس:٧]، وكان طول موسى عليه السلام سبعة أذرع بذراع ذلك القرن، وطول عصى موسى سبعة أذرع.

فإذا ثبت أن أكثر الأشياء سبع، فقد نبه الله تعالى عباده على أن ليلة القدر السابعة والعشرون بقوله تعالى: ﴿سلام هى حتى مطلع الفجر﴾ [القدر.٥] فعلمنا بذلك أنها ليلة السابع والعشرين.

(فصل: فهل ليلة الجمعة أفضل أم ليلة القدر؟)

اختلف أصحابنا فى ذلك، فاختار الشيخ أبو عبد الله بن بطة، والشيخ أبو الحسن الجزرى، وأبو حفص عمر البرمكى رحمهم الله أن ليلة الجمعة أفضل.

واختار أبو الحسن التميمى رحمه الله أن الليلة التى أنزل فيها القرآن من ليالى القدر أفضل من ليلة الجمعة، فأما أمثال تلك الليلة من ليالى القدر فليلة الجمعة أفضل.

وقال أكثر العلماء: ليلة القدر أفضل من ليلة الجمعة وغيرها من الليالى.

وجه اختيار أصحابنا ما روى القاضى الإمام أبو يعلى رحمه الله بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يغفر الله ليلة الجمعة لأهل الإسلام أجمعين» وهذه فضيلة لم تنقل عنه عليه الصلاة والسلام لغيرها من الليالى.

وروى عنه ﷺ أنه قال: «أكثروا علىَّ من الصلاة فى الليلة الغراء واليوم الأزهر، ليلة الجمعة ويوم الجمعة»(٢) والغرة من الشىء خياره ولأن ليلة الجمعة تابعة ليومها.

وقد جاء فى فضل يومها ما لم يجىء فى فضل ليلة القدر، من ذلك ما روى أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ما طلعت الشمس على يوم أعظم عند الله من

---

(١) الموطأ (٢٣٤)

(٢) الدرر (٤٢).

يوم الجمعة ولا أحب إليه منه»[١].

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلاَّ وهى تفزع ليوم الجمعة إلا هذين الثقلين من الجن والإنس»[٢].

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث الجمعة وهى زهراء منيرة، وأهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها تضىء لهم ويمشون فى ضوئها، وألوانهم كالثلج، وريحهم كالمسك يخوضون فى جبال الكافور، وينظر إليهم الثقلان ما يطوفون تعجبًا حتى يدخلون الجنة»[٣].

فإن قيل: فما جوابكم عن قوله عز وجل: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ [القدر ٣].

قيل: المراد بها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة الجمعة، كما أن تقديرها عندهم خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وأيضًا أن ليلة الجمعة باقية فى الجنة، لأن فى يومها تقع الزيارة إلى الله سبحانه وتعالى وهى معلومة فى الدنيا بعينها على القطع، وليلة القدر مظنون عينها.

وجه اختيار التميمى وغيره من العلماء أن ليلة القدر أفضل؛ قوله تعالى: ﴿خير من ألف شهر﴾ وألف شهر: ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر.

وقيل: إنه عرض على النبى ﷺ أعمار أمته فاستقلها، فأعطى ليلة القدر.

وعن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال: سمعت ممن أثق به يقول: «إن رسول الله ﷺ رأى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله تعالى من ذلك، فكأنه تصاغر أعمار أمته بأن لا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر».

وقال مالك بن أنس رحمه الله: بلغنى أن سعيد بن المسيب قال: من حضر صلاة العشاء ليلة القدر أصاب منها حظًا.

---

(١) أحمد ٢/ ٥١٩، والترغيب ١/ ٤٩١.

(٢) أحمد ٢/ ٢٧٢، والكنز (٢١٠٧٧)، ومصنف عبد الرزاق (٥٥٦٣).

(٣) الصحيحة (٧٠٦)، والكنز (٢٠٩١٠)، والدر المنثور ٦/ ٢١٦، والحاكم فى المستدرك ١/ ٢٧٧.

وعن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى العشاء والمغرب فى جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر، ومن قرأها ـ يعنى سورة القدر ـ فكأنما قرأ ربع القرآن»[1].

ويستحب أن يقرأها فى العشاء الأخيرة من شهر رمضان.

(فصل) فإن قال قائل، لمَ لمْ يطلع الله عباده على ليلة القدر يقينًا وقطعًا كما أطلعهم على ليلة الجمعة وبينها لهم؟

قيل له: يتكل العباد على عملهم فيها، فيقولون: قد عملنا فى ليلة خير من ألف شهر، فقد غفر الله لنا وحصل لنا عنده درجات وجنات، فلا يعملوا عملاً ويطمئنوا فيغلب عليهم الرجاء فيهلكوا، وهذا كما لم يطلعهم على فناء آجالهم لئلا يقول من كان فى عمره طول: أتبع الشهوات واللذات والتنعم فى الدنيا، فإذا قاربت فناء أجلى تبت واشتغلت بعبادة ربى وأموت تائبًا مصلحًا، فيغيب الله تعالى عنهم آجالهم ليكونوا أبدًا على وجل وحذر من الموت فيحسنوا العمل ويداوموا على التوبة وإصلاح العمل، فيأتيهم الموت وهم على خير حال، فتصل إليهم الأقسام من اللذات والشهوات فى الدنيا، وينجون من عذاب الله فى الآخرة برحمة الله تعالى.

وقيل: إن الله تعالى أخفى خمسة أشياء فى خمسة:

الأول: أخفى رضاه فى الطاعات.

والثانى: أخفى غضبه فى المعاصى.

والثالث: أخفى الصلاة الوسطى بين الصلوات.

والرابع: أخفى وليه فى خلقه.

والخامس: أخفى ليلة القدر فى شهر رمضان.

(فصل) وأن الله عز وجل أعطى المصطفى ﷺ خمس ليالى:

الأولى: ليلة المعجزة والقدرة وهى ليلة انشقاق القمر؛ قوله تعالى: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ [القمر:١] وكان انفلاق البحر لموسى عليه السلام، وهو يضرب العصا.

والانشقاق لمحمد ﷺ وهو بإشارة أصبع المصطفى ﷺ، فهو أعظم فى المعجزات والإعجاز والقدرة.

(١) الكنز (٩١٠٤٢)، والدر المنثور ٦/ ٣٧٧.

والثانية: ليلة الإجابة والدعوة، قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ [الأحقاف:٢٩].

والثالثة: ليلة الحكم والقضية، قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان:٣ ـ ٤].

والرابعة: ليلة الدنو والقربة، هى ليلة المعراج، قوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [الإسراء:١].

وأما الخامسة: فليلة السلام والتحية، قوله: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ [القدر:١] إلى قوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ [القدر:٤] يعنى ليلة القدر.

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «إذا كان ليلة القدر يأمر الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض ومعه سكان سدرة المنتهى سبعون ألف ملك، ومعهم ألوية من نور، فإذا هبطوا إلى الأرض ركز جبريل عليه السلام لواءه والملائكة ألويتهم فى أربع مواطن: عند الكعبة، وعند قبر النبى ﷺ، وعند مسجد بيت المقدس، وعند مسجد طور سيناء، ثم يقول جبريل عليه السلام تفرقوا، فيتفرقون فلا تبقى دار ولا حجرة ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة إلا دخلت الملائكة فيها، إلا بيت فيه كلب أو خنزير أو خمر أو جنب من حرام أو صورة، فيسبحون ويقدسون ويهللون ويتسغفرون لأمة محمد ﷺ، حتى إذا كان وقت الفجر يصعدون إلى السماء، فيستقبلهم سكان السماء الدنيا فيقولون لهم: من أين أقبلتم؟ فيقولون: كنا فى الدنيا، لأن الليلة ليلة القدر لأمة محمد ﷺ، فقال سكان سماء الدنيا: ما فعل الله بحوائج أمة محمد؟ فيقول جبريل عليه السلام: إن الله غفر لصالحيهم وشفعهم فى طالحيهم، فترفع ملائكة سماء الدنيا أصواتهم بالتسبيح والتقديس والثناء على رب العالمين شكراً لما أعطاه الله هذه الأمة من المغفرة والرضوان، ثم تشيعهم ملائكة سماء الدنيا إلى السماء الثانية، ثم كذلك سماء بعد سماء إلى السابعة، ثم يقول جبريل عليه السلام: يا سكان السموات ارجعوا، فترجع ملائكة كل سماء إلى مواضعهم، ويرجع سكان سدرة المنتهى إلى السدرة، فيقول سكان السدرة: أين كنتم؟ فيجيبون مثل ما أجابوا أهل السماء الدنيا، فترفع سكان السدرة أصواتهم بالتسبيح والتقديس، فتسمع جنة المأوى، ثم جنة النعيم، ثم جنة عدن، ثم الفردوس، فيسمع عرش الرحمن، فيرفع العرش صوته

بالتسبيح والتهليل والثناء على رب العالمين شكرًا لما أعطى هذه الأمة، فيقول الله عز وجل وهو أعلم: يا عرشى لم رفعت صوتك؟ فيقول: إلهى بلغنى أنك قد غفرت البارحة لصالحى أمة محمد ﷺ وشفعت صالحيها فى طالحيها، فيقول الله تعالى: صدقت يا عرشى، ولأمة محمد عندى من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

وقيل: إن جبريل عليه السلام إذا نزل من السماء ليلة القدر لا يدع أحدًا من الناس إلاَّ سلم عليه وصافحه، وعلامة ذلك اقشعرار جلده وترقيق قلبه وتدميع عينيه.

ولهذا روى أن النبى ﷺ كان مهمومًا لأجل أمته، فقال الله تعالى: يا محمد لا تغتم فإنى لا أخرج أمتك من الدنيا حتى أعطيهم درجات الأنبياء، وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنزل عليهم الملائكة بالروح والرسالة والوحى والكرامة، وكذلك أنزل بالملائكة على أمتك فى ليلة القدر بالتسليم والرحمة منى.

(فصل) والأمارة فى أنها ليلة القدر، أن تكون ليلة طلقة سمحة لا حارة ولا باردة.

وقيل: لا يسمع فيها نباح الكلاب، وتطلع الشمس صبيحتها، ليس لها شعاع كالطست، وتكشف عجائبها لأرباب القلوب والولاية وأهل الطاعة لمن يشاء الله تعالى من المؤمنين من عباده، وعلى قدر أحوالهم وأقسامهم ومنازلهم فى القرب من الله عز وجل.

(فصل) وصلاة التراويح سنة النبى ﷺ.

صلاها ليلة، وروى ليلتين، وروى ثلاثًا، ثم انتظروه فلم يخرج، وقال: «لو خرجت لفرضت عليكم».

ثم استديمت فى أيام عمر رضى الله عنه، فلذلك أُضيفت إليه لأنه ابتدأها، والحديث المروى فى ذلك عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبى ﷺ خرج فى جوف الليل فى شهر رمضان، فصلى فى المسجد وصلى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الثانية كثر الناس حتى عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الفجر، فلما صلى الفجر أقبل على الناس وقال: «إنه لم يخف علىَّ شأنكم الليلة، ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عن ذلك»[1].

(١) أحمد ٦/٦٩.

قالت: وكان ﷺ يرغبهم في حديث رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك في أيام خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدراً من خلافة عمر رضي الله عنه.

وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: إنما أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه التراويح من حديث سمعه مني، قالوا: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لله تعالى حول العرش موضعًا يسمى حظيرة القدس وهي من النور، فيها ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل، يعبدون الله تعالى عبادة لا يفترون ساعة، فإذا كان ليالي شهر رمضان استأذنوا ربهم أن ينزلوا إلى الأرض، فيصلون مع بني آدم، فيأذن لهم فينزلون كل ليلة إلى الأرض فيصلون مع بني آدم، فكل من مسهم من أمة محمد ﷺ أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا» فقال عمر رضي الله عنه إذ ذاك: فنحن أحق بهذا، فجمع للتراويح وسنها.

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خرج في أول ليلة من شهر رمضان، فسمع القرآن في المساجد، فقال: نوّر الله قبر عمر كما نوّر مساجد الله بالقرآن، وكذلك يروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وفي لفظ آخر: أن عليًا رضي الله عنه اجتاز بالمساجد وهي تزهو بالقناديل والناس يصلون التراويح، فقال: نوّر الله عز وجل على عمر قبره كما نوّر مساجدنا.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من علّق في بيت من بيوت الله قنديلاً لم تزل الملائكة تستغفر له وتصلي عليه وهم سبعون ألف ملك حتى يطفأ ذلك القنديل»[1].

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: «صلينا مع رسول الله ﷺ فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون قام فصلى بنا حتى مضى ثلث الليل، ثم لما كانت الليلة الرابعة والعشرون لم يخرج إلينا، فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون خرج وصلى بنا حتى مضى شطر الليل، فقلنا له: لو نفلتنا ليلتنا هذه، فقال ﷺ: إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة، ولم يصل بنا في الليلة السادسة والعشرين، فلما كانت الليلة السابعة والعشرون قام بنا وجمع أهله وصلى بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قيل: وما الفلاح؟ قال: السحور»[2].

---

(١) الدر المنثور ٣/ ٢١٧، وتنزيه الشريعة ٢/ ١٣٥، وكشف الخفاء ٢/ ٣٦٥.

(٢) الترمذي (٨٠٦)، والنسائي ٣/ ٢٠٢، وابن ماجه (١٣٢٧)، والكنز (٢٣٠٢٠).

(فصل) ويستحب لها الجماعة والجهر بالقراءة.

لأن النبى ﷺ صلاها كذلك فى تلك الليالى، ويكون ابتداؤها فى الليلة التى تكون صبحتها رمضان، لأنها ليلة من شهر رمضان، ولأن النبى ﷺ كذلك صلاها، ويكون فعلها بعد صلاة الفرض، وبعد ركعتى سنة بتسليمة، لأن النبى ﷺ هكذا صلاها وهى عشرون ركعة يجلس عقيب كل ركعتين، ويسلم، فهى خمس ترويحات، كل أربعة منها ترويحة، وينوى فى كل ركعتين: أصلى ركعتى التراويح المسنونة إمامًا كان أو مأمومًا.

ويستحب أن يقرأ فى الركعة الأولى منها فى أول ليلة من شهر رمضان بالفاتحة ثم يعقبها بسورة العلق وهى ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق...﴾ لأنها أول سورة نزلت من القرآن عند إمامنا أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله، وكذلك عند جميع أئمة الدين والسنة رضوان الله عليهم، ثم يسجد فى آخرها، ثم ينهض فيبدأ بسورة البقرة.

ويستحب له قراءة الختمة كاملة ليسمع الناس جميع القرآن فيقفوا على ما فيه من الأوامر والنواهى والمواعظ والزواجر، ولا يستحب الزيادة على ختمة واحدة، لئلا يشق ذلك على المأمومين فيضجروا وتلحقهم السآمة ويكرهوا الجماعة ويثقلوا بها، فيفوتهم أجر عظيم وثواب جزيل، فيكون ذلك بسبب الإمام فيعظم إثمه فيكون من الفاتنين، وقد قال النبى ﷺ فى مثل ذلك لمعاذ رضى الله عنه: «أفتّان أنت يا معاذ» وذلك لما صلى بقوم وطول فى القراءة وقطع أحدهم الصلاة وانفرد، ثم شكا ذلك إلى النبى ﷺ[1].

ويستحب تأخير الوتر إلى آخر صلاة التراويح، ويقرأ فى الركعة الأولى ﴿سبّح اسم ربك الأعلى...﴾، وفى الثانية بسورة «الكافرون»، وفى الثالثة سورة الإخلاص، لأن النبى ﷺ كذلك كان يصلى.

ويكره التنفل بين كل ترويحتين، ويكره أن يصلى التراويح فى مسجدين وكذلك صلاة النوافل فى جماعة بعد التراويح فى إحدى الروايتين، لأنه هو التعقيب، وذلك مكروه عند الإمام أحمد رحمه الله تعالى، روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه كرهه، بل ينام نومة خفيفة، ثم يقوم ويأتى بما شاء من النوافل والتهجد ثم يرجع إلى منامه، وهى ناشئة الليل التى أثنى الله عليها وذكرها وقال: ﴿إن ناشئة الليل هى أشد

(١) ابن أبى شيبة ١/ ٣٥٩، وأحمد ٣/ ٢٩٩، والكنز (٢٢٩٢٥).

وطئًا وأقوم قيلاً﴾ [المزمل:٦].

والرواية الثانية: إن ذلـك جائز غير مكروه لكنه يؤخره لما روى عمر رضى الله عنه قال: تدعـون فضل الليل آخـره، الساعـة التى تنامون بهـا أحب إلى من الساعـة التى تقومون.

(فصل آخر: يختم به ما يتعلق بليلة القدر وجميع شهر رمضان)

قوله عز جل: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ [القدر ٤] إذا نزلت الملائكة والروح الذى هو جبريل عليه السلام ومعه سبعـون ألف ملك وهو أمير عليهم، فجبريل عليه السلام يسلم على من كان قاعدًا، والملائكة تسلم على من كان نائمًا، والبارىء سبحانه وتعالى يسلم على عباده من كان قائمًا، كما جاز أن يسلم الله عز وجل على عباده المؤمنين من أهل الجنة فى الجنة بقـوله: ﴿سلام قـولاً من رب رحيم﴾ [يس٥٨] جـاز أن يسلم على عباده الأبرار فى الدنيا الذى سبقت لهم منا الحسنى والعناية والسعادة فى الأزل، الفانين عن الخلق الباقين بالرب، المطمئنين إلى الحق، فلا يبـقى فى ليلة القدر بقعة إلا وعليها ملك ساجد أو قائم يدعو للمـؤمنين والمؤمنات إلا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت النار أو بيت الوثن، أو بعض أماكنهم التى يطرحـون فيها الخبث، فـلا يزالون يدعون ليلتهم تلك للمؤمنين والمؤمنات، وأما جبريل عليه السلام فلا يدع أحدًا من المؤمنين والمؤمنات إلاَّ ويسلم عليـه ويصـافحـه ويقـول له: إن كنت فى الطاعـة فـسلام عليـك بالقبـول والإحسان، وإن كـنت فى المعصية فـسلام عليك بالغفران، وإن كنت فى النـوم فسلام عليك بالرضـوان، وإن كنت فى القبر فـسلام عليك بالروح والريحـان، فهو قـوله عز وجل: ﴿من كل أمر * سلام﴾ [القدر:٤ ـ ٥].

وقيل: إن الملائكـة تسلم على أهل الطاعات ولا تسلم على أهل العـصيـان، فمنهم الظلمة لـيس لهم نصيب فى سلام المـلائكة، وآكل الحرام وقاطع الرحـم والنمام وآكل أموال اليتامى، ليس لهم نصيب فى سلام الملائكة، فأى مصيبة أعظم من هذه المصيبة؟.

يمضى شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، ولا يكون لك حظ فى سلام ملائكة رب العصاة والأبرار، فهل كـان ذلك إلاَّ لبعدك من الرحمن، وكونك من أهل الطغيان وموافـقى الشيطان، وتحليك بحلية سالكى سبيل النيـران؟ وبعدك وتجافيك عن سالكى سبيل الجنان، وهجرانك لطاعة من بيده الضرر والإحسان؟

فشهر رمضان شهر الصفاء وشهر الوفاء وشهر الذاكرين وشهر الصابرين وشهر الصادقين، فإذا لم يؤثر فى إصلاح قلبك وإقلاعك عن معاصى ربك ومجانبة أهل الشقاء والجرائم، فما الذى يؤثر فى قلبك؟ فأى خير يرجى منك؟ وأى بقية بقية فيك؟ وأى فلاح يترقب منك؟ فتنبه يا مسكين لما حل بك، واستيقظ من رقدتك وغفلتك، وانظر إلى الذى دهاك، وشيع بقية شهرك بالتوبة والإنابة، وتمتع فيها بالاستغفار والطاعة لعلك تكون ممن تناله الرحمة والرأفة، وودعها بإسبال العبرات، وابك على نفسك المشؤومة بالعويل والويل والنياحات، فكم من صائم لا يصوم غيره أبدًا، وكم من قائم لا يقوم بعده أبدًا، والعامل يعطى أجره عند فراغه من عمله وقد فرغنا من العمل، فليت شعرى أمقبول صيامنا وقيامنا أم مضروب بهما وجوهنا؟ يا ليت شعرى من المقبول منا فنهنيه؟ ومن المردود منا فنعزيه؟.

وقد قال النبى ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلاَّ الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلاَّ السهر»[1].

السلام عليك يا شهر الصيام، السلام عليك يا شهر القيام، السلام عليك يا شهر الإيمان، السلام عليك يا شهر القرآن، السلام عليك يا شهر الأنوار، السلام عليك يا شهر المغفرة والغفران، السلام عليك يا شهر الدرجات والنجاة من الدركات، السلام عليك يا شهر التائبين العابدين، السلام عليك يا شهر العارفين، السلام عليك يا شهر المجتهدين، السلام عليك يا شهر الأمان، كنت للعاصين حبسًا وللمتقين أنسًا، السلام على القناديل والمصابيح الزاهرة، والعيون الساهرة، والدموع الهاطلة، والمحاريب المتعطرة، والعبرات المنسكبة المتفطرة، والأنفاس الصاعدة من القلوب المحترقة.

اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامهم وصلاتهم وبدلت سيئاته بحسناته، وأدخلته برحمتك فى جناتك، ورفعت درجاته برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

(١) ابن ماجه (١٦٩٠)، وكشف الخفاء ١/ ٥١٣، والترغيب ٢/ ١٤٨

[مجلس]
فى ذكر يوم الفطر

قال الله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾ [الأعلى ١٤ ـ ١٥].

قوله: ﴿قد أفلح﴾ فالفلاح على وجهين:

أحدهما: الفوز والنجاة من النيران فى العقبى ومن الآفات والبلايا فى الدنيا.

والثانى: اليمن والسعادة بالتوفيق للطاعة فى الدنيا والخلود فى الجنان فى الأخرى، قال الله عز وجل: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون:١] يعنى سعدوا، ونظيره ﴿قد أفلح من تزكى﴾ [الاعلى.١٤] أى وفق للزكاة، وتطهيره إيمانه وتقواه من الآثام، وأما من لم يزكّ فلا فلاح له قال الله عز وجل: ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ [يونس١٧٠] أى لا يفوزوا ولا يسعدوا.

وأما قوله: ﴿من تزكى﴾ فقد اختلف فى ذلك:

فقال ابن عباس رضى الله عنهما: يعنى من تطهر من الشرك بالإيمان.

وقال الحسن رحمه الله: ﴿من تزكى﴾ يعنى من كان صالحًا وعمله زاكيًا ناميًا.

وقال أبو الأحوص: عنى به عز وجل زكاة الأموال كلها.

وقال قتادة وعطاء رحمهما الله: أراد به زكاة الفطر لا غير.

وقوله: ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قد اختلف فى ذلك أيضًا:

فقال ابن عباس رضى الله عنهما: معناه وحد الله تعالى وصلى الصلوات الخمس.

وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه: ﴿ذكر اسم ربه﴾ بالتكبير و ﴿صلى﴾ يعنى خرج إلى العيد فصلى.

وقال وكيع بن الجراح رحمه الله: زكاة الفطر لرمضان كسجدة السهو للصلاة.

وفرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من الرفث فكأنها جبران للصائم لما دخله من النقصان بالآثام من اللغو والرفث والكذب والغيبة والنميمة وأكل الشبهات والنظر إلى المستحسنات، فجعلت الفطرة مكفرة لها ومتممة للصيام جابرة له، كالتوبة للذنوب والاستغفار لها، والسجود للسهو، فكما أن السجود للسهو شرع ترغيمًا

للشيطان إذ كان هو السبب فى ذلك، فكذلك التوبة عن المعاصى والفطرة لرمضان شرعتا ترغيمًا له، لأن المعاصى والرفث الحاصل فى الصيام بسببه، أعاذنا الله وجميع المؤمنين من مكايده ومصايده وغوائله، وسلمنا من آفات الدنيا وبلائها، وأخرجنا منها إلى رحمته وكرامته برحمته ومنّه آمين.

(فصل) وإنما سمى العيد عيداً لأنه يعيد الله إلى عباده الفرح والسرور فى يوم عيدهم.

وقيل: إنما سمى عيداً لأن فيه عوائد الإحسان من الله وفوائد الامتنان منه للعبد.

وقيل: لأنه يعود العبد فيه إلى التضرع والبكاء، ويعود الرب عز وجل فيه إلى الهبة والعطاء.

وقيل: لأنهم عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من الطهارة.

وقيل: معناه عادوا من طاعة الله إلى طاعة الرسول ﷺ، ومن الفريضة إلى السنة، ومن صوم رمضان إلى صوم ستة أيام من شوال.

وقيل: إنما سمى عيداً لأنه يقال للمؤمنين فيه: عودوا إلى منازلكم مغفوراً لكم.

وقيل: إنما سمى العيد عيداً لأن فيه ذكر الوعد والوعيد، ويوم الجزاء والمزيد، ويوم عتق الإماء والعبيد، وإقبال الحق إلى القريب من خلقه والبعيد، ووجود الإنابة والأوبة من العبد الضعيف إلى الغفور الودود.

قال وهب بن منبه رحمه الله: خلق الله الجنة يوم الفطر، وغرس شجرة طوبى يوم الفطر، واصطفى جبريل عليه السلام للوحى يوم الفطر، والسحرة وجدوا المغفرة يوم الفطر.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم الفطر وخرج الناس إلى الجبانة اطلع الله عليهم فيقول: عبادى لى صمتم ولى صليتم انصرفوا مغفوراً لكم».

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ليلة الفطر يوفى الله تعالى أجور من صام شهر رمضان، فيأمر الله تعالى غداة الفطر لملائكته فيهبطون إلى الأرض، ويقومون على أفواه السكك ومجامع الطرق فينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق إلاَّ الإنس والجن: يا أمة محمد أخرجوا إلى ربكم عز وجل، يشكر القليل ويعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم وصلوا ودعوا لم يدع لهم

الرب تبارك وتعالى حاجة إلاَّ قضاها ولا سؤالاً إلا أجابه ولا ذنبًا إلا غفره، فينصرفون مغفورًا لهم».

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما: «فإذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، وإذا كان غداة الفطر بث الله ملائكته فى كل البلاد، فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه كل من خلق الله تعالى إلاَّ الجن والإنس، فيقولون: يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله تعالى لملائكته: يا ملائكتى، فيقولون: لبيك وسعديك، فيقول لهم: ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فيقولون: إلهنا وسيدنا ومولانا ـ توفيه أجره، فيقول جل جلاله: أشهدكم يا ملائكتى أنى قد جعلت ثواب صيامهم من شهر رمضان وقيامهم رضائى ومغفرتى، ثم يقول: يا عبادى سلونى فوعزتى وجلالى لا تسألونى اليوم فى جمعكم شيئًا لآخرتكم إلا أعطيتكم، ولا لدنياكم إلاَّ نظرت لكم، وعزتى وجلالى لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتمونى، ولا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود، انصرفوا مغفورًا لكم، قد أرضيتمونى ورضيت عنكم، قال: فتفرح الملائكة وتستبشر بما يعطى الله عز وجل هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان».

(فصل) وأربعة أعياد لأربعة أقوام:

أحدها: عيد قوم إبراهيم، قوله عز وجل: **﴿فنظر نظرة فى النجوم * فقال إنى سقيم﴾** [الصافات: ٨٨ ـ ٨٩].

وذلك أن قومه خرجوا إلى عيد لهم فتخلف إبراهيم عليه السلام عنهم واعتل بعلة ولم يخرج معهم، لأنه لم يكن على دينهم، فلما خرجوا أخذ فأسًا وكسر أصنامهم، وجاء بالفأس فوضعه على عنق الصنم الكبير، فلما رجعوا قالوا: **﴿من فعل هذا بآلهتنا...﴾** [الأنبياء: ٥٩] إلى قوله عز وجل: **﴿أأنت فعلت هذا بآياتنا يا إبراهيم﴾** [الأنبياء ٦٢] القصة إلى آخرها، فغار خليل الرحمن عليه السلام لربه، فأتعب يده بكسر الأصنام وخاطر بنفسه فى ولاية رب الأنام، فأكرمه ربه بالخلة، وأحيا على يده الطيور الميتة، وأخرج من ظهره أهل الرسالة والنبوة وجعله أبا المصطفى خير البرية ﷺ.

وأما العيد الثانى: فهو عيد قوم موسى كليم الرحمن عليه السلام، قوله عز جل: **﴿موعدكم يوم الزينة﴾** [طه ٥٩].

قيـل: سمى يوم الزينة لأنه عـز وجل زين موسى وقـومه بإهلاك عـدوهم فـرعون وقومه، فخرج مع فرعون وقومه اثنان وسبعون ساحراً،

وقيل: ثلاثة وسبعـون، ومعهم ستمائة ألف عصا وحـبل، وجعلوا فى وسط العصا الزئبق، والخلائق قيام على الرمـضاء، واشتد حرّ الشمس فسـال الزئبق فسعت العصى الملتفة بالحبال، فتخيل للناس أنها حيات تسعى وهى لا تتحرك ﴿فأوجس فى نفسه خيفة موسى﴾ [طه٦٧] على قومه، قال: ربما يتوهمون أن الذى فعلوه حق فينقص إيمانهم أو يرتدون، فقال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وألق عصاك﴾ [النمل: ١٠] فألقاها فإذا هى تلقف ما يأفكون وألـقى موسى عصـاه فإذا هى حية كـأعظم جمل يكون، ولهـا عينان تتقـدان ناراً، ودمدمـة وهيبة، فـأقبلت على مـا صنعوا من السحـر والحبـال والعصى فتلقفتها، يعنى التقمتها بأسرها ولم تتغير بانفتاخ بطن ونقصان حركة ولا زاد فى طولها ولا فى عرضها ﴿فألقى السحرة ساجدين﴾ [الشعراء.٤٦] له عز وجل وكان أكبرهم اسمه شمـعون، فـ ﴿قـالوا آمنا﴾ [الشعراء:٤٧] يعنـى صـدقـنا بـ ﴿رب مـوسى وهارون﴾ [الشعراء.٤٨] ثم أقبلت الحية على عسكر فرعون وقومه فانهزموا.

وقيل: مات منهم خمسون ألفًا، القصة بطولها.

وأما الثالث: فهـو عيد عيسى عليه السلام وقومـه، قوله تعالى: ﴿اللهم ربـنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك﴾ [المائدة١١٤].

وذلك أن الحواريين قـالوا: يا عيسى هل يستطيع ربك أن يعطيك إن سـألته أن ينزل علينا مائدة من السـماء، قال لهم عـيسى عليه السـلام: اتقوا الله فلا تسـألوه البلاء إن كنتم مـؤمنين، فإنهـا إن أُنزلت ثم كـذبتم بها عـوقبـتم ﴿قـالوا نريد أن نـأكل منهـا﴾ [المائدة:١١٣] فقد جعنا ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ [المائدة:١١٣] يعنى تسكن قلوبنا إلى مـا تدعونا إليه مـن الإيمان والتـصديق ﴿ونعلم أن قـد صدقـتنا﴾ [المائدة١١٣] بأنك نبى ورسـول ﴿ونكون عليها﴾ [المائدة: ١١٣] يعنى عـلى المائدة ﴿من الشاهدين﴾ [المائدة: ١١٣] عند بنى إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

والحواريون هم الذين أجـابوا عيـسى عليه السلام حـين مر بهم وهم ببـيت المقدس يقصرون الثياب.

وبالنبطية: الحواريون: المبيضون للثياب، وهم اثنا عشر رجلاً لما قال لهم عيسى عليه

السلام: ﴿من أنصارى إلى الله﴾ [الصف ١٤، وآل عمران ٥٢] يعنى من ينصرنى مع الله على أهل الكفر والطغيان فأدعوهم إلى طاعة الله تعالى وتوحيده فـ ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ [الصف ١٤، وآل عمران. ٥٢] فتركوا معيشتهم واتبعوا عيسى عليه السلام يسبّحون معه أينما توجه من الأرض، فيرون العجائب والمعجزات التى تجرى على يده عليه السلام، فأى وقت جاعوا أو احتاجوا إلى الطعام أخرج عيسى يده فأخرج من الأرض لكل واحد منهم رغيفين ولنفسه كذلك، وكان جبريل عليه السلام يمشى معه ويريه العجائب ويؤيده ويبصره بالأشياء، فما زال عيسى عليه السلام يرى بنى إسرائيل العجائب ولم يزدهم ذلك إلا بعدًا من تصديقه واتباعه، حتى خرج معه يومًا خمسة آلاف بطريق من بنى إسرائيل وسألوه المائدة مع الحواريين، فقال عيسى ابن مريم عليه السلام عند ذلك: ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا﴾ [المائدة: ١١٤].

يقول: تكون عيدًا لمن كان فى زماننا عند نزول المائدة، وتكون عيدًا لمن بعدنا، وتكون المائدة ﴿آية منك وارزقنا﴾ [المائدة: ١١٤] يعنى المائدة ﴿وأنت خير الرازقين﴾ [المائدة ١١٤] من غيرك فإنك خير من يرزق ﴿قال الله﴾ [المائدة ١١٥] تعالى: ﴿إنى منزلها﴾ [المائدة ١١٥] يعنى المائدة عليكم ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ [المائدة ١١٥] أى بعد نزولها منكم ﴿فإنى أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين﴾ [المائدة: ١١٥] فأنزلها الله عليهم يوم الأحد من السماء سمكًا طريًا وخبزًا رقاقًا وتمرًا.

وقيل: كانت سفرة فيها سمكة مشوية، وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وفيها خمسة أرغفة، على كل رغيف زيتونة، وخمس رمانات وتمرات قد نضد حولها من البقول ما خلا الكراث.

وقيل: إن عيسى عليه السلام قال لأصحابه وهم جلوس فى روضة: هل مع أحد منكم شىء؟ فجاء شمعون بسمكتين صغيرتين وخمسة أرغفة، وجاء آخر بشىء من السويق، فعمد عيسى عليه السلام فقطعهما صغارًا وكسر الخبز فوضعه فلقًا، ووضع السويق، وتوضأ ثم صلى ركعتين ودعا ربه، فألقى الله سبحانه وتعالى على أصحابه شبه السبات، ففتح القوم أعينهم وزاد الطعام حتى بلغ الركب، فقال عيسى عليه السلام للقوم: كلوا وسمّوا الله ولا ترفعوا، وأمرهم أن يجلسوا حلقًا حلقًا، فجلسوا وأكلوا

حتى شبعوا وهم خمسة آلاف رجل، وقيل إنهم كانوا ألف رجل وثمانمائة رجل وامرأة من بين فقير وجائع وبين من له فاقة إلى رغيف واحد، فصدروا كلهم شباعًا يحمدون ربهم، وإذا ما عليها كهيئته، ورفعت السفرة إلى السماء وهم ينظرون، قال فاستغنى كل فقير أكل منها يومئذٍ فلم يزل غنيًا حتى مات، وبرىء كل زمن وشفى كل مريض.

وقال مقاتل: فنادى عيسى عليه السلام: أكلتم؟ قالوا: نعم، قال: فلا ترفعوا، قالوا: لا نرفع ورفعوا، فبلغ كل ما رفعوا من الفضل أربعة وعشرين مكتلاً، فآمنوا عند ذلك بعيسى عليه السلام وصدقوا به ثم رجعوا إلى قومهم اليهود، يعنى بنى إسرائيل ومعهم فضل المائدة، فلم يزل بهم قومهم حتى ارتدوا عن الإسلام، وكفروا بالله تعالى، وجحدوا بنزول المائدة، فمسخهم الله عز وجل وهم نيام خنازير ذكور، وليس فيهم صبى ولا امرأة.

وقيل فى ذلك إشارة: مائدة وضع عليها طعام محدود، صدر عنها الجم الغفير والجمع الكثير وهى بحالها، فكيف بمائدة الرضا وبساط الرحمة التى لا حد لها ولا نهاية.

ففى الخبر «إن لله عز وجل مائة رحمة، واحدة أنزلها إلى خلقه فبها يتراحمون وبها يتعاطفون، وأخَّر تسعة وتسعين عنده يرحم بها عباده يوم القيامة»[1].

وفى خبر آخر «أن يوم القيامة يبسط الجليل جل جلاله بساط المجد يدخل ذنوب الأولين والآخرين فى حواشيه ويبقى البساط فارغًا حتى يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه».

ومع ذلك لا ينبغى لكل عاقل لبيب أن يتكل على ذلك ويغتر به، ولا يغلبه الرجاء فيهلك، بل يبذل مجهوده ويستفرغ وسعه فى أداء الأوامر وانتهاء النواهى وتسليم الأمور والقدر إلى الله عز وجل، ويكثر من الاستغفار والتوبة، ويكون أبدًا على حذر، لا خوف مؤيس من رحمة الله، ولا رجاء يوقع فى ارتكاب المحارم وإهمال الأوامر، بل يبتغى بين ذلك سبيلاً، كما قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، فليكن خوفه ورجاؤه كجناحى الطائر، والطائر لا يطير بجناح واحد.

وأما العيد الرابع: فهو عيد أمة محمد ﷺ وقد ذكرنا ما يتعلق به أول المجلس.

---

(١) حسن الظن (٥).

(فصل) يشترك المؤمن والكافر فى العيد، فكل له عيد، فالمؤمن عيده لرضا الرحمن، والكافر عيده لرضا الشيطان، المؤمن يذهب إلى عيده وعلى رأسه تاج الهداية وعلى عينيه علامة فكرة العبرة، وعلى أذنيه استماع الحق، وعلى لسانه الشهادة بالتوحيد، وفى قلبه المعرفة واليقين، وعلى عنقه رداء الإسلام، وفى وسطه منطقة العبودية، ومعدنه المحاريب والمساجد، ومعبوده رب العباد والبرية، ثم التضرع منه والسؤال، ويقابله الرب بالإجابة والنوال، ثم يحله دار الكرامة والجنان.

والكافر يذهب إلى عيده وعلى رأسه تاج الخسران والضلال، وعلى أذنيه ختم الغفلة والحجاب، وعلى عينيه السهو والشهوات، وعلى لسانه ختم الشقاوة والإبعاد، وعلى قلبه ظلمة النكرة والجحود، وعلى وسطه زنار الفرقة والشقاق، وموضعه البيعة والكنائس أو بيت النار، ومعبوده الوثن والأصنام، ومصيره آخراً إلى جهنم والنيران.

(فصل) ليس العيد بلبس الناعمات وأكل الطيبات ومعانقة المستحسنات والتمتع باللذات والشهوات.

لكن العيد بظهوره علامة القبول للطاعات، وتكفير الذنوب والخطيئات، وتبديل السيئات بالحسنات، والبشارة بارتفاع الدرجات، والخلع والطرف والهبات والكرامات، وانشراح الصدر بنور الإيمان، وسكون القلب بقوة اليقين وما ظهر عليه من العلامات، وانفجار بحور العلوم من القلوب على الألسنة وأنواع الحكم والفصاحة والبلاغة.

كما قيل: إن رجلاً دخل على على رضى الله عنه وكرّم الله وجهه فى يوم عيد وهو يأكل الخبز الخشكار فقال له: اليوم يوم العيد وأنت تأكل الخبز الخشكار؟ فقال: اليوم عيد لمن قبل صومه، وشكر سعيه، وغفر ذنبه، اليوم لنا عيد وغداً لنا عيد، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد.

فينبغى لكل عاقل أن يترك النظر إلى الظاهر ولا يتقيد به، بل يكون نظره فى يوم العيد نظر التفكر والاعتبار، فيشبه العيد بيوم القيامة، فليذكر نفخ الصور يوم القيامة عند سماع صوت بوق السلطان ليلة العيد، وإذا بات الناس ليلة العيد ورقدوا منتظرين عيدهم متأهبين له، فيذكر الرقود بين النفختين، وإذا رأى الناس صبيحة يوم العيد وقد خرجوا من قصورهم وبيوتهم مختلفى الأحوال متفاوتى اللباس والألوان كل له زى وحلية، واحد منهم مسرور وواحد مغموم، وواحد راكب وآخر ماش، وواحد غنى

وآخر فقير، وواحد فى فرحة وآخر فى ترحة، فليذكر تفاوت أهل القيامة، أهل الطاعة مسرور وأهل المعصية مغموم، المتقى راكب والمجرم المشرك متعثر مكبوب على وجهه مسحوب أو ماش.

كما قال عز من قائل: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾ [مريم ٨٥] أى ركبانًا على النجائب ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا﴾ [مريم.٨٦] أى عطاشًا.

والزاهد والعارف والبدل كل واحد فى راحة وغنى عند مليكهم ومحبوبهم تحت ظل العرش عليهم الحلى والحلل، وأنوار الطاعات والمعارف على وجوههم ظاهرة وهى نضرة مشرقة، وبين أيديهم موائد عليها أنواع الأطعمة والأشربة والفواكه حتى يقضى حساب الخلائق، ثم يصيرون إلى الجنة إلى منازلهم التى أعد الله تعالى لهم، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

كما قال الله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة:١٧].

وأما الراغب فى الدنيا فهو فى نياحة وبكاء وعناء، ومصدود عما فيه القوم من النعم بدنياه، وتناوله الحرام والشبهات، وتخليطه فى طاعة ربه، وهو يرى مكانه فى الجنة فلا يصل إليه حتى يخرج مما عليه من الحقوق.

والكافر ينادى بالويل والثبور لما قد عاين وانكشف له من أنواع العذاب والنكال والهوان والهلاك والخلود فى النيران، وإذا رأى الأعلام قد نشرت والألوية قد ضربت فليذكر أهل الإسلام أصحاب الأعلام حين ينادى منادى الرحمن بالتوجه إلى ريارة رب الأنام إلى دار السلام بأمر السلام.

وإذا رأى الصفوف قد استكملت والخلائق قد اجتمعت فليذكر وقوف الخلائق بين يدى الجبار وصفوف الفجار والأبرار يوم النشر الذى فيه تظهر الأسرار.

وإذا رأى الناس قد انصرفوا من الجبانة فكل يرجع إلى ما قد قسم له من دار أو مسجد أو خان، فليذكر منصرف الخلائق من بين يدى الملك المنان الديان إلى الجنة أو إلى النار كما قال ذو العظمة والامتنان: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ [الروم ١٤] ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾ [الشورى ٧].

* * *

مجلس
فى فضائل أيام العشر

قوله عز وجل: ﴿والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ [الفجر ١ ـ ٥].

﴿والفجر﴾ اختلف الناس فى ذلك، فقال ابن عباس رضى الله عنهما عنى بالفجر: صلاة الصبح، ﴿وليال عشر﴾ هى عشر ذى الحجة ﴿والشفع﴾ الخلق ﴿والوتر﴾ هو الله ﴿والليل إذا يسر﴾ يعنى إذا ذهب ﴿هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ أى إن ذلك قسم لذى لب وعقل، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر ١٤].

وقال مقاتل رحمه الله: ﴿والفجر﴾ عنى به: غداة جمع يوم النحر، ﴿وليال عشر﴾ وهى عشر ليال قبل الأضحى، وإنما سماها عز وجل: ليال عشر، لأنها تسعة أيام وعشر ليال، ﴿والشفع والوتر﴾ أما الشفع: فآدم وحواء عليهما السلام، والوتر: فهو الله عز وجل، ﴿والليل إذا يسر﴾ إذا أقبل، وهى ليلة الأضحى، فأقسم عز وجل بيوم النحر والعشر وبآدم وحواء، وأقسم بنفسه تبارك وتعالى وبليلة الأضحى، فلما فرغ منها قال: ﴿هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ يعنى: هل فى ذلك القسم كفاية لذى لب، يعنى ذا عقل، فيعرف عظم هذا القسم ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾.

وقيل: المراد بالفجر: فجر النهار، وقيل: هو النهار، فعبر عنه بالفجر، لأنه أوله.

وقال مجاهد رحمه الله: هو فجر يوم النحر خاصة.

وقال عكرمة رحمه الله: أقسم الله تعالى بانفجار المياه من العيون والنبات من الأرض، والثمار من الشجر.

وقيل: أقسم الله بانفجار الماء من أصابع النبى ﷺ.

وقيل: أقسم الله بانفجار الصخرة وخروج الناقة لصالح.

وقيل: أقسم الله تعالى بانفجار الماء من الحجر بعصا موسى عليه السلام.

وقيل: أقسم الله بانفجار الماء من عيون العصاة.

وقيل: أقسم الله تعالى بانفجار المعرفة من القلوب كما قال الله تعالى: ﴿أوَمَن كان

ميتًا فأحييناه﴾ [الأنعام:١٢٢] يعنى بالإيمان والمعرفة، وأيضًا قوله تعالى: ﴿وليال عشر﴾.

روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: «﴿والفجر وليال عشر﴾: هى عشر الأضحى»

وقال ابن الزبير وابن عباس رضى الله عنهم: إنها عشر ذى الحجة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما، فى رواية أخرى: إنه العشر الأواخر من شهر رمضان.

وقال مجاهد رحمه الله: إنها عشر موسى عليه السلام.

وقال محمد بن جرير الطبرى رحمه الله: إنها عشر أول المحرم.

قوله تعالى: ﴿والشفع والوتر﴾:

قال قتادة والسدى رحمهم الله: الشفع: كل اثنين، والوتر. هو الله تعالى.

وقيل: هما آدم وحواء، وهو قول مقاتل، وهو أن آدم كان وترًا فشفع بزوجته حواء.

وقيل: الصلاة منها شفع، ومنها وتر.

قال الربيع بن أنس وأبو العالية رحمهم الله: هى صلاة المغرب الشفع فيها ركعتان، والوتر الثالثة.

وقيل: الشفع هو يوم النحر، لأنه العاشر، والوتر هو يوم عرفة لأنه التاسع.

وقيل: الشفع يومان بعد النحر، والوتر اليوم الثالث.

قوله تعالى: ﴿والليل إذا يسر﴾ يعنى إذا ذهب.

وقيل: إذا أظلم. وقيل: إنه ليلة المزدلفة خاصة. وقيل: يعنى إذا سرى فيه أهله، لأن السرى: هو سرى الليل.

وقوله تعالى: ﴿هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ يعنى لذى عقل، وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما.

وقال الحسن وأبو رجاء رحمهما الله: لذى علم، وقال محمد بن كعب رحمه الله لذى دين، معناه: إن فى ذلك قسم لذى حجر، و «هل» هاهنا فى موضع «إن».

ومعنى قوله عز وجل: ﴿والفجر * وليال عشر﴾ وحق رب الفجر، وحق رب ليال عشر إلى آخر القسم، وكذلك فيما شاكل ذلك كقوله تعالى. ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس:١]، ﴿والسماء والطارق﴾ [الطارق:١]، ﴿والسماء ذات البروج﴾ [البروج ١] وغيرها.

فصل

فيما ورد في عشر ذي الحجة من كرامات الأنبياء
وما نقل في ذلك من الأخبار والأنباء وفضائل الأعمال

أخبرنا الشيخ أبو البركات، قال: أنبأنا الشيخ الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن زرقونة، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله الشافعي رحمه الله، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بحلب، قال: أنبأنا عمرو بن عثمان، قال: أنبأنا الوليد، عن ابن المبارك، عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضى الله عنهما أنه قال فى عشر ذى الحجة: قبل الله توبة آدم، وتاب عليه بعرفة، لأنه اعترف بذنبه.

وفيه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام الخلة فبذل ماله للضيفان، ونفسه للنيران، وولده للقربان، وقلبه للرحمن، ولم يصح لأحد التوكل إلاَّ لإبراهيم خليل الرحمن.

وفيه بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة الشريفة قال الله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ [البقرة:١٢٧].

وفيه أكرم الله موسى عليه السلام بالمناجاة.

وفيه نزلت على داود المغفرة وفيه كانت ليلة المباهاة.

وقيل: فيه افتتاح نزول القرآن بكرة يوم الأضحى والنبي ﷺ متوجه إلى المصلى.

وفيه كانت بيعة الرضوان، فأنزل الله تعالى: ﴿إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح:١٨] وهى شجرة سمرة كان ذلك يوم الحديبية، وأصحاب رسول الله ﷺ ألف وأربعمائة رجل، وقيل: ألف وخمسمائة رجل، وأول من أطلق يده للمبايعة أبو سنان الأسدى، عليه وعلى جميع الصحابة رحمة الله تعالى وبركاته وتحياته والتابعين لهم بإحسان.

وفيه يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر وهو يوم الحج الأكبر، وأخبرنا الشيخ أبو البركات، عن أحمد بن على الحافظ، بإسناده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «سيد الشهور شهر رمضان، وأعظمها حرمة ذو الحجة»[1].

وأخبرنا الشيخ أبو البركات، عن الفضل بن محمد القصار الأصفهانى قال: أنبأنا أبو

(١) المجمع ٣/ ١٤٠.

سعيد الحسن بن على بن سهلان، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الوراق قال: أخبرنا أبو بكر البزار، قال: أخبرنا أبو كامل الفضل بن الحسين الجحدرى، قال: أنبأنا أبو عاصم بن هلال، عن أيوب، عن ابن الزبير، عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «أفضل أيام الدنيا أيام عشر ذى الحجة، قيل: ولا مثلها فى سبيل الله؟ قال: ولا مثلها فى سبيل الله، إلاَّ رجل عفر وجهه فى التراب»(١).

وأخبرنا الشيخ أبو البركات عن القاضى أبى المضفر هناد بن إبراهيم البخارى النسفى بإسناده عن عطاء بن أبى رباح، قال: سمعت عائشة رضى الله عنها قالت: «كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يحب السماع يعنى الغناء، وكان إذا أهل هلال ذى الحجة أصبح صائمًا، فاتصل الحديث برسول الله ﷺ فأحضروا الرجل وقال له: «ما حملك على صيام هذه الأيام، فقال: يا رسول الله إنها أيام مشاعر وأيام الحج، فأحببت أن يشركنى الله تعالى فى دعائهم فقال له النبى ﷺ: لك بعدد كل يوم تصومه عتق مئة رقبة ومئة بدنة تهديها، ومئة فرس تحمل عليها فى سبيل الله، فإذا كان يوم التروية، فلك عتق ألف رقبة وألف بدنة تهديها فى سبيل الله وألف فرس تحمل عليها فى سبيل الله، فإذا كان يوم عرفة فلك عتق ألفى رقبة وألفى بدنة تهديها وألفى فرس تحمل عليها فى سبيل الله، وصيام سنة قبلها وسنة بعدها».

وأخبرنا الشيخ أبو البركات بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل منه فى هذه الأيام، يعنى أيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلاَّ رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء»(٢).

وأخبرنا الشيخ أبو البركات، عن أبى بكر بن أحمد بن على بن ثابت الحافظ بإسناده عن هبيرة بن خالد الخزاعى، عن حفصة رضى الله عنها أنها قالت: «أربع لم يكن النبى ﷺ يتركهن: صوم عشر ذى الحجة، وعاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر، وركعتين قبل الغداة».

وأخبرنا الشيخ أبو البركات، عن حمزة بن عيسى بن الحسن الوراق بإسناده عن

---

(١) ابن عدى ٧/ ٢٥٢٣.

(٢) أحمد ١/ ٣٤٦.

سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من أيام أحب إلى الله تعالى أن يتعبد له فيهن من أيام عشر ذى الحجة، وإن صيام يوم يعدل صيام سنة، وقيام ليلة كقيام سنة»[١].

وأخبرنا الشيخ أبو البركات عن الحسن بن أحمد المقرئ بإسناده، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «من صام أيام العشر كتب الله له بكل يوم صوم سنة»[٢].

وعن سعيد بن جبير رحمه الله أنه كان يقول: لا تطفئوا سرجكم ليال العشر، ويأمر بإيقاظ الخدم، وتعجبه فيه العبادة.

(فصل) وأما الصلاة الواردة فى أيام العشر:

فما أخبرنا به الشيخ أبو البركات، عن الشريف أبى عبد الله محمد بن على بن محمد بن يحيى بن المهدى بإسناده، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحيا ليلة من ليالى عشر ذى الحجة، فكأنما عبد الله عبادة من حج واعتمر طول سنته، ومن صام فيها يومًا فكأنما عبد الله تعالى سائر سنته».

وأخبرنا الشيخ أبو البركات عن محمد بن محمد بن عبد العزيز الشاهد بإسناده عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين، عن أبيه محمد بن على، عن أبيه على بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين بن على، عن أبيه على رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا دخل عشر ذى الحجة، فجدُّوا فى الطاعة، فإنها أيام فضلها الله تعالى وجعل حرمة ليلها كحرمة نهارها، فمن صلى فى ليلة من ليالى العشر فى الثلث الأخير أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بالحمد مرة، والمعوذتين، ويكرر سورة الإخلاص ثلاثًا، ويقرأ آية الكرسى، ويكرر ذلك فى كل ركعة، فإذا فرغ من صلاته رفع يديه وقال: سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى القدرة والملكوت، سبحان الله الحى الذى لا يموت، لا إله إلا هو يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، سبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا على كل حال، الله أكبر كبيرًا، ربنا جل

(١) الإتحاف ٤/٢٥٧، والعلل المتناهية ٢/٧٢، وشرح السنة ٤/٣٤٦، والترغيب ٢/١٩٩.
(٢) الكنز (٢٤٢٦٥)، وابن عدى ٦/٤٧٢.

جلاله وقدرته بكل مكان ـ قال الشيخ: يعنى علمه بكل مكان ـ ثم يدعو بما شاء، فإن له من الأجر بإزاء من حج إلى بيت الله الحرام وزار قبر النبى ﷺ وجاهد فى سبيل الله، ولم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، وإن صلاها فى كل ليلة من ليالى العشر، أحله الله تعالى الفردوس الأعلى، ومحا عنه كل سيئة، وقيل له: استأنف العمل، فإذا كان يوم عرفة، وصام نهارها، وصلى ليلها، ودعا بهذا الدعاء، وأكثر التضرع بين يدى الله تعالى يقول الله: يا ملائكتى اشهدوا أنى قد غفرت له وأشركته بالحجاج إلى بيتى، قال: فتستبشر الملائكة بما يعطى الله تعالى ذلك العبد بصلاته ودعائه[1].

(فصل) والعشر لخمسة أنبياء عليهم السلام:

الأول: عشر آدم عليه السلام، وهو أنه لما خلق الله حواء من ضلعه الأيسر القصير وهو نائم، فاستيقظ من سنته، فرأى حواء جالسة عنده، فقال لها: لمن أنت؟ قالت: لك، فأراد أن يمسها، فقيل له. لا تمسها حتى تعطى مهرها، قال: إلهى وما مهرها؟ قال الله تعالى: هو أن تصلى على نبى آخر الزمان عشرًا فذلك مهرها.

والثانى: عشر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ [البقرة:١٢٤] وهى عشر خصال: خمس منها فى الرأس: الفرق، وقص الشارب، والسواك، والمضمضة، والاستنشاق، وخمس منها فى البدن: وهى تقليم الأظفار، ونتف الإبطين، والختان، وحلق العانة، وتخليل الأصابع.

فلما أتم إبراهيم عليه السلام هذه الخصال العشرة أكرمه الله تعالى بالخلة، قوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [النساء ١٢٥].

والثالث: عشر شعيب النبى عليه السلام، قوله عز وجل: ﴿فإن أتممت عشرًا فمن عندك﴾ [القصص ٢٧] وهو أنه أجره موسى عليه السلام نفسه عشر سنين، فكان أجرته مهر ابنة شعيب النبى عليه السلام.

وقيل: إن شعيبًا عليه السلام بكى عشرين سنة حتى ذهب بصره، فرد الله بصره عليه فأوحى الله إليه: يا شعيب إن كنت تخاف النيران فقد أمنتك، وإن كنت تريد الجنان فقد وهبت لك، وإن كنت تطلب الرضوان فقد أعطيتك، فقال: يا جبريل ليس بكائى حبًا للجنان، ولا خوفًا من النيران، ولكن شوقًا إلى لقاء الرحمن، فقال الله عز وجل:

(١) الدارقطنى ٤/٢٧٨.

الآن حق لك، فابك ثم ابك ثم عوض لبكائه وهو أن جعل الله نبيه موسى عليه السلام خادمًا له عشر سنين، جزاء لما كان من بكائه على محبته، سوى ما قد ادخر له عنده من الكرامات والمنازل العاليات والقرب منه تبارك وتعالى، والنظر إلى وجهه الكريم، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والرابع: عشر موسى عليه السلام، قوله عز وجل: **﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر﴾** [الأعراف:١٤٢].

وذلك أن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام المناجاة، وأعطاه التوراة، فصام موسى عليه السلام ثلاثين يومًا، وكان ذلك شهر ذى الحجة، وقيل: إنه شهر ذى القعدة، فلما قصد المناجاة وضع قطعة زيتون فى فيه لما شاهد من تغير رائحة فمه، فقال عز وجل: يا موسى أما علمت أن خلوف فم الصائم عندى أطيب من ريح المسك؟ ثم أمره أن يصوم عشرًا من المحرم آخرها يوم عاشوراء.

وعلى قول من قال: الشهر كان ذا القعدة، فيكون عشر ذى الحجة، ثم قربه وأكرمه بالمناجاة والقربة، قوله عز وجل: **﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾** [الأعراف:١٤٣].

والخامس: عشر نبينا المصطفى ﷺ قوله تعالى: **﴿والفجر * وليال عشر﴾** [الفجر:١-٢] يعنى عشر ذى الحجة، وقد ذكرناه.

(فصل) وقيل: من أكرم هذه الأيام العشرة أكرمه الله تعالى بعشر كرامات:

البركة فى عمره، والزيادة فى ماله، والحفظ لعياله، والتكفير لسيئاته، والتضعيف لحسناته، والتسهيل لسكراته، والضياء لظلماته، والتثقيل لميزانه، والنجاة من دركاته، والصعود على درجاته.

ومن تصدق فى هذه الأيام العشر بصدقة على مسكين، فكأنما تصدق على أنبيائه ورسله، ومن عاد فيها مريضًا فكأنما عاد أولياء الله وبدلائه، ومن شيع جنازة فكأنما شيع جنائز شهدائه، ومن كسا مؤمنًا كساه الله تعالى من حلله، ومن لطف فيها بيتيم لطف الله تعالى به فى القيامة تحت ظل عرشه، ومن حضر مجلسًا من مجالس العلم، فكأنما حضر مجالس أنبياء الله ورسوله.

وقال وهب بن منبه رحمه الله: إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض بكى على ذنبه ستة أيام، ثم أوحى الله إليه فى اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس رأسه، يا

آدم ما هذا الجهد الذى بك؟ فقال: إلهى عظمت مصيبتى، وأحاطت بى خطيئتى، وصرت فى دار الهوان بعد الكرامة، وفى دار الشقاوة بعد السعادة، وفى دار الموت والفناء بعد الخلد والبقاء، فكيف لا أبكى على خطيئتى؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم أما اصطنعتك لنفسى، ثم اصطفيتك على خلقى، وخصصتك بكرامتى، وألقيت عليك محبتى؟ أما خلقتك بيدى وأسجدت لك ملائكتى؟ ألم تكن فى بحبوحة كرامتى ومنتهى رحمتى، فعصيت أمرى، ونسيت عهدى؟ فكيف نسيت نعمتى؟ فوعزتى وجلالى لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك يعبدونى ويسبحونى الليل والنهار ولا يفترون ثم عصونى لأنزلتهم منازل العاصين.

قال: فبكى عند ذلك ثلاث مئة عام على جبل الهند تجرى دموعه فى أودية جبالها فنبتت من تلك الدموع أشجار طيبة، فقال له جبريل عليه السلام: اذهب إلى بيت الله الحرام، واصبر حتى تدخل أيام العشر، ثم تب إلى الله لعله يرحم ضعفك، فمضى فكان يخطو خطوة، فكان موضع قدميه عمرانًا، وما بينهما مفاوز.

وقيل: كان بين قدميه ثلاثة فراسخ، حتى أتى البيت، فطاف بالبيت أسبوعًا، وبكى حتى خاض فى دموعه إلى ركبتيه، وجرت على الأرض، فقال: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءًا، وظلمت نفسى فاغفر لى وأنت خير الغافرين، وارحمنى إنك أرحم الراحمين، فأوحى الله إليه: يا آدم قد رحمت ضعفك، وغفرت ذنبك، وقبلت توبتك، فذلك قوله عز وجل: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [البقرة:٣٧] فوجد آدم من بركات أيام العشر ـ التوبة.

وكذلك المؤمن الذى عصى ربه واتبع هواه فى معصية مولاه إذا تاب وأناب، وانقاد لطاعة مولاه فى هذه الأيام يتفضل عليه بالرحمة والغفران، وإبدال السيئات بالحسنات برحمة منه.

(فصل) وقد أقسم الله تعالى بـ ﴿الفجر وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر...﴾ إلى قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وهى ثمان قناطر على جسر جهنم، فيسئل العبد فى أول موقف منها عن الإيمان بالله، فإن كان مؤمنًا نجا، وإلا تردّى فى النار، ثم جاز إلى الثانى فيسئل عن الوضوء والصلاة، فإن قصر فيهما تردّى إلى النار، وإن أكمل ركوعها وسجودها نجا، ثم جاز إلى الثالث فيسئل عن الزكاة، فإن كان قد أدّاها نجا، ثم

جاز إلى الرابع، فيسئل عن الصيام، فإن كمل صيامه نجا، ثم جاز إلى الخامس فيسئل عن الحجّ والعمرة، فإذا كان أدّاهما نجا، ثم جاز إلى السادس فيسئل عن الأمانة، فإن لم يخن فيها نجا، ثم جاز إلى السابع فيسئل عن الغيبة والنميمة والبهتان، فإن لم يكن اغتاب نجا، ثم جاز إلى الثامن فيسئل عن أكل الحرام، فإن لم يكن أكل نجا وإلا تردّى فى النار.

* * *

[مجلس]
فى ذكر يوم التروية

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وأذِّن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾ [الحج.٢٧] وهذه الآية فى سورة الحج، وهى من أعاجيب سور القرآن العظيم، لأن فيها مكيًا ومدنيًا وحضريًا وسفريًا وليليًا ونهاريًا، وفيها ناسخ ومنسوخ.

فأما المكى فمن رأس ثلاثين آية منها إلى آخرها، وأما الآيات المدنية فمن رأس خمسة عشر إلى رأس الثلاثين، وأما الليالىّ منها فمن أولها إلى رأس خمس آيات، وأما النهارى منها فمن رأس خمس إلى رأس تسع، وأما الحضرى منها فإلى رأس العشرين، ونسب ذلك إلى المدينة لقربها منها.

وأما الناسخ، فقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ [الحج·٣٩].

وأما المنسوخ فثلاث آيات ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى﴾ [الحج.٥٢] نسخت بقوله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ [الأعلى ٦].

والثانية: قوله تعالى: ﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [البقرة:١١٣] فنسخت بآية السيف.

والثالثة: ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾ [الحج ٧٨] فنسخت بقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن:١٦].

قوله تعالى: ﴿وأذن فى الناس بالحج﴾ [الحج ٢٧] أى ناد يا إبراهيم ذريتك وغيرهم من بنى آدم من المؤمنين بالحج ﴿يأتوك رجالاً﴾ [الحج.٢٧] أى يجيئون إليك رجالاً على أرجلهم ﴿وعلى كل ضامر﴾ [الحج·٢٧] يعنى ركبانًا على الإبل ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ [الحج:٢٧] يعنى من كل أرض بعيدة وطريق بعيد.

قال الله تعالى ذلك لإبراهيم عليه السلام حين فرغ من بناء البيت الحرام، وقال: إلهى من يقصد هذا البيت؟ فأمره أن يؤذن فى الناس بالحج، فصعد أبا قبيس وهو الجبل الذى الصفا فى أصله، فنادى بأعلى صوته: يا أيها الناس أجيبوا ربكم إن الله يأمركم أن تحجوا بيته، فسمع نداء إبراهيم كل مؤمن ومؤمنة على وجه الأرض.

وقيل من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء، فالتلبية اليوم جواب نداء إبراهيم عليه السلام عن أمر ربه، فأجابوا كلهم: لبيك لبيك فمن أجاب ذلك اليوم لا يخرج من الدنيا حتى يزور هذا البيت.

(فصل: فى فضل من أحرم بالحج ولبى وقصد البيت وإليه دنا)

روى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كنا مع رسول الله ﷺ إذ أقبلت طائفة من اليمن قالوا: فداك الأمهات والآباء، أخبرنا بفضائل الحج، قال: نعم، أى رجل خرج من منزله حاجًا أو معتمراً، فكلما رفع قدمًا ووضع قدمًا تناثرت الذنوب من قدميه كما يتناثر الورق من الشجر، فإذا ورد المدينة وصافحنى بالسلام صافحته الملائكة بالسلام، فإذا ورد ذا الحليفة واغتسل طهره الله من الذنوب، وإذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له الحسنات، وإذا قال: لبيك اللهم لبيك أجابه الله تعالى بلبيك وسعديك أسمع كلامك وأنظر إليك، وإذا دخل مكة فطاف وسعى بين الصفا والمروة أوصل الله له الخيرات، وإذا وقف بعرفات وضجت له الأصوات بالحاجات، باهى الله تعالى بهم ملائكة سبع سموات فيقول: ملائكتى وسكان سمواتى، أما ترون إلى عبادى أتونى من كل فج عميق شعثًا غبرًا، قد أنفقوا الأموال وأتعبوا الأبدان، فوعزتى وجلالى وكرمى لأهبن مسيئهم لمحسنهم، ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم؟ فإذا رموا الجمار وحلقوا الرؤوس وزاروا البيت، نادى مناد من بطنان العرش: ارجعوا مغفوراً لكم واستأنفوا واستقبلوا العمل».

وروى أن رسول الله ﷺ أتاه أعرابى وقال له: يا رسول الله خرجت أريد الحج ففاتنى، وأنا رجل متزر ـ يعنى محرمًا ـ فمرنى بما أصنع فأبلغ به الحج أو مثل أجر الحج، قال: فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال له: انظر إلى أبى قبيس، فنظر إلى أبى قبيس، قال له: فلو أن لك أبا قبيس ذهبًا أحمر وجعلته فى سبيل الله ما بلغت ما بلغ الحاج، ثم قال عليه السلام: إن الحاج إذا أخذ فى جهازه لم يرفع شيئًا ولا يضعه إلا كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات، فإذا ركب بعيره لم يرفع البعير خفًا ولا يضعه إلا كتب الله له مثل ذلك، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه، ثم قال: إذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه، فإذا رمى الجمار خرج من

ذنوبه، ثم قال له: أنى لك أن تبلغ ما بلغ الحاج».

وعن على بن أبى طالب كرّم الله وجهه أنه قال: «كنت طائفًا مع النبى ﷺ بالبيت الحرام، فقلت له: يا رسول الله فداك أبى وأمى، ما هذا البيت؟ فقال: يا على، أسس الله تعالى هذا البيت فى دار الدنيا كفارة لذنوب أمتى، فقلت: فداك أبى وأمى يا رسول الله، ما هذا الحجر الأسود؟ قال ﷺ: تلك جوهرة كانت فى الجنة، فأهبط الله بها إلى دار الدنيا، لها شعاع كشعاع الشمس، فاشتد سوادها وتغير لونها منذ مستها أيدى المشركين».

وعن ابن أبى مليكة عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال. سمعت رسول الله ﷺ يقول: ينزل الله على هذا البيت الحرام فى كل ليلة ويوم مائة وعشرون رحمة، ستون منها للطائفين بالبيت الحرام، وأربعون منها للعاكفين حول البيت الحرام، وعشرون منها للناظرين إلى البيت الحرام.

وعن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن سلمة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: إن عبدًا صححت له فى جسمه وفسحت له فى عمره وتمضى عليه ثلاثة أعوام لا يغدو إلى هذا البيت إنه لمحروم إنه لمحروم»[1].

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «حججنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أول خلافته، فدخل المسجد حتى وقف عند الحجر، فقال. إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، فقال له على رضى الله عنه: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فإنه يضر وينفع بإذن الله، ولو أنك قرأت القرآن وعلمت ما فيه لما أنكرت علىَّ، فقال له عمر رضى الله عنه: يا أبا الحسن وما تأويله فى كتاب الله عز وجل؟ فقال: قوله تعالى: ﴿وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم﴾ [الأعراف ١٧٢] فلما أقروا بالعبودية كتب إقرارهم فى رق، ثم دعا الحجر فألقمه ذلك الرق، فهو أمين الله تعالى على هذا المكان ليشهد لمن وافاه يوم القيامة، فقال عمر رضى الله عنه: يا أبا الحسن لقد جعل الله بين ظهرانيك من العلم غير قليل.

وعن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال «الحجاج

(١) الإتحاف ٤/ ٢٧٢.

والعمار وفد الله عز وجل إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم»[(١)].

وعن مجاهد رحمه الله أن النبى ﷺ قال: «اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج»[(٢)].

وروى عن الحسن رحمه الله أنه قال فى الخبر: «إن الملائكة يتلقون الحاج فيسلمون على صاحب الجمال ويصافحون أصحاب البغال والحمير ويعانقون الرجالة».

وروى عن الضحاك رحمه الله عن النبى ﷺ مرسلاً أنه قال: «أيما مسلم خرج من بيته قاصداً فى سبيل الله فوقصته الدابة قبل القتال أو لدغته هامة، أو مات بأى حتف مات فهو شهيد، وأيما مسلم خرج من بيته إلى بيت الله الحرام، ثم نزل به الموت قبل بلوغه إلاَّ أوجب الله له الجنة».

وعن سفيان بن عيينة رحمه الله عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «من حج هذا البيت ثم عاد فلم يرفث ولم يفسق ولم يجهل عاد كما ولدته أمه»[(٣)].

وروى عن سعيد بن المسيب رحمه الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليدخل ثلاثة نفر بالحجة الواحدة الجنة: الموصى بها، والمنفذ لها، والحاج عنه، والعمرة والجهاد كذلك».

وعن على بن عبد العزيز رحمه الله قال: كنت عديلاً لأبى عبيد القاسم بن سلام سنة من السنين، فلما صرت إلى الموقف فصرت إلى ركن جبل الحل، فتطهرت ونسيت نفقتى عنده، فلما صرت إلى المأزمين قال لى أبو عبيد: لو اشتريت لنا زبداً وتمراً، فخرجت لأبتاعه فتذكرت النفقة، ورجعت عوداً على بدء إلى أن وافيت الموضع، فإذا النفقة بحالها، فأخذتها ورجعت وكنت قد صادفت الوادى مملوءاً قردة وخنارير وغير ذلك فجزعت منهم، ثم إنى رجعت فإذا هم على حالهم حتى دخلت على أبى عبيد قبيل الصبح، فسألنى عن أمرى فأخبرته وذكرت القردة والخنارير، فقال: تلك ذنوب بنى آدم تركوها وانصرفوا.

(١) الصحيحة (١٨٢٠)، وابن ماجه (٢٨٩٢، والبيهقى ٥/ ٢٦٢

(٢) البيهقى ٥/ ٢٦١، والحاكم ١/ ٤٤١.

(٣) النسائى ٥/ ١١٤، وابن ماجه (٢٨٨٩)، وأحمد ٢/ ٤١٠.

(فصل) واختلفوا فى تسمية يوم التروية:

والتروية: اسم اليوم الثامن من شهر ذى الحجة وهو اليوم الذى يخرج الناس فيه من مكة إلى منى، فسمى يوم التروية لأن الناس يروون من ماء زمزم.

والتروية: تفعلة من قولهم ارتوى يرتوى: إذا استقى الماء وسقى وشرب واغتسل، والناس يسقون من ماء زمزم فى ذلك اليوم مستكثرين.

وقيل: سميت التروية لأن إبراهيم عليه السلام رأى فى المنام فى ليلتها أنه يذبح ولده، فلما أصبح تروى وتفكر أنه من العدو الشيطان، أم من الحبيب الرحمن؟ فبقى ذلك اليوم متفكرًا، ذا روية فيما رآه، فلما كان يوم عرفة قيل له. افعل ما تؤمر به، فعرف أنه من الحبيب، فلهذا سمى يوم عرفة.

قوله عز وجل: **﴿وأذن فى الناس بالحج﴾** [الحج.٢٧] أمر خليله بدعوة عباده إلى بيته.

فالدعوات أربعة:

دعوة الله لعباده، قال الله عز وجل: **﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾** [يونس ٢٥] دعاهم من دار التكليف إلى دار التشريف، من دار الغيبة إلى دار المشاهدة، ومن دار الزوال إلى دار النوال، ومن دار البلوى إلى دار المولى، دعاهم من دار أولها بكاء ووسطها عناء وآخرها فناء إلى دار أولها عطاء ووسطها رضاء وآخرها لقاء.

والثانية: دعوة النبى ﷺ دعا أمته إلى دين الإسلام، قوله عز وجل: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾** [النحل.١٢٥] الدعوة إليه ﷺ والهداية ليست إليه كما قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت هاديًا وليس إلىَّ من الهداية شىء، وبعث إبليس غاويًا، وليس إليه من الضلالة شىء».

قال الله عز وجل: **﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾** [القصص.٥٦].

سأل النبى ﷺ هداية عمه أبى طالب، فأبى أن يهديه، وهَدَى وحشيًا قاتل حمزة رضى الله عنهما، كأنه عز وجل يقول لنبيه عليه السلام: يا محمد عليك الدعوة كما قال عز وجل: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾** [المائدة ٦٧]، وقال تعالى: **﴿إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا * وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا﴾** [الأحزاب ٤٥ ـ ٤٦]،

ولك الشفاعـة، وأما الإجابة والهداية فـإلىَّ، قال الله عز وجل: ﴿يهـدى الله لنوره من يشاء﴾ [النور.٣٥]، قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ [السجدة.١٣].

والثالثة: المؤذن يـدعو إلى الصلاة لله وأداء أمر الله تعـالى، قال الله تعـالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ [فصلت.٣٣].

وعن جابر بن عـبد الله رضى الله عنهـما عن رسول الله ﷺ أنـه قال: «إن المؤذنين والملبين يوم القـيامة يخرجـون من قبورهم يؤذن ويلبى الملبى، ويسـتغفر للمـؤذن مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس من شجـر ومدر سمع صوته، ويكتب للمؤذن بكل إنسان صلى فى ذلك المسجد مثل حسناته، ويعطيه الله تعالى ما بين الأذان والإقامة كل شىء سأله، إما أن يعجله فى الدنيا أو يصرف عنه سوءًا، أو يدخر له فى الآخرة»[1].

وروى أن النبى ﷺ جاءه رجل فـقال: «يا رسول الله أخبرنى بعـمل واحد أدخل به الجنة، فقال: تكون مؤذن قومك، يجمـعون بك صلاتهم، قال: يا رسول الله، فإن لـم أطق؟ قال: تكون إمام قومك يقيمون بك صلاتهم، قال: فإن لم أطق؟ فعليك بالصف الأول».

وعن عائشـة أم المؤمنين رضى الله عنها قـالت: «نزلت هذه الآية فى المؤذنين ﴿ومن أحسن قـولاً ممن دعا إلى الله وعـمل صالحًا﴾ [فصلت ٣٣] يعنى دعا الخـلق إلى الصلاة، وصلى بين الأذان والإقامة».

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «يغفر للمؤذن مدى صوته، وله مثل أجر من صلى معه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا»[2].

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت: قـال رسول الله ﷺ: «المريض ضـيف الله مـا دام فى مرضـه، يرفع له كل يوم عـمل سبعين شهيدًا، فإن عافاه الله من مرضـه فيخرج من ذنوبه كيوم وصحته أمه، وإن قضى عليه بالموت أدخله الجنة بغير حساب».

وقال بعـضهم: المؤذن حـاجب الله تعالى يعطى بكل أذان ثواب ألـف نبى، والإمام وزير الله يعطى بكل صـلاة ثواب ألف صـدّيق، والعالم وكـيل الله تعـالى يعطى بكل

(١) الكنز (٢٠٨٨١)، وتنزيه الشريعة ٢/ ٧٧، ومجمع الزوائد ١/ ٣٢٧

(٢) بنحوه. أحمد ٢/ ١٣٦، والكنز (٢٠٩٢٦).

حديث نوراً يوم القيامة، ويكتب له عبادة ألف سنة، والمتعلمون من الرجال والنساء هم خدم الله فما جزاؤهم إلا الجنة».

وقال النبى ﷺ: «أطول الناس أعناقًا يوم القيامة المؤذنون»(١).

وقال النبى ﷺ: «من أذن سبع سنين أعتقه الله من النار بعد أن يحسن نيته»(٢).

وقال النبى ﷺ: «يغفر الله تعالى للمؤذن مدى صوته، ويصدقه كل ما سمعه من رطب ويابس»(٣).

وأما الدعوة الرابعة: فدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام، قوله عز وجل: ﴿وأذن فى الناس بالحج﴾ [الحج ٢٧]، وقد ذكرناها فى أول المجلس.

* * *

(١) مسلم فى: الصلاة (١٤)، وابن ماجه (٧٢٥)، والبيهقى ١/ ٤٣٣.

(٢) بنحوه: العلل المتناهية ١/ ٣٩٧، والطبرانى ١١/ ٧٨.

(٣) الدر المنثور ٥/ ٣٦٤، والنسائى ٢/ ١٣، والبيهقى ١/ ٣٩٧

مجلس
فى فضائل يوم عرفة

قال الله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نـعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ [المائدة ٣].

هذه الآية نزلت بعرفات دون سائر آيات هذه السورة، لأنها نزلت بالمدينة وهى سورة المائدة.

وقوله تعالى: ﴿اليوم أكـملت لكم دينكم﴾ يعنى شرائع دينكم من الحـلال والحرام ﴿وأتممت عليكم نعـمتى﴾ اى منتى عليكم: أى لا يجـتمع معكم بـعرفات كـافر ولا مشرك ﴿ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ يعنى اخترت لكم دين الإسلام.

نزلت هذه الآية يوم عرفـة بعرفات فى حجة الوداع، ثم مـكث رسول الله ﷺ بعد نزولها إحدى وثمانين يومًا، ثم قبضـه الله تعالى إلى رحمته ورضوانه، مروى ذلك عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، عنه وغيره من المفسرين.

وقال محمد بن كعب القرظى رحمه الله: نزلت هذه الآية يوم فتح مكة.

وقال جعفر الصادق رحمه الله ﴿اليوم﴾ إشارة إلى بعث النبى ﷺ، ويوم رسالته.

وقيل: اليوم إشارة إلى يوم الأزل، والإتمام: إشارة إلى الوقت، والرضا: إشارة إلى الأبد.

وقيل: كمال الدين فى شيئين: فى معرفة الله تعالى، واتباع سنة رسول الله ﷺ.

وقيل: كـما الدين فـى الأمن والفراغ، لأنك إذا كنت آمنًا بما تكفل الله تعـالى لك صرت فارغًا لعبادته.

وقيل: إن كمـال الدين فى التبرى من الحول والقـوة، والرجوع من الكل إلى من له الكل.

وقيل: إن كمال الدين حيث رد الحج إلى يوم عرفة، لأنهم كانوا يحجون كل سنة، فى كل شهر، فلما رد الله وقت الحج إلى الميـقات وجعله فريضة، أنزل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

والدين على وجوه عدة فى القرآن:

ـ منها بمعنى الدنيا، وهو قوله عز وجل: ﴿ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك﴾ [يوسف:٧٦] يعنى فى دنياه وعادته وسيرته.

ـ ومنها الحساب، قوله عز وجل: ﴿ذلك الدين القيم﴾ [التوبة:٣٦، ويوسف: ٤٠، والروم: ٣٠] يعنى الحساب المستقيم.

ـ ومنها الجزاء، قوله عز وجل: ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ [النور:٢٥] أى الجزاء الأعدل.

ـ ومنها بمعنى الحكم، قوله عز وجل: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾ [النور ٢] يعنى فى حكم الله.

ـ ومنها بمعنى العيد، قوله تعالى: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا﴾ [الأنعام ٧] يعنى عيدهم.

ـ ومنها الصلاة والزكاة، وقوله تعالى: ﴿وذلك دين القيمة﴾ [البينة:٥].

ـ ومنها القيامة، قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة ٤].

ـ ومنها الشريعة، قوله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة ٣] يعنى شرائع دينكم.

(فصل) قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة:٣].

وذلك أن الله تعالى أنزل الكتب جملة واحدة لكم وأنزل الفرقان متفرقًا.

فقيل: أيهما أحسن نزولاً؟

قيل: القرآن أحسن لأن الله تعالى لما أنزل التوراة جملة واحدة فقبلها بنو إسرائيل، فعملوا بها قليلاً، فثقلت عليهم تلك الأوامر والنواهى التى فى التوراة فـ ﴿قالوا سمعنا وعصينا﴾ [البقرة:٩٣].

وأما القرآن فأنزله الله شيئًا بعد شيء على التدريج متفرقًا، فأول ما أمر الله المؤمنين بقوله: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، وضمن لهم إذا قالوها الجنة، فسمعوا وأطاعوا، ثم أمرهم بإقامة صلاتين ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها، ثم أمرهم بالصلوات الخمس، ثم أمرهم بالجمعة مع الجماعة بعد الهجرة، ثم أمرهم بالزكاة، ثم أمرهم بصوم عاشوراء، ثم أمرهم بصوم ثلاثة أيام من كل شهر، ثم أمرهم بصوم شهر

رمضان، ثم أمرهم بالجهاد، ثم أمرهم بالحج، ثم لما تمت الأوامر والنواهى أنزل الله على رسوله فى حجة الوداع: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وكان ذلك يوم الجمعة، ويوم عرفة، كذلك نقل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

قال طارق بن شهاب رحمه الله: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال له: آية تقرؤنها لو كانت نزلت علينا وعلمنا ذلك اليوم لاتخذناه عيداً، فقال له عمر رضى الله عنه: أى آية؟ فقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾، فقال عمر رضى الله عنه: قد علمت فى أى يوم نزلت وفى أى مكان نزلت، إنها نزلت يوم عرفة ويوم الجمعة، ونحن مع رسول الله ﷺ وقوف بعرفات، وكلاهما بحمد الله تعالى لنا عيد، ولا يزال هذا اليوم عيداً للمسلمين ما بقى واحد.

وقال رجل من اليهود لابن عباس رضى الله عنهما: لو كان هذا اليوم فينا لاتخذناه عيداً، قال له ابن عباس رضى الله عنهما: وأى عيد أكمل من يوم عرفة.

(فصل) واختلف العلماء فى المعنى الذى لأجله قيل للموقف عرفات، وليوم الوقوف بها عرفة.

فقال الضحاك: إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وقع بالهند وحواء بجدة، فجعل آدم يطلب حواء وهى تطلبه، فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعرفا، فسمى هذا اليوم عرفة، والموضع عرفات.

وقال السدى: إنما سميت عرفات، لأن هاجر حملت إسماعيل عليه السلام فأخرجته من عند سارة، وكان إبراهيم عليه السلام غائبًا، فلما قدم لم ير إسماعيل عليه السلام وحدثته سارة بالذى صنعت هاجر، فانطلق فى طلب إسماعيل فوجده مع هاجر بعرفات فعرفه، فسميت عرفات.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن إبراهيم عليه السلام غدا من فلسطين، فحلفته سارة أن لا ينزل عن ظهر دابته حتى يرجع إليها من الغيرة، فأتى إسماعيل ثم رجع، فحبسته سارة سنة ثم استأذنها فأذنت له، فخرج حتى بلغ مكة وجبالها، فكان ليلة يسير ويسعى حتى أذن الله عز وجل له فى ثلث الليل الأخير عند سند جبل عرفة، فلما أصبح عرف البلاد والطريق، فجعل الله عز وجل عرفة حيث عرف. فقال: اللهم اجعل بيتك أحب بلادك إليك حيث تهوى إليه قلوب المسلمين من كل فج عميق».

وقال عطاء رحمه الله: إنما سميت عرفات لأن جبريل عليه السلام كان يرى إبراهيم عليه السلام المناسك، فيقول عرفت، ثم يريه فيقول عرفت فسميت عرفات.

وروى سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: «بعث الله عز وجل جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام فحج به، حتى إذا أتى عرفات قال: قد عرفت، وكان قد أتاها مرة من قبل ذلك، فسميت عرفات».

وروى أبو الطفيل رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إنما سميت عرفة لأن جبريل عليه السلام أتى إبراهيم عليه السلام فأراه بقاع مكة ومشاهدها، فكان يقول: يا إبراهيم هذا موضع كذا وهذا موضع كذا، فيقول قد عرفت قد عرفت».

وروى أسباط عن السدى رحمهما الله قال: لما أَذَّنَ إبراهيم عليه السلام فى الناس بالحج أجابوه بالتلبية، وأتاه من أتاه، فأمره الله عز وجل أن يخرج إلى عرفات ونعتها له، فخرج، فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان على الجمرة الثالثة التى هى جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات وكبر مع كل حصاة، فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبّر، فطار فوقع على الجمرة الأولى، فرماه وكبّر، فلما رأى أنه لا يطيقه ذهب، فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا المجاز، فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز، فلذلك سمى ذا المجاز، ثم انطلق حتى وقف بعرفات، فلما نظر إليها بالنعت عرفها، فقال: عرفت، فسميت عرفات بذلك، وسمى ذلك اليوم يوم عرفة، حتى إذا أمسى اردلف إلى جمع فسميت مزدلفة.

وإنما سمى جمعًا لأنه يجمع فيه بين الصلاتين بين المغرب والعشاء، وإنما سمى المشعر الحرام لأن الله أشعر الناس وأعلمهم بأنه حرم كسائر بقاع الحرم كيلا يأتوا فيه بمحرم.

وعن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إنما سميت تروية وعرفة، لأن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية فى منامه أنه يؤمر بذبح ابنه، فلما أصبح روى يومه أجمع: أى فكر، أمن الله هذا الحلم، أم من الشيطان؟ فسمى اليوم من فكرته تروية، ثم رأى ليلة عرفة ذلك ثانيًا، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله سبحانه وتعالى، فسمى ذلك اليوم يوم عرفة.

وقال بعضهم: سميت بذلك لأن الناس يعترفون فى هذا اليوم على الموقف بذنوبهم.

والأصل فيه أن آدم عليه السلام لما أمر بالحج فوقف بعرفات يوم عرفة، فقال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ [الأعراف ٢٣].

وقيل: هى مأخوذة من العرف وهو الطيب، قال الله عز وجل: ﴿عرفها لهم﴾ [محمد ٦] أى طيبها

وقيل: هى ضد منىً، لأن منى موضع يمنى فيه الدم: أى يصب، ولذلك سميت منى، ففيه تكون الفروث والدماء، فهى ليست بطيبة، وعرفات ليست فيها تلك الأقذار فهى طيبة، فلذلك سميت عرفات، ويوم الوقوف بها يوم عرفة.

وقيل: لأن الناس يتعارفون بها.

وقيل: أصل هذين الاسمين من الصبر، يقال: رجل عارف: إذا كان صابراً خاضعاً خاشعاً.

ويقال فى المثل: «النفس عروف وما حملتها تتحمل».

وقال ذو الرمة:

«عروف لما حطت عليه المقادير»

أى صبور على قضاء الله، فسمى بهذا الاسم لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم على الدعاد وأنواع البلاء، واحتمال الشدائد والمشاق لإقامة هذه العبادة.

(فصل: فى شرف يوم عرفة وليلته)

أخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا أبو على الحسن بن أحمد، أنبأنا على بن محمد بن عبد الله المعدل، أنبأنا أبو على بن الصواف، أنبأنا عبد الله بن محمد بن ناجية، أنبأنا عمر بن حفص أبو عمرو، أنبأنا محمد بن مروان، أنبأنا هشام الدستوائى، عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أفضل من يوم عرفة، يباهى الله تعالى فيه بأهل الأرض أهل السماء، يقول: انظروا إلى عبادى شعثًا غبراً جاءونى من كل فج عميق، يرجون رحمتى ويخافون عذابى، فلم ير يوم أكثر عتقًا من النار من يوم عرفة»[1].

وأخبرنا هبة الله عن أبى محمد الحسن بن محمد بن أحمد الفارسى بإسناده عن

(١) مجمع الزوائد ٣/ ٢٥٣، والترغيب ٢/ ٢٠٠، والدر المنثور ١/ ٢٢٧.

الحسن العربى، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: خطب النبى ﷺ يوم عرفة فقال: «أيها الناس إنه ليس البر فى إيجاف الإبل ولا فى إيضاع الخيل، ولكن سيرًا جميلاً، تواصلوا ضعيفًا، ولا تؤذوا مسلمًا»[(١)].

عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى ينظر إلى عباده يوم عرفة، فلا يدع أحدًا فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلاَّ غفر له» فقلت لابن عمر: للناس جميعًا أم لأهل عرفة؟ فقال: بل للناس جميعًا.

وأخبرنا هبة الله، قال: أنبأنا مكابر بن الجحش المازنى بالبصرة، بإسناده عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم عرفة ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا، فيباهى بالحاج الملائكة، فيقول لهم عز وجل: يا ملائكتى انظروا إلى عبادى جاءونى شعثًا غبرًا يرجون رحمتى ويخافون عذابى، فحق على المزور أن يكرم زائره، وحق على المضيف أن يكرم ضيفه، اشهدوا أنى قد غفرت لهم وجعلت قراهم دخول الجنة، قال: فتقول الملائكة: يا رب إن فيهم فلانًا يزهو، وفلانة تزهو، فيقول الله عز وجل: قد غفرت لهم، فما من يوم أكثر عتقًا من النار من يوم عرفة»[(٢)].

وأخبرنا هبة الله بإسناده عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما رأى إبليس يومًا هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحض ولا أغيظ من يوم عرفة، وذلك لما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب إلاَّ ما رأى يوم بدر، قالوا: يا رسول الله وما رأى يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبريل يدعو الملائكة».

وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول. إن يوم الحج الأكبر يوم عرفة، وهو يوم المباهاة، ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا فيقول لملائكته: انظروا إلى عبادى فى أرضى صدقونى، فليس من يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، والشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة»[(٣)].

وعن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى

---

(١) أحمد ١/٢٧٧، والكنز (١٢٦٢١)

(٢) الموضوعات ٢/٢١٥، واللآلىء المصنوعة ٢/٦٩، وابن عساكر ٤/٢٣٣

(٣) الصحيحة (١٥٠٢)، والترمذى (٣٣٣٩)، والطبرانى ٣/٣٣٨

باهى بالناس يوم عرفة عامة، وباهى بعمر بن الخطاب خاصة»[(١)].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن أعظم الناس جرمًا من انصرف من عرفات ويرى أن الله عز وجل لم يغفر له».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: «إن الله تعالى يرحم عشية يوم عرفة لأهل الجمع جميعًا إلاَّ أهل الكبائر، فإذا كان غداة المزدلفة غفر لأهل الكبائر والتبعات».

أخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد الطبرى يعرف بالباهر، قال: أخبرنا على بن أحمد بن الرفاء السامرى، أنبأنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى، أنبأنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: «وقف بنا رسول الله ﷺ عشية عرفة، فلما قام عند الدفعة استنصت الناس فأنصتوا، فقال: يا أيها الناس إن ربكم عز وجل قد تطول عليكم فى يومكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأله، وغفر ذنوبكم إلاَّ التبعات، ادفعوا بسم الله، فلما صرنا بالمزدلفة وقف بنا رسول الله ﷺ سحرًا، فلما كان عند الدفعة استوقف الناس فوقفوا واستنصتهم فأنصتوا، ثم قال: يا أيها الناس إن ربكم قد تطول عليكم فى يومكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأله، وغفر ذنوبكم وغفر التبعات وضمن لأهلها الثواب، ادفعوا بسم الله، فقام أعرابى وأخذ بزمام الناقة، فقال: يا رسول الله، والذى بعثك بالحق ما بقى من عمل إلاَّ وقد عملته، وإنى لأحلف على اليمين الفاجرة، فهل دخلت فيمن وصفت؟ فقال: يا أعرابى إنك إن تحسن فيما تستأنف يغفر لك ما مضى خل زمام الناقة».

وأخبرنا هبة الله عن أبى على الحسن بن الحباب المقرى، بإسناده عن عباس بن مرداس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة، فأجابه الله تعالى: إنى قد فعلت إلاَّ ظلم بعضهم بعضًا، فأما ذنوبهم فيما بينى وبينهم فقد غفرتها، فقال: أى رب إنك قادر أن تثيب هذا المظلوم خيرًا من مظلمته وتغفر لهذا الظالم، قال: فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة مزدلفة أعاد الحديث، فأجابه: إنى قد غفرت لهم، قال: ثم تبسم رسول الله ﷺ، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله تبسمت فى ساعة لم تكن تتبسم فيها؟ فقال: تبسمت من عدو الله إبليس لأنه لما علم

(١) الكنز (٣٥٨٥٨)، وابن عساكر ٤/٢٨٧.

أن الله قد استجاب لى فى أمتى أهوى يدعو بالويل والثبور، ويحثو التراب على رأسه».

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: «بينما رسول الله ﷺ يوم عرفة بعرفات فى الموضع الذى ترفع العباد فيه أيديهم إلى الله تعالى ويعجون بالدعاء، إذ هبط عليه جبريل عليه السلام، وقال: يا محمد إن العلى الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: هؤلاء حجاج بيتى وزوارى، وحق على المزور أن يكرم الزائر، أشهدك وأشهد ملائكتى أنى قد غفرت لهم جميعًا وهكذا أفعل بزوار يوم الجمعة».

وعن على رضى الله عنه أنه لما كان عشية يوم عرفة ورسول الله ﷺ واقف، أقبل على الناس بوجهه فقال: مرحبًا بوفد الله ثلاث مرات، الذين إذا سألوا أعطوا، وتخلف عليهم نفقاتهم فى الدنيا، وتجعل لهم عند الله فى الآخرة مكان كل درهم ألف، ألا أبشركم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنه إذا كان فى هذه العشية ينزل الله إلى سماء الدنيا، ثم يأمر ملائكته فيهبطون إلى الأرض، فلو طرحت إبرة لم تسقط إلا على رأس ملك، فيقول الله عز وجل: يا ملائكتى انظروا إلى عبادى جاؤونى شعثًا غبرًا من أطراف الأرض، هل تسمعون ما يسألون؟ قالوا: يسألونك أى رب المغفرة، قال سبحانه وتعالى: أشهدكم أنى قد غفرت لهم ثلاث مرات، فأفيضوا من موقفكم مغفورًا لكم».

(فصل)

فى تفضيل صيامه وما ورد فيه من الصلوات، وما أمر به من صنوف الدعوات

أخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا أحمد بن محمد، بإسناده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من صام يوم عرفة غفر الله له ما تقدم من ذنبه لسنة»[١].

وأخبرنا هبة الله بإسناده عن أبى قتادة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال. «صيام يوم عرفة كفارة سنتين، سنة ماضية وسنة مستقبلة»[٢].

وأما الصلاة فمما أخبرنا به هبة الله بن المبارك قال: أنبأنا الشيخ أبو على الحسن بن أحمد عبد الله المقرى، قال: أنبأنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحمار، قال:

(١) بنحوه: أحمد ٥/٢٩٦.

(٢) بنحوه: البيهقى (١٧٣١)، والمجمع ٣/١٨٩.

أنبأنا أبو الحسن على بن أحمد الحلوانى، أنبأنا موسى بن عمران البلخى، أنبأنا يوسف ابن موسى القطان، أنبأنا عمر بن نافع، أنبأنا مسعود بن واصل، أنبأنا النهاس بن فهم، عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ خمسين مرة، كتب له ألف ألف حسنة، ورفع له بكل حرف فى القرآن درجة فى الجنة ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام، ويزوجه الله بكل حرف فى القرآن سبعين حوراء، مع كل حوراء سبعون ألف مائدة من الدر والياقوت، على كل مائدة سبعون ألف لون ما بين لحم طير خضر، برده برد الثلج، وحلاوته حلاوة العسل، وريحه ريح المسك، لم تمسه نار ولا حديدة، يجد لآخره طعمًا كما يجد لأوله، ثم يأتيهم طائر جناحاه من ياقوتتين حمراوين ومنقاره من ذهب، له سبعون ألف جناح، فينادى بصوت لذيذ لم يسمع السامعون بمثله: مرحبًا بأهل عرفة.

وقال: يسقط ذلك الطير فى صفحة الرجل منهم، فيخرج من تحت كل جناح من أجنحته سبعون لونًا من الطعام فيأكل منها، ثم ينتفض فيطير، فإذا وضع فى قبره أضاء له بكل حرف فى القرآن نور حتى يرى الطائفين حول البيت، ويفتح له باب من أبواب الجنة، ثم يقول عند ذلك: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، مما يرى من الثواب والكرامة»[1].

وأخبرنا هبة الله بن المبارك ، قال : أنبأنا الحسن بإسناده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قالا: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم عرفة ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب ثلاث مرات، فى كل مرة يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم ويختمها بآمين، ثم يقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾ ثلاث مرات، و ﴿قل هو الله أحد...﴾ مائة مرة، يبدأ فى كل مرة ببسم الله الرحمن الرحيم، إلاّ قال الله تعالى: اشهدوا أنى قد غفرت له ذنوبه»[2].

وأما الدعوات، فما أخبرنا هبة الله بن المبارك عن القاضى الشريف أبى الحسن محمد ابن على المهتدى بالله، عن أبى الفتح يوسف بن عمر بن مسرور القواس، قال: أنبأنا

---

(١) الموضوعات ٢/ ١٢٢، وتنزيه الشريعة ٢/ ٨٩.

(٢) الموضوعات ٢/ ١٣٣، والإتحاف ٥/ ٢٠٧، وتنزيه الشريعة ٢/ ٩٥.

عبد الله بن أحمد بن ثابت البزاز، أنبأنا أيوب، يعنى: أبو الوليد الضرير، أنبأنا أبو النصر، يعنى هاشم بن القاسم، عن محمد بن الفضل بن عطية، عن أبيه، عن عبد الله ابن عمر الليثى، عن أبيه رضى الله عنه قال: بلغنا أن الله تعالى أهدى إلى عيسى عليه السلام خمس دعوات جاء بهن جبريل عليه السلام فى أيام العشر وقال: يا عيسى ادع بهؤلاء الخمس دعوات، فإنه ليس عبادة أحب إلى الله تعالى من عبادة أيام العشر.

أولهن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير.

والثانية: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

والثالثة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير.

والرابعة: حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى.

والخامسة: اللهم لك الحمد كما تقول، وخيرًا مما تقول، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى، ولك يا رب تراثى: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن شتات الأمر، اللهم إنى أسألك من خير ما تجرى به الريح.

فسأل الحواريون عيسى ابن مريم عليه السلام: ما ثواب من قال هذه الكلمات؟.

فقال: أما من قال الأولى مائة مرة، فإنه لا يكون لأحد من أهل الأرض عمل مثل ذلك العمل فى ذلك اليوم، وكان أكثر العباد حسنات يوم القيامة.

ومن قال الثانية مائة مرة، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه مثلها سيئات، ورفع له عشرة آلاف درجة فى الجنة.

ومن قال الثالثة مائة مرة، نزل سبعون ألف ملك من سماء الدنيا رافعى أيديهم يصلون على من قالها.

ومن قال الرابعة مائة مرة، تلقاها ملك حتى يضعها بين يدى الرحمن عز وجل، فينظر إلى من قالها، ومن نظر الله تعالى إليه لم يشق.

وقالوا: يا عيسى، فما ثواب من قال الخامسة؟ قال: هى دعوتى ولم يؤذن لى فى تفسيرها.

وأخبرنا هبة الله بن المبارك، عن الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرى، بإسناده عن خليفة بن الحسين، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: «أكثر ما يدعو به النبى ﷺ عشية عرفة يقول: اللهم لك الحمد كما تقول وخيرًا مما تقول، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى، ولك يا رب تراثى، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وفتنة الصدر وشتات الأمر، اللهم إنى أسألك من خير ما تجرى به الريح»[(1)].

وأخبرنا هبة الله بن المبارك بإسناده عن موسى بن عبيدة، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر دعائى ودعاء الأنبياء قبلى بعرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل فى قلبى نورًا، وفى سمعى نورًا، وفى بصرى نورًا، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، اللهم إنى أعوذ بك من وساوس الصدر وفتنة القبر وشتات الأمر، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل، ومن شر ما يلج فى النهار ومن شر ما تهب به الرياح، ومن شر بوائق الدهر»[(2)].

وروى الضحاك رحمه الله عن النبى ﷺ أنه قال فى حجة الوداع حين اجتمعوا بعرفة: «هذا يوم الحج الأكبر، ولا حج لمن لم يواف عرفة اليوم والليلة، فاليوم دعاء وسؤال الرب عز وجل، وهو يوم تهليل وتكبير وتلبية، إنه من وافى اليوم هذا المكان وحرم سؤال ربه عز وجل فهو المحروم، وإنكم تدعون جوادًا لا يبخل، وحليمًا لا يجهل، وعالمًا لا ينسى، إنه من صام يوم عرفة مقيمًا فى أهله فقد صام عامًا أمامه وعامًا خلفه»[(3)].

(فصل) وأما ما اختص به رسول الله ﷺ من الدعاء فى عشية عرفة ، فهو ما أخبرنا به هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا القاضى أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن العكبرى بها، قال: حدثنا على بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن محمد بن أبى شيبة، حدثنا على بن مسلم، أنبأنا ابن أبى فديك، قال: حدثنى إبراهيم بن فضيل المخزومى، عن سليمان بن

(١) الكنز (٣٦٣٧)

(٢) البيهقى ١١٧/٥، والدر المنثور ٢٢٨/١.

(٣) البخارى ٢١٧/٢، وأبو داود فى المناسك: باب (٦٧)، وابن ماجه (٣٠٥٨).

زيد، عن هرم بن حيان، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس فى الموقف بعرفة قول ولا عمل أفضل من هذا الدعاء، وأول من ينظر الله إليه صاحبه، وهو أنه ﷺ كان إذا وقف بعرفة استقبل البيت الحرام بوجهه، وبسط يديه كهيئة الداعى، ثم يلبى ثلاثًا ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، يقولها مائة مرة، ثم يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، أشهد أن الله على كل شىء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شىء علمًا، يقول ذلك مائة مرة، ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقول: إن الله هو السميع العليم، يقولها ثلاث مرات، ثم يقرأ فاتحة الكتاب ثلاث مرات، ويبدأ فى كل مرة ببسم الله الرحمن الرحيم، ويختمها بآمين، ويقرأ ﴿قل هو الله أحد...﴾ مائة مرة، ثم يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، صل على النبى الأمى ورحمة الله وبركاته مائة مرة، ثم يدعو الله عز وجل بما شاء، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدى توجه بيتى وكبّرنى ولبّانى وسبّحنى وحمدنى وهلّلنى، وقرأ بأحب السور إلى وصلى على رسولى أشهدكم أنى قد قبلت عمله، وأوجبت له أجره، وغفرت له ذنوبه، وشفعته فيما سألنى»(١).

(فصل)

فى دعاء جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر وإلياس عليهم السلام عشية عرفة

أخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرى، قال: أخبرنا الحسين بن عمر المؤدب، قال: حدثنا أبو القاسم الفامى، قال: حدثنا أبو على الحسن بن على، قال: حدثنا أحمد بن عمار، أنبأنا محمد بن مهدى، قال: حدثنى ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال. قال رسول الله ﷺ: «يجتمع البرى والبحرى، يعنى إلياس والخضر عليهما السلام كل عام بمكة».

قال ابن عباس رضى الله عنهما: وبلغنا أنه يحلق أحدهما رأس صاحبه، فيقول أحدهما للآخر: قل بسم الله ما شاء الله، لا يأتى بالخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله، لا يصرف السوء غير الله، بسم الله ما شاء الله، وما بكم من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) الموضوعات ٢/٢١٢، والإتحاف ٤/٣٧٦.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: قال النبى ﷺ: «من قالها كل يوم أمن من الغرق والحرق والسرق، ومن كل شيء يكرهه حتى يمسى، ومن قالها حين يمسى كان فى حرز الله حتى يصبح».

وأخبرنا هبة الله بن المبارك، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد، أنبأنا عبيد الله بن أحمد الأزهرى، قال: أنبأنا أبو طالب بن حمدان السكرى، قال: أنبأنا إسماعيل، قال: حدثنا عباس الدورى، قال: أنبأنا عبيد الله بن إسحاق العطار، قال: أنبأنا محمد بن المبشر القيسى، عن عبد الله الحسن، عن أبيه عن جده، عن على رضى الله عنه قال: يجتمع فى كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام، فيقول جبريل: ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، فيرد عليه ميكائيل فيقول، ما شاء الله، كل العزة من الله، فيرد عليه إسرافيل فيقول، ما شاء الله الخير كله بيد الله، فيرد عليه الخضر، فيقول، ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله، ثم يتفرقون، ولا يجتمعون إلى قابل فى ذلك اليوم»(١) والله أعلم.

(فصل) قال ابن جريج: بلغنى أنه كان يؤمر أن يكون أكثر دعاء المسلم فى الموقف ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [البقرة.٢٠١].

وروى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: عند الركن اليمانى ملك قائم منذ خلق الله تعالى السموات والأرض يقول آمين، فقولوا: ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾.

عن حماد بن ثابت قال: إنهم قالوا لأنس بن مالك رضى الله عنه، ادع لنا، فقال: «اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قالوا: زدنا، فأعدها، قالوا: زدنا، قال: ما تريدون قد سألت الله لكم خير الدنيا والآخرة، وقال أنس رضى الله عنه، كان رسول الله ﷺ يكثر أن يدعو بها يقول: ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾»(٢).

وقد ذكر الله تعالى من دعا بهذا الدعاء وجعل له نصيبًا وحظًا من فضله ورحمته، قال الله عز وجل: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا﴾ [البقرة ٢] أى اعطنا إبلاً

(١) الموضوعات ١/١٩٦، وابن عساكر ٥/١٥٦

(٢) أبو داود (١٨٩٢)، والحاكم ١/٤٥٥، وأحمد ٢/٤١١.

وغنمًا وبقرًا وعبيدًا وإماءً وذهبًا وفضــة، ينوى الدنيا فى كل شىء ولها ينفق ولها يعمل ولها ينصب، فهى هــمه وسؤله وطلبته، فـقال الله عز وجل: ﴿وما له فـى الآخرة من خلاق﴾ [البقرة ٢٠٠] يعنى حظًا ولا نصـيبًا ﴿ومنهم من يقـول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [البقرة ٢٠١] وهم النبى ﷺ والمؤمنون رضوان الله عليهم.

واختلف العلماء فى معنى الحسنيين:

فقــال على بن أبى طالب كرم الله وجهــه قوله: ﴿ربنا آتنا فى الدنيـا حسنة﴾ امرأة صالحة ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ الحور العين ﴿وقنا عذاب النار﴾ وهى المرأة السوء.

وقال الحسن رحمه الله: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ العلم والعبادة ﴿وفى الآخرة حـسنة﴾ الجنة.

وقال السدى وابن حبان: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ أى رزقًا حلالاً واسعًا وعـملاً صالحًا ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ هى المغفرة والثواب.

وقال عطية رحمه الله: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ العلم والعمل به ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ تيسير الحساب ودخول الجنة.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ التوفيق والعصمة ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ النجاة والرحمة.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ أولادًا أبرارًا ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ مرافقة الأنبياء.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ المال والنعــمة ﴿وفى الآخرة حـسنة﴾ تمام النعـمة، وهو الفوز من النار ودخول الجنان.

وقيل: ﴿فى الدنيـا حسنة﴾ الثـبات على الإيمـان ﴿وفى الآخرة حـسنة﴾ السلامة والرضوان.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ الإخلاص ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ الخلاص.

وقيل: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ حلاوة الطاعة ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ لذة الرؤية.

وقال قتادة رحمه الله: فى الدنيا عافية، وفى الآخرة عافية. والذى يؤيد هذا التأويل ما روى ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ عـاد رجلاً مريضًا قد صار مـثل الفرخ المنتـوف، فقـال رسول الله ﷺ: هل كنت تدعو الله بشـىء أو تسأله شيئًا؟ فقـال: كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخـرة، فعجله لى فى الدنيا،

فقال ﷺ: سبحان الله إذن لا تستطيعه أو لا تطيقه، هلا قلت: اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟ فدعا الله عز وجل بها فشفاه»[1].

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: فى الدنيا: السنة، وفى الآخرة: الجنة.

وعن المسيب عن عوف رحمه الله أنه قال: فى هذه الآية من آتاه الله عز وجل الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً، فقد أوتى فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة.

وعن عبد الأعلى بن وهب قال: سمعت سفيان الثورى رحمه الله يحدث فى هذه الآية قال: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ الرزق الطيب ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ الجنة.

* * *

(١) مسلم فى الذكر والدعاء. حديث رقم: ٢٣، ٢٤.

مجلس
فى فضائل يوم الأضحى ويوم النحر

قول الله عـز وجل: ﴿إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر﴾ [الكوثر: ١ ـ ٣].

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: الكوثر هو الخير الكثير، منه القرآن والنبوة والنهر الذى فى الجنة، وهو نهر يجرى من بطنان الجنة، باطنه الدر المجوف، وعلى حافتيه قباب من الياقوت الأخضر، ماؤه أحلى من العسل وألين من الزبد، حمأته المسك الأذفر، وترابه الكافور الأبيض، وحصاه الدر والياقوت، يطرد مثل السهام، أعطاه الله تعالى لنبيه محمد ﷺ.

وقال مقاتل رحمه الله: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ هو نهر فى بطنان الجنة.

وإنما سمى الكوثر لأنه أكثر أنهار الجنة خيراً.

ولذلك النهر عجاج يطرد مثل السهام، طينه المسك الأذفر ورضراضه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ، أشد بياضًا من الثلج وألين من الزبد وأحلى من العسل، حافتاه قباب الدر المجوف، كل قبة طولها فرسخ فى فرسخ، عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب، فى كل قبة زوجة من الحور العين، لها سبعون خادمًا، فقال النبى ﷺ: «ليلة الإسراء قلت لجبريل: ما هذه الخيام؟ فقال جبريل عليه السلام: هذه مساكن لأزواجك فى الجنة».

ويتفجر من الكوثر أربعة أنهار لأهل الجنان التى ذكرها الله عز وجل فى سورة محمد ﷺ أحدها: الماء، والثانى: الخمر، والثالث: اللبن، والرابع: العسل.

قوله عز وجل: ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال مقاتل رحمه الله: يعنى صل لربك الصلوات الخمس، وانحر البدن يوم النحر.

وقيل: ﴿فصل لربك﴾: يعنى صلاة العيد ﴿وانحر﴾: يعنى البدن بمنى.

وقيل: ارفع يدك بالتكبير إلى نحرك. قيل: ﴿وانحر﴾ يعنى استقبل القبلة بنحرك.

وقوله عز وجل: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ [الكوثر ٣] وذلك أن النبى ﷺ دخل المسجد

الحرام من باب بنى سهم بن عمرو بن هصيص والناس من قريش جلوس فى المسجد، فمضى النبى ﷺ فسلم ولم يجلس حتى خرج من باب الصفا، فنظروا إليه حين خرج ولم يروه حين دخل، فلم يعرفوه، فتلقاه العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم على باب الصفا وهو يدخل والنبى ﷺ يخرج، وكان النبى ﷺ توفى ابنه عبد الله ابن محمد، وكان الرجل إذا مات ولم يكن له منه من بعده ابن يرثه يسمى الأبتر، فلما انتهى العاص بن وائل إلى القوم، فقالوا له: من ذا الذى تلقاك، فقال: الأبتر، فنزل قوله عز وجل: ﴿إن شانئك﴾ يعنى عدوك ومبغضك ﴿هو الأبتر﴾ يعنى مقطوع من الخير الذى هو العاص بن وائل، وأما أنت يا محمد فستذكر معى إذا ذكرت، فرفع الله عز وجل ذكره عليه السلام فى الناس عامة.

قال الله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذى أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح ١ - ٤] فيذكر ﷺ فى كل عيد وجمعة على المنابر والمساجد والأذان والإقامة والصلاة وكل موطن، حتى فى خطبة النكاح وخطبة الكلام وفى الحاجات ﷺ، وجعل مأواه الفردوس الأعلى وما ضره قول شانئه وعدوه، وجعل مأوى العاص بن وائل النار، وأنواع العذاب والنكال لقوله للنبى ﷺ ذلك، وكفره بالله عز وجل، فهكذا يجازى الله عز وجل كل محب النبى ﷺ من المؤمنين من أمته بالجنة، ومبغضه عليه السلام من المنافقين والكفار بالنار.

(فصل) فأما الذكر:

فقوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ [الأحزاب: ٤١].

وقوله عز وجل: ﴿فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾ [البقرة. ١٥٢].

اختلف العلماء فى ذلك:

فقال ابن عباس رضى الله عنهما: اذكرونى بطاعتى أذكركم بمعونتى، كما قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى، كما قال الله تعالى: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ [آل عمران ١٣٢].

وقال فضيل بن عياض رحمه الله: فاذكرونى بطاعتى أذكركم بثوابى، كما قال الله عز وجل: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً *

أولئك لهم جنات عدن﴾ [الكهف. ٣٠ ـ ٣١].

وقال النبى ﷺ: «من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فقد نسى الله، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن»(١).

وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه: كفى بالتوحيد عبادة وكفى بالجنة ثوابًا.

وقال ابن كيسان رحمه الله: فاذكرونى بالشكر أذكركم بالزيادة، لقوله تعالى: **﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾** [إبراهيم:٧].

وقيل: اذكرونى بالتوحيد والإيمان أذكركم بالدرجات والجنان، لقوله عز وجل: **﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾** [البقرة:٢٥].

وقيل: اذكرونى على ظهر الأرض أذكركم فى بطنها إذا نسيكم أهل الدنيا، كما قال الأصمعى: رأيت أعرابيًا واقفًا يوم عرفة بعرفات وهو يقول: إلهى عجت إليك الأصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتى إليك أن تذكرنى عند البلاء إذا نسينى أهل الدنيا.

وقيل: اذكرونى فى الدنيا أذكركم فى العقبى.

وقيل: اذكرونى بالطاعات أذكركم بالمعافاة، دليله قوله تعالى: **﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾** [النحل:٩٧].

وقيل: اذكرونى فى الخلاء والبلاء أذكركم فى الجلاء والبلاء والملاء، كما روى فى الخبر أن الله تعالى قال فى بعض الكتب: «أنا عند ظن عبدى بى، فليظن بى ما شاء، وأنا معه إذا ذكرنى، فمن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى، ومن ذكرنى فى ملأ، ذكرته فى ملأ خير منهم، ومن تقرب إلى شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلى ذراعًا، تقربت إليه باعًا، ومن أتانى ماشيًا، أتيته هرولة، ومن أتانى بقراب الأرض خطيئة، أتيته بمثلها مغفرة، بعد ألا يشرك بى شيئًا»(٢).

وقيل: اذكرونى فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء، كما قال الله عز وجل: **﴿فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون﴾** [الصافات:١٤٣ ـ ١٤٤]

---

(١) الدارمى ٢/١٧، والدر المنثور ١/١٤٩، والكنز (١٨٢٦)، والقرطبى ٢/١٧١

(٢) الإتحاف ٩/١٦٩، وابن عساكر ٥/٢٢.

وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه: إن العبد إذا كان دعا فى السراء فإذا نزل به البلاء قالت الملائكة: يا ربنا عبدك قد نزل به البلاء فيشفعون له، فيجيبهم الله تعالى، وإذا لم يكن دعى قالوا: الآن فلا تشفعون له، بيانه قصة فرعون ﴿الآن وقد عصيت قبل﴾ [يونس: ٩١].

وقيل: اذكرونى بالتسليم والتفويض أذكركم بأصلح الاختيار، بيانه قوله عز وجل: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣].

وقيل: اذكرونى بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقربة.

وقيل: اذكرونى بالحمد والثناء أذكركم بالمن والجزاء.

وقيل: اذكرونى بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة، اذكرونى بالدعاء أذكركم بالعطاء، اذكرونى بالسؤال أذكركم بالنوال، اذكرونى بلا غفلة أذكركم بلا مهلة، اذكرونى بالندم أذكركم بالكرم، اذكرونى بالمعذرة أذكركم بالمغفرة، اذكرونى بالإرادة أذكركم بالإفادة، اذكرونى بالتنصل أذكركم بالتفضل، اذكرونى بالإخلاص أذكركم بالخلاص، اذكرونى بالقلوب أذكركم بكشف الكروب، اذكرونى بلا نسيان أذكركم بالأمان، اذكرونى بالافتقار أذكركم بالاقتدار، اذكرونى بالاعتذار والاستغفار أذكركم بالرحمة والاغتفار، اذكرونى بالإيمان أذكركم بالجنان، اذكرونى بالإسلام أذكركم بالإكرام، اذكرونى بالقلب أذكركم بكشف الحجب، اذكرونى ذكراً فانيًا أذكركم ذكراً باقيًا، اذكرونى بالابتهال أذكركم بالإفضال، اذكرونى بالتذلل أذكركم بعفو الزلل، اذكرونى بالاعتراف أذكركم بمحو الاقتراف، اذكرونى بصفاء السر أذكركم بخالص البر، اذكرونى بالصدق أذكركم بالرفق، اذكرونى بالصفو أذكركم بالعفو، اذكرونى بالتعظيم أذكركم بالتكريم، اذكرونى بالتكبير أذكركم بالنجاة من السعير، اذكرونى بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء، اذكرونى بترك الخطأ أذكركم بأنواع العطاء، اذكرونى بالجهد فى الخدمة أذكركم بإتمام النعمة، اذكرونى من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا، ولذكر الله أكبر.

وقال الربيع رحمه الله فى هذه الآية: إن الله تعالى ذاكر من يذكره، وزائد من يشكره، ومعذب لمن يكفره.

وقال السدى رحمه الله فيها: ليس من عبد يذكر الله تعالى إلا ذكره، لا يذكره مؤمن إلا ذكره بالرحمة، ولا يذكره كافر إلا ذكره بالعذاب.

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: بلغنا أن الله عز وجل قال: أعطيت عبادى ما لو أعطيته جبريل وميكائيل كنت قد أجزلت لهما، قلت: اذكرونى أذكركم، وقلت لموسى: قل للظلمة لا يذكرونى فإنى أذكر من ذكرنى، وإن ذكرى إياهم أن ألعنهم.

وقال أبو عثمان النهدى رحمه الله: إنى أعلم حين يذكرنى ربى، قيل: كيف ذلك؟ فقال: إن الله عز وجل قال: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ [البقرة:١٥٢] فإذا ذكرت الله ذكرنى.

وقيل: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: يا داود بى فافرحوا، وبذكرى فتنعموا.

وقال الثورى رحمه الله: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر.

وقيل: إذا تمكن الذكر من القلب فإذا دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنس.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: ما أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب الكريم.

وقيل: الذكر الخفى لا يرفعه الملك لأنه لا اطلاع له عليه، فهو سر بين العبد وبين الله تعالى.

وقال بعضهم: وصف لى ذاكر فى الأجمة فأتيته، فبينما هو جالس وإذا سبع عظيم ضربه ضربة ونهش منه قطعة، فغشى عليه وعلىَّ، فلما أفقت قلت له: ما هذا؟ فقال: قيض الله علىَّ هذا السبع فكلما دخلتنى فترة عن ذكرى جاءنى فعضنى كما رأيت.

(فصل) وأما الدعاء:

فقوله عز وجل: ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠]

وقوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب﴾ [الشرح ٧ ـ ٨] أى إذا فرغت من صلاتك فانصب للدعاء له تبارك وتعالى.

وقوله عز وجل: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة:١٨٦].

اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية.

فروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «سألت يهود أهل المدينة النبى ﷺ: كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة

خمسمائة عـام، وأن غلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾ [البقرة ١٨٦].

وقال الحسن رحمه الله: سأل أصحاب رسول الله ﷺ: أين ربنا؟ فأنزل الله هذه الآية.

وقال عطاء وقتادة رحمهما الله: لما نزلت هذه الآية: ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾ [غافر٦٠] قال رجل: يا رسول الله كيف ندعو ربنا ومتى ندعوه؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾.

وقال الضحاك رحمه الله: سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ: قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿وإذا سألك﴾ يا محمد ﴿عبادى عنى فإنى قريب﴾.

قال أهل المعانى: فيه إضمار كأنه قال: فقل لهم أو فأعلمهم أنى قريب منهم بالعلم.

وقال أهل الإشارة: رفع الواسطة إظهار للقدرة.

قوله: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى﴾ [البقرة١٨٦] أى فليستجيبوا لى بالطاعة، يقال: أجاب واستجاب بمعنى واحد.

وقال أبو رجاء الخرسانى رحمه الله: يعنى فليدعونى.

والإجابة فى اللغة الطاعة وإعطاء ما سئل، يقال: أجابت السماء بالمطر وأجابت الأرض بالنبات: أى سئلت السماء المطر فأعطت، وسئلت الأرض النبات فأعطت.

والإجابة من الله عز وجل: هو الإعطاء ومن العبد الطاعة.

قوله: ﴿وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾ [البقرة.١٨٦] أى لكى يهتدوا.

فإن سأل سائل عن قوله: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ وقوله: ﴿ادعونى أستجب لكم﴾ وقال: قد نرى كثيراً من خلق الله تعالى يدعون فلا يجاب لهم:

قيل: اختلف أهل العلم فى وجه الآيتين وتأويلهما.

فقال بعضهم: معنى الدعاء هاهنا: الطاعة، ومعنى الإجابة: الثواب. كأنه قال عز وجل: أجيب دعوة الداع بالثواب إذا أطاعنى.

وقال بعضهم: معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عامًا، تقديرهما أجيب دعوة الداع إن شئت، وأجيب دعوة الداعى إذا وافق القضاء، وأجيب دعوة الداع إذا لم يسأل محالاً، وأجيب دعوة الداع إذا كانت الإجابة له خيرًا.

يدل على ذلك ما روى عن على بن أبى المتوكل عن أبى سعيد رضى الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم دعا الله عز وجل بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطى الله تعالى بها صاحبها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها، قالوا. يا رسول الله إذًا نكثر، قال ﷺ: الله أكثر»(١).

وقال بعضهم: إن الآية عامة ليس فيها أكثر من إجابة الدعوة، فإما إعطاء المنية وقضاء الحاجة فليس بمذكور فى الآية، وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ولا يعطيه سؤاله.

فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، لأن قوله: أجيب وأستجب خبر، والخبر لا يعترض عليه النسخ، لأنه إذا نسخ صار المخبر كذابًا، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وخبر الله تعالى لا يقع بخلاف مخبره.

والذى يؤيد هذا التأويل ما روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الإجابة»(٢).

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل للظلمة لا يدعونى فإنى أوجبت على نفسى أن أجيب من دعانى، وإنى إذا أجبت الظالمين لعنتهم.

وقيل: إن الله تعالى يجيب دعوة المؤمن فى الوقت إلا أنه يؤخر إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته.

يدل عليه ما روى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال. قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليدعو الله عز وجل وهو يحبه، فيقول الله تعالى: يا جبريل اقض لعبدى هذا حاجته وأخرها، فإنى أحب أن لا أزال أسمع صوته، وإن العبد ليدعو الله عز وجل وهو يبغضه فيقول: يا جبريل اقض لعبد هذا حاجته بإخلاصه

(١) أحمد ١٨/٣، وابن أبى شيبة ٢٠١/١٠.
(٢) الحاكم ٤٩٨/١، والدر المنثور ١٩٦/١، والقرطبى ٣١٠/٢

وعجلها، فإنى أكره أن أسمع صوته»[(١)].

وقيل: إن يحيى بن سعيد رحـمه الله قال: رأيت رب العزة فى المنام فقلت: يا رب كم أدعوك فلا تستجيب لى؟ قال: يا يحيى إنى أحب صوتك.

وقال بعضهم: إن للدعاء آدابًا وشرائط وهى أسباب الإجابة ونيل المنى، فمن راعاها واستكملهـا كان من أهل الإجابة، ومن أغفلهـا أو أخل بها فهو من أهل الاعـتداء فى الدعاء.

وقيل: إنه سئل إبراهيم بن أدهم رحمه الله فقيـل له: ما بالنا ندعو الله فلا يستجيب لنا؟ فقـال: لأنكم عرفتـم الرسول فلم تتبـعوا سنته، وعـرفتم القرآن فلـم تعملوا به، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم ترهبوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتـموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

(فصل) وأما النحر:

فقوله عز وجل: ﴿وانحر﴾.

والأصل فى النحـر أمر الله تعالى لخليلـه إبراهيم النبى ﷺ وذلك أن إبراهيم خليل الرحمن لما أنجـاه الله تعالى من نار نمرود الجبـار وسلمه من كيده وعـذابه، قال: ﴿إنى ذاهب إلـى ربى﴾ [الصافات:٩٩] يعنى مـهاجـراً إلى ربى، يعنى إلى رضـا ربى بالأرض المقدسة ﴿سيهدين﴾ [الصافات ٩٩] لدينه، وهو عليه السـلام أول من هاجر من خلق الله فى دين الله عز وجل، فهاجر ومعه لوط وسارة أخت لوط، وهو ابن خال إبراهيم عليه السلام، فلما قدم الأرض المقـدسة سأل ربه الولد قال: ﴿رب هب لى من الصـالحين﴾ [الصافات ١٠٠].

يقول: هب لى ولدًا صالحًا، فاستجاب الله له ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ [الصافات ١٠١] يعنى عليم وهو العالم، وهو إسحاق بن سارة، ﴿فلما بلغ معه السعى﴾ [الصافات.١٠٢] يعنى المشى إلى الجبل ﴿قال يـا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾ [الصافات١٠٢] يعنى أمـرت فى المنام بذبحك وذلك لنذر كـان عليه فـيـه عليه السـلام ﴿فانظـر ماذا ترى﴾ [الصافات ١٠٢] فرد عليـه إسحاق عليه السـلام بقوله: ﴿يا أبت افـعل مـا تؤمـر﴾ وأطع

(١) ابن عساكر ٢/٤٤٧، والكنز (٣٢٦٤)، والجوامع (٥٦٩٩).

ربك، فمن ثم لم يقل إسحاق لإبراهيم افعل ما رأيت فى المنام، ورأى ذلك إبراهيم عليه السلام ثلاث ليال متتابعات، وكان إسحاق صام وصلى قبل الذبح فقال: ﴿ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ [الصافات:١٠٢] على الذبح ﴿فلما أسلما﴾ [الصافات:١٠٣] يقول: أسلما لأمر الله تعالى وطاعته ﴿وتله للجبين﴾ [الصافات ١٠٣] يقول كبه على جبهته، فلما أخذ بناصيته ليذبحه لله، علم الله منهما الصدق، وقال الله عز وجل: ﴿وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا﴾ [الصافات ١٠٤ ـ ١٠٥] فى ذبح ابنك، فخذ الكبش واذبحه فداء عن ولدك، قال الله عز وجل: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [الصافات:١٠٧] واسم الكبش زرير، وكان من الوعول يرعى فى الجنة أربعين سنة قبل أن يذبح.

وقيل: إنه هو الكبش الذى قربه هابيل بن آدم المقتول شهيداً عليه السلام، وكان يرعى فى الجنة قد فدى به إسحاق النبى عليه السلام من الذبح، قال الله عز وجل: ﴿إنا كذلك نجزى المحسنين﴾ [الصافات:١٠٥] يعنى هكذا نجزى كل محسن، فجزاه الله خيراً بإحسانه بطاعته لأمر الله تعالى فى الذبح لابنه إسحاق.

وقيل: إن المأمور بذبحه إنما هو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، ثم قال الله عز وجل: ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ [الصافات:١٠٦] يعنى النعيم المبين حين عفا عنه وفداه بالكبش.

وقيل: إنه لما وضع الخليل عليه السلام السكين على حلق ولده نودى: ﴿أن يا إبراهيم﴾ [الصافات:١٠٤] خل ولدك، فإن مرادنا لم يكن قرباناً للولد، وإنما كان مرادنا خلو القلب عن محبة الولد، ولهذا قيل: إنه ذكر فى بعض الكتب أن إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يذبح ولده قال فى سره: يا رب، أيش لو كان هذا الذبح على يدى غيرى، قال الله تعالى: لا يكون إلاَّ على يدك، فقالت الملائكة: يا ربنا لم فعلت هكذا؟ قال: حتى يزيد بلاء على بلاء، فقالت الملائكة: لم؟ قال: حتى لا يحب أحداً غيرى، فإنى لا أقبل الشريك فى الحب، فإبراهيم عليه السلام أحب ولده فابتلى بذبحه، ويعقوب أحب يوسف فغاب عنه أربعين سنة وابتلى بفراقه، ونبينا محمد ﷺ أحب الحسن والحسين رضى الله عنهما وعلقا بقلبه، فجاء جبريل عليه السلام وأخبره بأن أحدهما يسم والآخر يقتل حتى لا يحب مع الحبيب سواه.

(فصل) ويستحب إذا خرج المؤمن إلى صلاة العيد فى طريق أن يرجع فى طريق أخرى.

لما روى ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ أخذ يوم العيد فى طريق ورجع فى آخر[١].

وفى حديث آخر أنه كان يخرج فى طريق ويرجع فى طريق آخر، فاختلف الناس فى ذلك، فقال أكثرهم: إنما أراد بذلك اختلاف حرز المشركين لعسكره، فخالف بين الطريقين ليختلف الحرز.

وقال آخرون: إنما قصد بذلك الاختصار فى الرجوع كأنه سلك الطريق الأطول فى الممر لكثرة الحسنات ورجع فى الأقصر.

وقال آخرون: لما مضى فى طريق شهدت له الأرض، ثم رجع فى طريق آخر لتشهد له الأرض الثانية.

وقيل: إنه عليه السلام مضى على حى من الأحياء ثم رجع على غيرهم ليساوى بينهم فى الإكرام، لأن رؤيته عليه السلام كانت رحمة، قال الله تعالى: **﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾** [الأنبياء.١٠٧].

وقيل: إن الأرض تفتخر بوطء النبى ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء وسعيهم عليها، فأراد أن يساوى بين البقعتين لكى لا تفتخر بعضها على بعض.

وقيل: إنه عليه السلام كان قد سلك إلى المصلى من طريق وقصده الحقيقة إلى الله تعالى، ثم أراد الرجوع إلى الأهل والوطن والطين والماء المعروف المعهود، فكره أن يسلك إلى الله تعالى طريقًا ثم يسلكه إلى غيره، فرجع من طريق آخر.

وقيل: إنه عليه السلام لو لم يرجع فى طريق آخر لوجب على الناس الاستنان به عليه السلام، وتعذر عليهم التفرق بعد صلاة العيد إلى منازلهم، فأراد أن يبين التوسعة عليهم فى الرجوع فى أى طريق شاءوا.

وقيل: إنه ﷺ فزع من مكيدة الكفار والمنافقين.

وقيل: إنه كان يتصدق على من كان معه، فكان يرجع فى طريق آخر حتى تتوفر

(١) أبو داود (١١٥٦).

الصدقة على الفقراء.

وقيل: إنه كان يفعل ذلك لأجل ازدحام الناس عليه ﷺ.

(فصل: فى فضيلة يوم النحر والأضحية)

روى عبد الله بن قرط رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر»[١].

وروى أن النبى ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها: «قومى إلى أضحيتك فاشهديها، فإنه يغفر لك بأول قطرة تقطر من دمها كل ذنب عملت، وقولى: إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين»[٢].

وروى عن النبى ﷺ قال: «إن داود عليه السلام قال: إلهى ما ثواب من ضحى من أمة محمد ﷺ قال: ثوابه أن يعطى بكل شعرة منها عشر حسنات، ويمحى عنه عشر سيئات، ويرفع له عشر درجات، فقال: إلهى فما ثوابه إذا شق بطنها؟ قال: إذا انشق القبر عنه أخرجه الله تعالى آمنًا من الجوع والعطش ومن أهوال القيامة، يا داود له بكل بضعة من لحمها طير فى الجنة كأمثال البخت، وبكل كراع منها مركب من مراكب الجنة، وبكل شعرة على جسدها قصر فى الجنة، وبكل شعرة على رأسها جارية من الحور العين.

أما علمت يا داود أن الضحايا هى المطايا، وأن الضحايا تمحو الخطايا وتدفع البلايا، مر بالضحايا فإنها فداء المؤمن كفداء إسحاق من الذبح»[٣].

وقال النبى ﷺ: «أحسنوا ضحاياكم فإنها مطاياكم يوم القيامة».

وروى أن عليًا رضى الله عنه قرأ ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾ [مريم ٨٥] ثم قال: وهل يكون الوفد إلاَّ ركبانًا على نجائبهم، ونجائبهم ضحاياهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها أرحلة من الذهب، وأزمتها من الزبرجد، ثم تنطلق بهم إلى الجنة حتى يقرعوا بابها.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «ضحوا وطيبوا بها نفسًا فإنه من أخذ أضحيته

---

(١) الحاكم ٤/٢٢١، وأحمد ٤/ ٣٥٠، والدر المنثور ٣/٢١١، والإرواء ١٩/٧

(٢) الحاكم ٣/٩٩، والصعيفة (٥٢٨)، والكنز (٣٧٧٥٥)، والعلل المتناهية (١٥٩٦)

(٣) حلية الأولياء ٥/١٦٦، والدر المنثور ١/٢١١، والكنز (١٢٣٩٣)

فاستقبل بهـا القبلة كان دمها وشعرها محصـورين له يوم القيامة، فإن الدم إذا وقع فى التراب فإنما يقع فى حرز الله، انفقوا يسيرًا تؤجروا كثيرًا»(١).

وروى «أن النبى ﷺ دعا بكبشين أملحين أقرنين عظيـمين، فأضجع أحدهما وقال: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عـن محمد وعن أهل بيتـه، ثم ثنى بالآخر وقال: بسم الله والله أكبر اللهم هذا عن محمد وعن أمته»(٢).

وعن جـابر بن عبـد الله رضى الله عنهمـا عن النبى ﷺ «أنه ضـحى بكبشـين يوم النحر»(٣).

وأخبـرنا هبة الله عن محمـد بن أحمد الخـازن المعدل الكوفى، قال: أنبـأنا القاضى محـمد بن عبد الله الجـعفى، أنبأنا مـحمد بن جعـفر الأشجـعى، أنبأنا على بن المنذر الطرفى، أنبأنا ابن فضـيل عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عـائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «من قرب أضـحيته يوم النحر لينحـرها، قربه الله تعالى إلى الجنة، فإذا نحرها غفر الله له بأول قطرة تقطر من دمها، وجعلها الله تعالى له مركبًا يوم القيامة إلى المحشر، ويعطى بعدد شعرها وصوفها حسنات».

وروى عن أنس بن مـالك رضى الله عنه: «أن النبـى ﷺ ضحى بكبـشـين أقـرنين أملحين، فكان يذبح ويسمى ويضع رجله على صفحتها»(٤).

قال أبو عبيدة: الأملح ما فيه بياض وسواد، والسواد أغلبه.

وروت عائشة رضى الله عنها أنه «أمر النبى ﷺ بكبش أقرن يطأ فى سواد وينظر فى سواد ويبرك فى سواد، فأتى به فضحى به فأضجعه وذبحه فقال: بسم الله، اللهم تقبّل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد»(٥).

قال أصحاب الحديث: قوله: «ويطأ فى سواد وينـظر فى سواد معناه: لكثرة شحمه ولحمه ما يظل فى ظل نفسه وينظر فيه ويبرك فيه».

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٨١٦٧)، (١٢٢٣٤).

(٢) أبو داود (٢٧٩٤)، والنسائى ٧/ ٢٣١.

(٣) الإتحاف ٣/ ٤٠٥

(٤) أبو داود (٢٧٩٤)، والنسائى ٧/ ٢٣١.

(٥) أبو داود فى. الضحايا: ب (٤)، وأحمد ٦/ ٧٨، والبيهقى ٩/ ٢٦٦، ٢٦٧.

وقال أهل اللغة: معنى السواد فى هذا الموضع: أنه كان أسود اليدين والعينين والركبتين.

(فصل: فى صلاة ليلة الأضحى)

وهو أن يصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب خمس عشرة مرة، و ﴿قل هو الله أحد...﴾ كذلك، و ﴿قل أعوذ برب الفلق...﴾ مثل ذلك، و ﴿قل أعوذ برب الناس...﴾ كذلك، فإذا سلم قرأ آية الكرسى ثلاث مرات، واستغفر الله خمس عشر مرة، ثم يدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة.

(فصل) والأضحية سنة:

لا يستحب تركها لمن قدر عليها عند الإمام أحمد ومالك والشافعى رحمهم الله، وعند غيرهم هى واجبة.

والأصل فى استحبابها دون وجوبها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: «أمرت بالنحر وهو لكم سنة».

وفى خبر آخر: «ثلاث على فرض، ولكم تطوع: النحر، والوتر، وركعتا الفجر...»[1].

وفى حديث أم سلمة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحى فلا يمس من شعره ولا بشرته شيئًا»[2].

فعلق ﷺ الأضحية بالإرادة، وما كان واجبًا بالشرع لا يتعلق بالإرادة.

(فصل) وأفضلها الإبل ثم البقر ثم الغنم، ولا يجزىء إلا الجذع من الضأن والثنى مما سواه.

أما الجذع فهو ما كمل له ستة أشهر، والثنى من المعز ما كمل له سنة، ومن البقر ما كمل له سنتان، ومن الإبل ما كمل له خمس سنين، وتجزىء الشاة عن واحد، والبدنة من الإبل والبقر عن سبعة.

وأفضل الضحايا الشهب ثم الصفر ثم السود، والأفضل أن يذبحها بنفسه، فإن لم

(١) الحديث بتمامه إلا أنه فى آخره· «وصلاة الضحى» أحمد ١/ ٢٣١، والبيهقى ٢/ ٤٦٨، والدارقطنى ٢/ ٢١.

(٢) أحمد ٦/ ٢٨٦، والبيهقى ٩/ ٢٦٦، وشرح السنة ٤/ ٣٤٧.

يحسن فليشاهد ذبحها، ويأكل ثلثها، ويهدى ثلثها، ويتصدق بثلثها، ويجتنب فيها المعيبة.

والعيوب خمسة، فلا يضحى بعضباء القرن والأذن وهى ما ذهب أكثر أذنها أو قرنها، وقيل: ما ذهب ثلث أذنها وقرنها.

وكذلك لا يضحى بالجماء، لأنها كالعضباء فى أصح القولين، ولا بالعوراء البين عورها، وهى ما انخسفت عينها وذهبت، ولا بالعجفاء التى لا تنقى، وهى الهزيلة التى لا مخ فيها، ولا بالعرجاء البين عرجها، وهى التى لا تقدر على المشى مع السرح، ولا المشاركة فى العلف لضعفها، ولا بالمريضة البين مرضها، ولا بالجرباء، لأن جربها يفسد اللحم.

وقد نهى النبى ﷺ أن يضحى بالمقابلة، وهى ما قطع شيء من مقدم أذنها وبقى معلقًا، ولا بالمدابرة، وهى ما قطع شيء من خلف أذنها، ولا بالخرقاء، وهى ما ثقب الكى أذنها، ولا بالشرقاء، وهى ما شق الكى أذنها، وذلك محمول على نهى تنزيه لا على نهى تحريم، والأولى أن يجتنب ذلك، وإن ضحى بها جاز.

وأيام النحر ثلاثة: يوم العيد بعد الصلاة أو قدرها، ويومان بعده، وهو مذهب أكثر الفقهاء، وقال الشافعى رحمه الله: يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة.

والذى ذكرناه من أنه ثلاثة أيام منقول عن عمر وعلى وابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهم.

ومن ضحى قبل صلاة الإمام فهى شاة لحم لا يحصل بذلك ثواب الأضحية لما روى منصور عن الشعبى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر بعد الصلاة فقال: «من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم، فقام أبو بردة بن نبار رضى الله عنه فقال: يا رسول الله لقد نسكت قبل أن أخرج إلى الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب فعجلت وأكلت وأطعمت أهلى وجيرانى، فقال رسول الله ﷺ: تلك شاة لحم فقال: إن عندى عناقًا جذعة وهى خير من شاتى لحم فهل تجزىء عنى؟ فقال ﷺ: نعم، ولا تجزىء عن أحد بعدك»[1].

(١) البخارى ٢/ ٢١، وأبو داود (٢٨٠٠)، والنسائى ٧/ ٢٢٣.

وعن الأسود بن قيس رضى الله عنه قال: شهدت النبى ﷺ يوم النحر مر بقوم ذبحوا قبل الصلاة، فقال ﷺ: «من ذبح قبل الصلاة فليعد»[1].

وفى بعض الأخبار «من كان ذبح قبل أن يصلى فليعد أخرى مكانها ومن لم يكن ذبح فليذبح»[2].

(فصل: فى ذكر أيام التشريق)

قال الله تعالى: ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ [البقرة ٢٠٣] يعنى بالذكر: التكبير إدبار الصلوات، وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات، يستحب ذلك من أول العشر إلى آخر أيام التشريق.

قوله: ﴿فى أيام معدودات﴾ يعنى أيام التشريق أيام منى الثلاث، وأما المعلومات. فهى أيام العشر، وعلى هذا أكثر العلماء، ويدل عليه قوله تعالى. ﴿فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه﴾ [القرة ٣ ٢] وإنما يكون الصدر فى أيام التشريق فى يومين منها أو جميع الثلاث.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: أمر الله تعالى بذكره فى الأيام المعدودات وهى أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر، وجعلها معدودة لقلتها فى أيام عمرك، كقوله تعالى فى شهر رمضان: ﴿أيامًا معدودات﴾ [القرة:١٨٤] لقلتها من بين الشهور، وكما قال تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾ [يوسف. ٢٠].

وقيل: إنما سميت معدودة، لأنها تعد من أيام الحج، فيفرغ فيها مما عليه من أفعال الحج من رمى الجمار والبيتوتة بمزدلفة.

وقال الزجاج: تستعمل المعدودات فى اللغة للشىء القليل فسميت بذلك لأنها ثلاث أيام، فالأيام المعدودات، أيام التشريق، والذكر المأمور فيها: التكبير.

وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: الأيام المعدودات ثلاثة أيام، يوم النحر ويومان بعده.

وقال إبراهيم النخعى رحمه الله: الأيام المعدودات: أيام العشر، والمعلومات. أيام النحر.

---

(١) أحمد ٤/٣١٣، والبيهقى ٩/ ٢٦٢.

(٢) البخارى ٧/ ١٣٢، والبيهقى ٩/ ٢٦٢.

وسبب أمر الله تعالى المسلمين بالذكر فى هذه الآية والتى قبلها قوله عز وجل: ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾ [البقرة ٢٠٠] على ما ذكر المفسرون أن العرب كانوا إذا فرغوا من حجهم وقفوا عند البيت وذكروا مآثر آبائهم ومفاخرهم، وكان الرجل يقول إن أبى كان يقرى الضيف، ويطعم الطعام، وينحر الجزور، ويفك العانى، ويجز النواصى، ويفعل كذا وكذا، ويتفاخرون بذلك، فأمرهم الله عز وجل بذكره، فأنزل الله عز وجل: ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً...﴾ [البقرة.٢٠٠] إلى قوله تعالى: ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ [البقرة:٢٠٣].

وقال جل وعلا: ﴿فاذكرونى﴾ [البقرة:١٥٢] فأنا الذى فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسنت إليكم وإليهم.

وقال السدى رحمه الله: كانت العرب إذا قضت مناسكها وأقاموا بمنى يقوم الرجل فيسأل الله عز وجل ويقول: اللهم إن أبى كان عظيم الجفنة عظيم القبة كثير المال، فأعطنى مثل ذلك، وليس يذكر الله عز وجل، إنما يذكر أباه، ويسأل أن يعطى فى دنياه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال ابن عباس وعطاء والربيع والضحاك معناه: فاذكروا الله تعالى كذكر الصبيان الصغار الآباء، وهو قول الصبى أول ما يفصح ويفقه كلام أبيه وأمه، ثم يلهج بأبيه وأمه.

وعن عمر بن مالك عن أبى الجوزاء قال: قلت لابن عباس رضى الله عنهما: أخبرنى عن قول الله عز وجل: ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾ [البقرة: ٢] وقد يأتى على الرجل يوم لا يذكر فيه أباه، فقال ابن عباس رضى الله عنهما: ليس كذلك، ولكن أن تغضب لله عز وجل إذا عصى أشد من غضبك لوالديك إذا شتما.

وعن محمد بن أبى حميد عن محمد بن كعب القرظى رحمه الله ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾ أى كذكر آباءكم إياكم ﴿أو أشد ذكراً﴾ يعنى بل أشد كقوله: ﴿أو يزيدون﴾ [الصافات ١٤٧] أى بل يزيدون.

قال مقاتل رحمه الله: ﴿أو أشد ذكراً﴾ يعنى أكثر ذكراً كقوله: ﴿أو أشد قسوة﴾ [البقرة ٧٤] ﴿أو أشد خشية﴾ [النساء.٧٧].

(فصل) وقد سمى الله عز وجل أشياء فى القرآن ذكراً:

ـ من ذلك أنه سمى التوراة ذكراً، فقال عز وجل: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [الأنبياء.٧، والنحل ٤٣].

ـ وسمى القرآن ذكراً، قوله عز وجل: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ [الأنبياء ٥٠].

ـ وسمى اللوح المحفوظ ذكراً، قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر﴾ [الأنبياء.١٠٥] يعنى من بعد اللوح المحفوظ.

ـ وسمى الموعظة ذكراً، قوله عز وجل: ﴿فلما نسوا ما ذكروا﴾ [الأنعام ٤٤، والأعراف:١٦٥].

ـ وسمى الرسول ذكراً، قوله عز وجل: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً﴾ [الطلاق: ١٠ ـ ١١].

ـ والخير ذكراً، قوله عز وجل: ﴿هذا ذكر من معى وذكر من قبلى﴾ [الأنبياء٢٤].

ـ والشرف ذكراً، قوله عز وجل: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف ٤٤].

ـ والتوبة ذكراً، قوله عز وجل: ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ [هود١١٤].

ـ والصلاة ذكراً، قوله عز وجل: ﴿فاذكروا الله كما علمكم﴾ [البقرة.٢٣٩].

ـ وسمى صلاة العصر ذكراً، قوله عز وجل: ﴿إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى﴾ [ص:٣٣] يعنى صلاة العصر.

ـ والجمعة أيضاً ذكراً، قوله عز وجل: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة٩].

ـ والشفاعة ذكراً، قوله عز وجل: ﴿اذكرنى عند ربك﴾ [يوسف٤٢].

ـ وسمى الطاعة ذكراً، قوله عز وجل: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ [البقرة ١٥٢] معناه: اذكرونى بالطاعة أذكركم بالمغفرة.

ـ وسمى الندامة ذكراً، قوله تعالى: ﴿أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله﴾ [آل عمران ١٣٥] أى ندموا بالقلب واستغفروا باللسان.

ـ وسمى التكبير ذكراً، قوله تعالى: ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ [البقرة ٢٠٢] يعنى أيام التشريق.

* * *

(فصل) واختلف لم سميت أيام التشريق:

فقال قوم إن المشركين كانوا يقولون أشرق ثبير كيما نفير، يعنى ادخل فى الشرق يا ثبير، وهو اسم جبل، كيما نغير أى كيما ندفع، لأنهم كانوا لا يدفعون ولا يفيضون من المزدلفة إلاَّ بعد أن تشرق الشمس فجاء الإسلام فأبطل ذلك.

وقيل: إنما سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحى، وتشريق اللحم: أن يشرح ويشرق فى الشمس، ويسمى القديد شرائق اللحم.

وقيل: بل سميت الصلاة يوم النحر، والتشريق صلاة العيد، وإنما أخذ من شروق الشمس لأن ذلك يكون وقتها، وسمى المصلى المشرق لأن الناس يبرزون فيه للشمس، فسمى يوم العيد يوم التشريق لهذا المعنى، ثم صارت أيام التشريق تبعًا للعيد.

وقيل لذى النون المصرى رحمه الله: لِمَ سمى الموقف بالمشعر ولم يسم بالحرم؟ فقال: لأن الكعبة بيته، والحرم حجابه، والمشعر بابه، فلما قصده الوافدون أوقفهم بالباب الأول يتضرعون إليه، ثم أوقفهم بالحجاب الثانى وهو المزدلفة، فلما نظر إلى تضرعهم أمرهم بتقريب قربانهم، فلما أن قربوها وتطهروا من الذنوب أمرهم بالزيارة على الطهارة.

فقيل له: لم كره الصيام فى أيام التشريق؟ قال: لأن القوم زاروا الله تعالى وهم فى ضيافته، ولا ينبغى للضيف أن يصوم عند من أضافه.

فقيل له: يا أبا الفيض ما معنى تعلق الرجل بأستار الكعبة؟ قال: مثله كمثل رجل بينه وبين صاحبه جناية، فهو متعلق بذيل رجال يشفعون له أن يهب له جرمه.

(فصل) واختلف فى قدر التكبير فى هذه الأيام:

قال نافع رحمه الله: كان عمر وعبد الله ابنه رضى الله عنهما يكبران بمنى هذه الأيام عقيب الصلاة، وفى المجلس، وعلى الفرش، والفسطاط، وفى الطريق، ويكبّر الناس بتكبيرهما، ويتلوان هذه الآية، فالاتفاق حاصل على كون التكبير سنة، وإنما الخلاف فى قدره.

وكان على رضى الله عنه يكبر من صلاة الغداة من يوم عرفة، إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق، وهو مذهب إمامنا أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وأحد أقوال الشافعى ومذهب أبى يوسف ومحمد بن الحسن، وهو أولى الأقاويل وأجمعها

وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يكبّر من صلاة الغداة يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر، وهو مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان رحمه الله تعالى.

وكان ابن عباس وزيد بن ثابت رضى الله عنهم يكبّران من صلاة الظهر من يوم النحر إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق، وهو قول عطاء رحمه الله.

والأظهر من مذهب الشافعى رحمه الله أن يبدأ بالتكبير من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الفجر من آخر أيام التشريق اقتداء بالحاج، وهو مذهب الإمام مالك، وللشافعى قول ثالث: أوله من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق.

وأما لفظ التكبير، فكان ابن مسعود رضى الله عنه يكبّر اثنين: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، وهو مذهب إمامنا أحمد وأبى حنيفة رحمهما الله وأهل العراق.

وعن مالك رحمه الله تعالى أنه كان يقول: الله أكبر الله أكبر، ثم يقطع فيقول: الله أكبر لا إله إلا الله.

وكان سعيد بن جبير والحسن رحمهما الله تعالى يقولان: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثًا نسقًا ثم يسوق التكبير إلى آخره على ما ذكرنا أولاً وهو مذهب الشافعى رحمه الله وأهل المدينة.

وعن قتادة رحمه الله أنه كان يقول: الله أكبر كبيرًا، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر ولله الحمد.

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى»(١).

وعن جعفر بن محمد رحمه الله أنه قال: «إن رسول الله ﷺ بعث مناديًا فنادى فى أيام التشريق. إنها أيام أكل وشرب وبعال»(٢).

(فصل) وإن كان محرمًا فمن صلاة الظهر يوم النحر إلى آخر أيام التشريق عند إمامنا أحمد رحمه الله تعالى، وكذلك فى الصحيح عنه لا يكبّر إلا إذا صلى الفرض فى

(١) البيهقى (١٧١٩)، والصحيحة ٣/ ٢٧٧

(٢) مسلم فى. الصيام: حديث (١٤٤)، والنسائى فى: الإيمان ب (٧)، وأحمد ٢/ ٢٢٩

جماعة، ولا يكبر إذا كان وحده ولا عقيب النوافل.

(فصل) وهذا التكبير الذى ذكرناه فى عيد الأضحى مثله فى عيد الفطر بل هو آكد فى الفطر ليلة الفطر لقول الله عز وجل: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ [البقرة ١٨٥]. غير أن ابتداءه من بعد غروب الشمس ليلة الفطر إلى أن يفرغ الإمام من خطبتى العيد يوم العيد ثم ينقطع.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: ليس فى الفطر تكبير مسنون.

وقال مالك رحمه الله: يكبّر يوم الفطر دون ليلته ويكون وقته إلى أن يأتى المصلى ويخرج الإمام ويظهر الناس للصلاة.

وقال الشافعى رحمه الله: يكبّر من غروب الشمس ليلة الفطر إلى أن يفرغ الإمام من خطبتى العيد يوم العيد ثم ينقطع.

وقال فى قول: يكبّر من غروب الشمس ليلة العيد إلى أن يظهر الإمام فى المصلى.

وقال فى قول: إلى أن يحرم بالصلاة. وفى قول: إلا أن يفرغ من الصلاة.

* * *

مجلس
فى فضائل يوم عاشوراء

قال الله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله...﴾ إلى قوله: ﴿منها أربعة حرم﴾ [التوبة:٣٦] وقد تقدم ذكر ذلك.

وإن منها المحرم، فهذا الشهر من الأشهر المحرمة عند الله تعالى، وفيه يوم عاشوراء الذى عظم الله تعالى أجر من أطاعه فيه.

من ذلك ما أخبرنا به أبو نصر عن والده، بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يومًا من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يومًا»(١).

ومن ذلك ما روى عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عاشوراء من المحرم أعطى ثواب عشرة آلاف ملك، ومن صام يوم عاشوراء من المحرم أعطى ثواب عشرة آلاف شهيد وثواب عشرة آلاف حاج ومعتمر، ومن مسح بيده على رأس يتيم يوم عاشوراء رفع الله تعالى له بكل شعرة على رأسه درجة فى الجنة، ومن فطر مؤمنًا ليلة عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم.

قالوا: يا رسول الله لقد فضل الله تعالى يوم عاشوراء على سائر الأيام؟ قال ﷺ: نعم خلق الله تعالى السموات فى يوم عاشوراء، وخلق الجبال يوم عاشوراء، وخلق البحار يوم عاشوراء، وخلق القلم يوم عاشوراء، وخلق اللوح يوم عاشوراء، وخلق آدم يوم عاشوراء، وأدخله الجنة يوم عاشوراء، وولد إبراهيم عليه السلام يوم عاشوراء، ونجاه الله من النار يوم عاشوراء، وفدى ابنه من الذبح يوم عاشوراء، وأغرق فرعون يوم عاشوراء، وكشف الله تعالى البلاء عن أيوب يوم عاشوراء، وتاب الله تعالى على آدم يوم عاشوراء، وغفر الله تعالى ذنب داود عليه السلام يوم عاشوراء، وولد عيسى يوم عاشوراء، ويوم القيامة فى يوم عاشوراء»(٢).

(١) الطبرانى ١١/٧٢، والضعيفة (٤١٢).

(٢) تنزيه الشريعة ٢/١٤٩، وعزاه إلى ابن الجوزى من طريق حبيب بن أبى حبيب وقال هو آفة.

وفى لفظ آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة بصيامها وقيامها، ومن صام يوم عاشوراء أعطى ثواب ألف شهيد، ومن صام يوم عاشوراء كتب الله له أجر أهل سبع سموات، ومن فطر مؤمنًا يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم، ومن مسح رأس يتيم فى يوم عاشوراء رفعت له بكل شعرة على رأسه درجة فى الجنة، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يا رسول الله لقد فضلنا الله تعالى بيوم عاشوراء، قال ﷺ: خلق الله تعالى السموات يوم عاشوراء والأرض كمثله، وخلق الجبال يوم عاشوراء والنجوم كمثله، وخلق العرش يوم عاشوراء والكرسى كمثله، وخلق اللوح يوم عاشوراء والقلم كمثله، وخلق جبريل يوم عاشوراء والملائكة كمثله، وخلق آدم فى يوم عاشوراء، وولد إبراهيم فى يوم عاشوراء، ونجاه الله تعالى من النار يوم عاشوراء، وفدى الله ابنه يوم عاشوراء، وأغرق فرعون فى يوم عاشوراء، ورفع إدريس فى يوم عاشوراء، وكشف الضر عن أيوب فى يوم عاشوراء، ورفع عيسى فى يوم عاشوراء، وولد عيسى فى يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم فى يوم عاشوراء، وغفر ذنب داود فى يوم عاشوراء، وأعطى الله الملك لسليمان فى يوم عاشوراء، وولد نبيكم محمد ﷺ فى يوم عاشوراء، واستوى الرب تبارك وتعالى على العرش فى يوم عاشوراء، ويوم القيامة فى يوم عاشوراء، وأول مطر نزل من السماء يوم عاشوراء، وأول رحمة نزلت فى يوم عاشوراء، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض مرضًا إلا مرض الموت، ومن اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه تلك السنة كلها، ومن عاد مريضًا يوم عاشوراء فكأنما عاد ولد آدم، ومن سقى شربة من ماء يوم عاشوراء فكأنما لم يعص الله طرفة عين، ومن صلى أربع ركعات يوم عاشوراء يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمسين مرة ﴿**قل هو الله أحد...**﴾ غفر الله تعالى له ذنوب خمسين عامًا ماضيًا وخمسين عامًا مستقبلاً، وبنى له فى الملأ الأعلى ألف منبر من نور».

وقد ورد فى حديث آخر «من صلى يوم عاشوراء أربع ركعات، بتسليمتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة، و ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها...**﴾ مرة، و ﴿**قل يا أيها الكافرون...**﴾ مرة، و ﴿**قل هو الله أحد...**﴾ مرة، ويصلى على النبى ﷺ سبعين مرة إذا فرغ منها»[1] مروى ذلك فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

---

(١) الموضوعات ٢/ ١٢٢، والتنزيه ٢/ ٨٩، والفوائد المجموعة (٤٧).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترض على بنى إسرائيل صوم يوم فى السنة وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا فيه على عيالكم، ومن وسع على عياله من ماله فى يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته، ومن صام هذا اليوم كان كفارة أربعين سنة، وما من أحد أحيا ليلة عاشوراء وأصبح صائمًا مات ولم يدر بالموت».

وفى حديث على كرّم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحيا ليلة عاشوراء أحياه الله تعالى ما شاء».

وعن سفيان بن عيينة عن جعفر الأحمر الكوفى عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر ـ وكان من أفضل من رؤى بالكوفة على ما قيل فى زمانه ـ أنه بلغه: أن من وسع على عياله فى يوم عاشوراء وسع الله تعالى عليه سائر سنته.

قال سفيان رحمه الله: فجربنا ذلك منذ خمسين سنة فلم نر إلا سعة.

وعن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من وسع على أهله فى يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته»[1].

وقيل عن بعض السلف أنه قال: «من صام يوم الزينة، يعنى يوم عاشوراء أدرك ما فاته

من صيام السنة، ومن تصدق فيه يومئذ أدرك ما فاته من صدقة السنة».

وقال يحيى بن أبى كثير رحمه الله: من اكتحل يوم عاشوراء بكحل فيه مسك لم يشتك عينه إلى قابل من ذلك اليوم.

وأخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن أبى غليظ بن أمية بن خلف الجمحى قال: «رأى النبى ﷺ على بيتى صردًا فقال: هذا أول طائر صام يوم عاشوراء»[2].

وقال قيس بن عباد: كانت الوحش تصوم يوم عاشوراء.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل صيام بعد شهر رمضان شهر الله الذى يدعونه المحرم، وأفضل الصلاة بعد المفروضة وفى جوف الليل.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٤٥، والطبرانى ١٠/ ٩٤، والعلل المتناهية ٢/ ٦٢.
(٢) اللآلىء المصنوعة ٢/ ٦٢، والأسرار (٤١٥)، والتذكرة (١١٨)

الصلاة يوم عاشوراء»[١].

وعن على كرّم الله وجهه قال: إن النبى ﷺ قال: «فى شهر الله المحرم تاب الله على قوم ويتوب على آخرين»[٢].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام آخر يوم من ذى الحجة وأول يوم من المحرم فقد ختم السنة الماضية بصوم واستفتح السنة المستقبلة بصوم، وجعل الله عز وجل له كفارة خمسين سنة»[٣].

وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان عاشوراء يومًا تصومه قريش فى الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه بمكة، فلما قدم المدينة فرض صيام رمضان، قال: فمن شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء تركه».

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسأل عن ذلك، فقالوا: هذا اليوم الذى أظهر الله عز وجل فيه موسى عليه السلام وبنى إسرائيل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيمًا له، فقال النبى ﷺ: نحن أولى بموسى منكم، فأمر بصومه»[٤].

(فصل) واختلف العلماء رحمهم الله فى تسميته بيوم عاشوراء:

فقال أكثرهم: إنما سمى يوم عاشوراء، لأنه عاشر يوم من أيام المحرم.

وقال بعضهم: إنما سمى عاشوراء، لأنه عاشر الكرامات التى أكرم الله عز وجل هذه الأمة بها:

أولها: رجب، وهو شهر الله تعالى الأصم، وإنما جعله كرامة لهذه الأمة وفضله على سائر الشهور كفضل هذه الأمة على سائر الأمم.

الكرامة الثانية: شهر شعبان، وفضله على سائر الشهور كفضل النبى ﷺ على سائر الأنبياء.

والثالثة: شهر رمضان وفضله على سائر الشهور كفضل الله تعالى على خلقه.

(١) النسائى ٣/٢٠٦، وأحمد ٢/٣٤٢، والبيهقى ٤/٢٩١.

(٢) أمالى الشجرى ٢/٤٥.

(٣) التنزيه ٢/٤٨، والفوائد (٩٦)، والتذكرة (١١٨).

(٤) البخارى ٦/١٢١، والفتح ٨/٤٣٤.

والرابعة: ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر.

والخامسة: يوم الفطر، وهو يوم الجزاء الأوفى.

والسادسة: أيام العشر، وهي أيام ذكر الله تعالى.

والسابعة: يوم عرفة، وصومه كفارة سنتين.

والثامنة: يوم النحر، وهو يوم القربان.

والتاسعة: يوم الجمعة، وهو سيد الأيام.

والعاشرة: يوم عاشوراء، وصومه كفارة سنة.

فلكل وقت من هذه الأيام كرامة جعلها الله تعالى لهذه الأمة تكفيراً لذنوبهم وتطهيراً لخطاياهم.

وقال بعضهم: إنما سمي عاشوراء، لأن الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء عليهم السلام بعشر كرامات:

إحداها: أنه عز وجل تاب على آدم عليه السلام فيه.

والثانية: رفع الله عز وجل إدريس النبي عليه السلام فيه مكانًا عليًا.

والثالثة: استوت سفينة نوح عليه السلام فيه على الجودي.

والرابعة: ولد إبراهيم عليه السلام فيه، واتخذه الله تعالى خليلاً وأنجاه من نار نمرود فيه.

والخامسة: تاب الله عز وجل على داود عليه السلام فيه، ورد الملك على سليمان عليه السلام فيه.

والسادسة: كشف الله ضر أيوب عليه السلام فيه.

والسابعة: نجى الله عز وجل موسى عليه السلام من البحر، وأغرق فرعون في البحر فيه.

والثامنة: نجى الله عز وجل يونس عليه السلام من بطن الحوت فيه.

والتاسعة: رفع الله عز وجل عيسى عليه السلام إلى السماء فيه.

والعاشرة: ولد نبيّنا محمد ﷺ فيه.

* * *

(فصل) واختلفوا فى أى يوم هو من المحرم:

فقال أكثرهم: اليوم العاشر من المحرم وهو الصحيح لما تقدم.

وقال بعضهم: هو الحادى عشر منه.

ونقل عن عائشة رضى الله عنها أنه هو التاسع منه.

وعن الحكيم بن الأعرج أنه سأل ابن عباس رضى الله عنهما عن أى يوم يصام عاشوراء؟ فقال: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد، ثم أصبح صائمًا من تاسعه.

قلت: أكذلك كان يصومه محمد ﷺ؟ قال: نعم.

وفى حديث آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضًا، أنه صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ: إذا كان العام المقبل إن شاء الله تعالى صمنا يوم التاسع، فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ[١].

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى لفظ آخر: «قال رسول الله ﷺ: لئن عشت إلى قابل إن شاء الله تعالى صمت يوم التاسع، مخافة أن يفوته يوم عاشوراء»[٢].

(فصل) ونذكر من فضائل يوم عاشوراء أن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما قتل فيه.

روى عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ فى منزلى، إذ دخل عليه الحسين رضى الله عنه فطالعتهما من الباب وإذا الحسين رضى الله عنه على صدر النبى ﷺ يلعب، وفى يد النبى ﷺ قطعة من طين ودموعه تجرى، فلما خرج الحسين رضى الله عنه دخلت فقلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله طالعتك وفى يدك طينة وأنت تبكى، فقال ﷺ لى: لما فرحت به وهو على صدرى يلعب أتانى جبريل عليه السلام، وناولنى الطينة التى يقتل عليها، فلذلك بكيت».

وروى عن الحسن البصرى رحمه الله أنه قال: إن سليمان بن عبد الملك رأى النبى ﷺ فى المنام يبشره ويلاطفه، فلما أصبح سأل الحسن رضى الله عنه عن ذلك، فقال له

---

(١) مسلم فى: الصيام (١٣٣)، وأبو داود فى. الصيام (٦٤)

(٢) أحمد ١/٢٣٦، والإتحاف ٤/ ٢٥٥

الحسن رضى الله عنه: لعلك فعلت إلى أهل بيت رسول الله ﷺ معروفًا، فقال: نعم، وجدت رأس الحسين بن على رضى الله عنه فى خزانة يزيد بن معاوية، فكسوته خمسة أثواب من الديباج، وصليت عليه مع جماعة من أصحابى وقبرته، فقال له الحسن رحمه الله: لقد رضى النبى ﷺ عنك بسبب ذلك، فأحسن إلى الحسن رحمه الله، وأمر له بالجوائز.

وروى عن حمزة الزيات قال: رأيت النبى ﷺ وإبراهيم الخليل عليه السلام فى المنام يصليان على قبر الحسين بن على رضى الله عنهما.

وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن أبى أسامة عن جعفر بن محمد رحمه الله قال: هبط على قبر الحسين بن على رضى الله عنهما يوم أصيب سبعون ألف ملك يبكون عليه إلى يوم القيامة.

(فصل) وقد طعن قوم على من صام هذا اليوم العظيم وما ورد فيه من التعظيم وزعموا أنه لا يجوز صيامه لأجل قتل الحسين بن على رضى الله عنهما فيه.

وقالا: ينبغى أن تكون المصيبة فيه عامة لجميع الناس لفقده فيه، وأنتم تتخذونه يوم فرح وسرور، وتأمرون فيه بالتوسعة على العيال والنفقة الكثيرة، والصدقة على الفقراء والضعفاء والمساكين، وليس هذا من حق الحسين رضى الله عنه على جماعة المسلمين.

وهذا القائل خاطىء ومذهبه قبيح فاسد، لأن الله تعالى اختار بسبط نبيه محمد ﷺ الشهادة فى أشرف الأيام وأعظمها وأجلها وأرفعها عنده، ليزيده بذلك رفعة فى درجاته وكراماته، مضافة إلى كرامته وبلغه منازل الخلفاء الراشدين الشهداء بالشهادة، ولو جاز أن يتخذ يوم موته يوم مصيبة لكان يوم الإثنين أولى بذلك، إذ قبض الله تعالى نبيه محمداً ﷺ فيه، وكذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه قبض فيه، وهو ما روى هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال لى أبو بكر رضى الله عنه. أى يوم توفى النبى ﷺ فيه؟ قلت: يوم الإثنين، قال رضى الله عنه: إنى أرجو أن أموت فيه، فمات رضى الله عنه فيه، وفقد رسول الله ﷺ وفقد أبى بكر رضى الله عنه أعظم من فقد غيرهما.

وقد اتفق الناس على شرف يوم الإثنين وفضيلة صومه، وأنه تعرض فيه الأعمال، وفى يوم الخميس ترفع أعمال العباد، وكذلك يوم عاشوراء لا يتخذ يوم مصيبة، ولأن

يوم عاشـوراء أن يتخذ يوم مصـيبة ليس بأولى من أن يتـخذ يوم فرح وسـرور لما قدمنا ذكره وفضله، من أنه نجى الله تعالى فيه أنبياءه من أعدائهم، وأهلك فيه أعداءهم الكفار من فرعون وقومه وغيرهم، وأنه تعالى خلق السـموات والأرض والأشياء الشريفة فيه، وآدم عليه السلام وغـير ذلك، وما أعد الله تعالى لمن صامـه من الثواب الجزيل والعطاء الوافر الكثير، وتكفير الذنوب وتمحيص السيئات فصار عاشوراء بمثابة بقية الأيام الشريفة كالعـيدين والجمـعة وعـرفة وغيـرها، ثم لو جاز أن يتخـذ هذا اليوم مـصيبـة لاتخذه الصحابة والتابعون رضى الله عنهم، لأنهم أقرب إليه منا وأخص به.

وقد ورد عنهم الحث على التوسـعة على العيال فيه والصـوم فيه، من ذلك ما روى عن الحسن رحمه الله أنه قال: «صوم يوم عاشوراء فريضة».

وكان علـى رضى الله عنه يأمر بصـيامه فـقالت لهم عـائشة رضى الله عنـها: «من يأمركم بصـوم يوم عاشوراء؟ قالوا. على رضى الله عنه، قـالت: أما إنه أعلم من بقى بالسنة».

وروى عن على رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحيا ليلة عاشوراء أحياه الله تعالى ما شاء» فدل على بطلان ما ذهب إليه القائل، والله تعالى أعلم.

* * *

مجلس
فى فضائل يوم الجمعة

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [الجمعة.٩].

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعنى أقروا وصدقوا بوحدانية الله تعالى: ﴿إذا نودى للصلاة﴾ يعنى إذا دعيتم بالأذان يوم الجمعة ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ يعنى فامشوا إلى صلاة الجمعة ﴿وذروا البيع﴾ يعنى واتركوا البيع بعد النداء ﴿ذلكم﴾ يعنى الصلاة ﴿خير لكم﴾ من الكسب والتجارة ﴿إن كنتم تعلمون﴾ يعنى تصدقون.

وسبب نزول هذه الآية أن اليهود افتخروا على المسلمين بأشياء ثلاثة:

أحدها: قالوا: نحن أولياء الله وأحباؤه دونكم.

والثانى: لنا كتاب ولا كتاب لكم.

والثالث: لنا سبت ولا سبت لكم.

فرد الله عليهم وكذبهم فى هذه السورة، فقال لنبيه ﷺ: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ [الجمعة ٦] بقولكم نحن أولياء الله من دونكم.

وأنزل الله عز وجل لقولهم أنتم أميون لا كتاب لكم، قوله جل وعلا: ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم﴾ [الجمعة:٢] وذمهم فقال تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ [الجمعة ٥].

وأنزل تبارك وتعالى لقولهم لنا سبت ولا سبت لكم: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة...﴾ إلى قوله: ﴿ذلكم خير لكم﴾.

ثم قال عز وجل: ﴿وإذا رأو تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾ [الجمعة ١١].

وذلك أن العير كانت إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق، فيخرج الناس من المسجد، فلما كان ذات يوم جاءت العير فخرج الناس من المسجد، غير اثنى عشر

رجلاً وامرأة، ثم جاءت عير أخرى فخرجوا أيضًا إلاً اثنى عشر رجلاً وامرأة، ثم إن دحية بن خليفة الكلبى من بنى عامر بن عوف أقبل بتجارة من الشام قبل أن يسلم، وكان يحمل معه من أنواع التجارة، وكان يتلقاه أهل المدينة بالطبل والتصفيق، فوافق قدومه يوم الجمعة والنبى ﷺ قائم على المنبر يخطب، فخرج إليه الناس، فقال النبى ﷺ: انظروا كم بقى فى المسجد؟ فقالوا: اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال النبى ﷺ: لولا هؤلاء لقد سومت عليهم الحجارة، يعنى علم على الحجارة لهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وإذا رأو تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائمًا﴾ [الجمعة.١١] على المنبر ﴿قل ما عند الله خير من اللهو﴾ [الجمعة:١١] يعنى من الطبل والتصفيق ﴿ومن التجارة﴾ [الجمعة.١١] التى جاء بها دحية ﴿والله خير الرازقين﴾ [الجمعة:١١] من غيره. وقيل: من الاثنى عشر رجلاً الذين بقوا فى المسجد أبو بكر وعمر رضى الله عنهما(١).

(فصل: فى فضائل يوم الجمعة من طريق الآثار)

من ذلك ما روى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ قال: «لم تطلع الشمس ولم تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلاً وهى تفزع من يوم الجمعة إلا الثقلان الجن والإنس، وعلى كل باب من أبواب المسجد ملكان يكتبان الناس الأول فالأول، كرجل قرب بدنة، وكرجل قرب بقرة، وكرجل قرب شاة، وكرجل قرب دجاجة، وكرجل قرب بيضة، فإذا قام الإمام طويت الصحف»(٢).

وعن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق الله تعالى آدم، وفيه أدخله الجنة وفيه أهبط منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن يسأل الله تعالى فيها شيئًا إلاً أعطاه إياه»(٣).

قال أبو سلمة: قال عبد الله بن سلام رضى الله عنه: قد عرفت تلك الساعة، هى آخر ساعة من النهار، وهى الساعة التى خلق فيها آدم عليه السلام، قال الله عز وجل:

---

(١) بنحوه. الدر المنثور ٦/ ٢٢١.

(٢) بنحوه: تاريخ الطبرى ١/ ١١٤.

(٣) مسلم فى: الجمعة: ب (٥): حديث ١٧، ١٨، وأبو داود (١٠٤٦)، وأحمد ٢/ ٤٠١.

﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧].

وروى عبد الله بن منذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله تعالى من يوم الفطر، وفيه خمس خلال: فيه خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه توفى، وفيه ساعة لا يسأل العبد ربه فيها شيئًا إلاَّ أعطاه إياه ما لم يسأل حرامًا، وفيه تقوم الساعة، وما من ملك مقرب عند ربه عز وجل إلاَّ وهو يفزع من يوم الجمعة، ولا سماء ولا أرض إلاَّ وهى تشفق من يوم الجمعة»(١).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة»(٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضًا عن النبى ﷺ أنه قال: «اليوم الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والموعود يوم القيامة، ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لايوافقها عبد مؤمن يسأل الله تعالى فيها خيرًا إلاَّ أعطاه أو يستعيذه من شرٍّ إلا يعيذه»(٣).

أخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «إذا كان يوم الجمعة خرجت الشياطين يزفون الناس إلى أسواقهم ومعهم الرايات، وتخرج الملائكة على أبواب المساجد يكتبون الناس على قدر منازلهم، السابق والمصلى والذى يليه، حتى يخرج الإمام، فمن دنا من الإمام فنصت واستمع ولم يلغ كان له كفلان من الأجر، ومن نأى عنه فاستمع ونصت ولم يلغ كان له كفل من الأجر، ومن دنا من الإمام فلغا ولم ينصت ولم يستمع كان عليه كفلان، ومن نأى عنه فلغا ولم ينصت ولم يستمع كان عليه كفل من الوزر، ومن قال صه فقد تكلم، ومن تكلم فلا جمعة له، ثم قال على رضى الله عنه: هكذا سمعت من نبيكم محمد ﷺ»(٤).

---

(١) الطبرانى ٥/ ٢٤، والدر المنثور ٦/ ٢١٦، وكشف الخفاء ٢/ ٥٥٤.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الصحيحة (١٥٠٢)، والترمذى (٣٣٣٩).

(٤) أحمد ١/ ٩٣، والترغيب ١/ ٥٠٠.

فقوله: فلا جمعة له أى جمعة كاملة من الأجر والثواب ومعناه ناقص الأجر والثواب.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغوت»[(١)].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «تقف الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون مجىء الناس حتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام»[(٢)].

قال: «فتقول الملائكة بعضهم لبعض: ما حبس فلانًا وما حبس فلانًا؟ قال: فتقول الملائكة بعضهم لبعض: اللهم إن كان مريضًا فاشفه، وإن كان ضالاً فاهده، وإن كان غائبًا فأعنه».

وقال جعفر: حدثنا ثابت. قال: بلغنا أن لله تعالى ملائكة معهم ألواح من فضة وأقلام من ذهب يكتبون من صلى ليلة الجمعة ويوم الجمعة فى جماعة.

أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده، بإسناده عن أبى الزبير، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة فى يوم الجمعة، إلاَّ مريضًا أو مسافرًا أو امرأة أو صبيًا أو مملوكًا، ومن استغنى عنها بلهو أو تجارة استغنى الله عنه، والله غنى حميد»[(٣)].

وعن أبى الجعد الضمرى عن النبى ﷺ أنه قال: «من ترك الجمعة ثلاثًا تهاونًا بها طبع الله تعالى على قلبه»[(٤)].

وأخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده بإسناده عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على منبره: «يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له تسعدوا، وأكثروا من الصدقة فى السر والعلانية تؤجروا

(١) البخارى ٢/ ١٦، وأحمد ٢/ ٣١٨.
(٢) النسائى فى: الجمعة: باب (١٣)، وأحمد ٥/ ٢٦٣.
(٣) البيهقى ٣/ ١٨٤، والدارقطنى ٢/ ٣، وابن أبى شيبة ٢/ ١٠٩، والإرواء ٣/ ٥٦.
(٤) الترمذى (٥٠٠)، وابن ماجه (١١٢٥)، وأحمد ٣/ ٣٣٢.

وتحمدوا وترزقوا، واعلموا أن الله تعالى قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة فى مقامى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة، من وجد إليها سبيلاً وتركها فى حياتى أو بعدى جحودًا بها أو استخفافًا بها، وله إمام جائر أو عادل، فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له فى أمره، ألا فلا صلاة له، ألا فلا وضوء له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا بركة له حتى يتوب، فإن تاب تاب الله عليه، ألا ولا تَؤُمَّنَّ امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابى مهاجرًا، ألا ولا يؤمن فاجر مؤمنًا إلاَّ أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه»[1].

وأخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن ثابت البنانى عن طاوس عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ قال: «إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث الجمعة وهى زاهرة منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها تضىء لهم، يمشون فى ضوئها، ألوانهم كالثلج وريحهم كالمسك، يخوضون فى جبال الكافور، وينظر إليهم الثقلان، ما يطرفون تعجبًا حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون»[2].

وأخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن ثابت البنانى، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى ستمائة ألف عتيق من النار فى كل يوم، وليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرون ساعة، فى كل ساعة ستمائة ألف عتيق من النار»[3].

وفى لفظ آخر عن ثابت عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن لله فى كل ساعة من ساعات الدنيا ستمائة ألف عتيق من النار يعتقهم كلهم، قد استوجبوا النار يوم القيامة، وفى يوم الجمعة وليلة الجمعة أربع وعشرون ساعة، ليس فيها ساعة إلا ولله عز وجل فيها ستمائة ألف عتيق يعتقهم من النار كلهم قد استوجبوا النار».

وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم الجمعة فى جماعة كتبت له حجة متقبلة، وإن صلى العصر كانت

(١) الترغيب ٤/ ٢٥٢، والإرواء ٣/ ٥٠، وابن عدى (١٤٩٨).

(٢) الحاكم ١/ ٢٧٧، والصحيحة (٧٠٦).

(٣) العلل ١/ ٤٦٥، والضعيفة ٦١٤

له عمرة، وإن تمسى فى مكانه لم يسأل الله تعالى شيئًا إلاَّ أعطاه»(١).

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم الجمعة وصلى مع الإمام وشهد جنازة وتصدق بصدقة وعاد مريضًا وشهد نكاحًا وجبت له الجنة»(٢).

وأخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «يحضر الجمعة ثلاثة نفر: فرجل حضرها بلغوٍ فذاك حظه، ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله تعالى، فإن شاء أعطاه وإن شاء منعه، ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدًا، فهى كفارة إلى الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام(٣)، فإن الله عز وجل يقول: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام ١٦].

وقد ورد فى الحديث عنه ﷺ أنه قال: «ما من دابة إلاَّ وهى قائمة على ساق يوم الجمعة مشفقة من قيام الساعة إلا الشياطين وشقى بنى آدم»(٤).

ويقال: إن الطير والهوام تلقى بعضها بعضًا فى يوم الجمعة، فتقول: سلام عليكم يوم صالح.

وفى خبر آخر: «إن جهنم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء، فلا تصلّوا فى هذه الساعة إلاَّ يوم الجمعة، فإنها صلاة كلها وإن جهنم لا تسعر فيه»(٥).

(فصل) روى عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشًا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة،

(١) الكنز (٢١٠٨٦).
(٢) الطبرانى ٨/ ١١٥، والمجمع ٢/ ١٦٩.
(٣) أبو داود (١١١٣)، والبيهقى ٣/ ٢١٩.
(٤) أبو داود فى: الجمعة: ب (١)، وأحمد ٢/ ٢٧٢
(٥) أبو داود (١٠٨٣)، والكنز (٢١٠٣٦).

فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»[1].

فالساعة الأولى تكون بعد صلاة الصبح، والساعة الثانية تكون عند ارتفاع الشمس، والثالثة عند انبساطها وهى الضحى الأعلى إذا رمضت الأقدام بحر الشمس، والساعة الرابعة تكون قبل الزوال، والخامسة إذا زالت الشمس أو مع استوائها.

وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اغتسل فى كل يوم جمعة أخرجه الله تعالى من ذنوبه ثم قيل له: استأنف العمل»[2].

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من غَسَّل واغتسل وغدا وابتكر ودنا من الإمام ولم يلغ، كان له بكل خطوة صيام سنة وقيامها»[3].

وقوله ﷺ: «من غَسَّل» بالتشديد: أى غسل أهله كناية عن الجماع، ولهذا يستحب عند أهل العلم إتيان الزوجة فى يوم الجمعة، كان بعض السلف يفعله اتباعًا لهذا الحديث.

ومن روى بالتخفيف: أى غسل رأسه ثم غسل جسده.

وعن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة اغتسل كل يوم جمعة، ولو صار أن تشترى الماء بقوت يومك»[4].

فغسل الجمعة مستحب عند أكثر الفقهاء، وواجب عند داود، فلا ينبغى أن يتركه من يأتى الجمعة.

ووقته: بعد طلوع الفجر الثانى، والأولى له أن يعقبه بالرواح إلى المسجد ليخرج من الخلاف، وأن يتحفظ من نقض الطهارة حتى يصلى الجمعة وينوى بالغسل خدمة مولاه، فإن أصبح جنبًا فتوضأ واغتسل ناويًا بهما الجنابة والجمعة جاز، ويتنظف بأخذ شعره وظفره وقطع رائحته: أى الكريهة، ويلبس أحسن ثيابه وأفضلها البياض ويتعمم ويرتدى، فإنه جاء فى الحديث: «إن الملائكة تصلى على أصحاب العمائم يوم الجمعة» ويتطيب بأطيب طيبه مما يظهر ريحه ويخفى لونه، وليخرج من بيته إلى الجامع وعليه

(١) البخارى ٢/ ٣، ومسلم فى: الجمعة (١٠)، والترمذى (٤٩٩)

(٢) بنحوه: الطبرانى ١٨/ ١٤٠، والمجمع ٢/ ١٧٤

(٣) بنحوه: أحمد ٢/ ٢٠٩، والإتحاف ٣/ ٢٦٣، والمحمع ٢/ ١٧٨.

(٤) تنزيه الشريعة ٢/ ٧٤، وعزاه إلى الديلمى من طريق إبراهيم بن حيان.

السكينة والوقار خاشعًا متواضعًا مخبتًا مفتقرًا مكثرًا من الدعاء والاستغفار، والصلاة على رسول الله ﷺ، وينوى بخروجه زيارة مولاه فى بيته والتقرب إلى الله تعالى بأداء فرائضه، والعكوف فى المسجد إلى حين انقلابه إلى بيته، وينوى كف جوارحه عن اللهو واللغو فى الطريق والجامع، وليترك راحته يوم الجمعة وحظوظ دنياه، وليواصل الأوراد والعبادة فيه، فيجعل أول نهاره إلى انقضاء صلاة الجمعة للخدمة، ثم يجعل وسط النهار إلى صلاة العصر لاستماع العلم ومجالس الذكر، وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس للتسبيح والاستغفار، وأفضل ما يشتغل به فى هذا الوقت وفى كل يوم وليلة من الأذكار أن يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، مائتى مرة، سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبى الأمى مائة مرة وأستغفر الله العظيم الحى القيوم وأسأله التوبة مائة مرة، وما شاء الله لا قوة إلاَّ بالله مائة مرة فذلك سبعمائة مرة من أنواع الأذكار.

وقد نقل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم، أنه كان يسبّح فى كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة، وعن بعض التابعين أنه كان يسبّح كل يوم ثلاثين ألفًا، كل قد علم صلاته وتسبيحه، فاحذر أن تكون من المحرومين، فلا تَذكر ولا تُذكر، والمؤمن أولاً يكون ذاكرًا لله عز وجل، ثم مذكورًا له، قال الله تعالى: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ [البقرة:١٥٢].

وأما قبل الصلاة فلا يستحب له حضور القاص، لأن القصص بدعة وكان ابن عمر وغيره من الصحابة رضى الله عنهم يخرجون القصاص من الجامع، اللهم إلاَّ أن يكون عالمًا بالله تعالى من أهل المعرفة واليقين، فيكون حضور مجلسه أفضل من صلاته لحديث أبى ذر رضى الله عنه: «حضور مجلس العلم أفضل من صلاة ألف ركعة».

وفى حديث آخر: «لئن يتعلم أحدكم بابًا من العلم أو يعلمه خير له من صلاة ألف ركعة».

وإذا أتى الجامع لا يتخطى رقاب الناس إلا أن يكون إمامًا أو مؤذنًا، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال لرجل رآه يتخطى رقاب الناس: «يا فلان ما منعك أن تصلى معنا

الجمعة؟ فقال: أولَم ترنى يا رسول الله؟ قال ﷺ: «رأيتك تلبثت وآذيت»[١] أى تأخرت عن البكور، وآذيت الحضور.

وفى حديث آخر قال النبى ﷺ: «ما منعك اليوم أن تجمع؟ قال: يا نبى الله قد جمعت، قال ﷺ: أولم أرك تتخطى رقاب الناس»[٢].

وقد قيل: إن من فعل ذلك جعل جسراً يوم القيامة على جهنم يتخطاه الناس.

ولا تمرن بين يدى المصلى، لأن فى الخبر «لأن يقف أحدكم أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدى المصلى»[٣].

وفى لفظ آخر «لأن يكون الرجل رماداً تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى»[٤].

ولا يقيمن أحداً من موضعه ويجلس مكانه، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه»[٥].

وكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه.

وإن رأى بين يديه فرجة فهل يجوز له أن يتخطى رقاب الناس فيجلس فيها؟ على روايتين عند إمامنا أحمد رحمه الله تعالى، فإن قدم صاحبًا له فجلس فى موضعه، فإذا جلس هناك جاز وإن بسط له شيئًا فهل لغيره أن يرفعه ويجلس هناك؟ على وجهين عند أصحابنا.

ويجتهد أن يدنو من الإمام فينصت إلى الخطبة فلا يتكلم، فإن تكلم أثم فى إحدى الروايتين، ولا يحرم الكلام قبل الشروع فى الخطبة وبعد الفراغ منها.

(فصل) أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده، قال: أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن عمر الفقيه الشافعي رحمه الله تعالى، قال: حدثنا حبيب بن الحسن القزاز، قال: حدثنا

(١) البخارى ١/٩٦، ومسلم (٤٧٥)
(٢) المغنى عن حمل الأسفار ١/١٨٣.
(٣) أحمد ٤/١١٧.
(٤) المغنى عن حمل الأسفار ١/١٨٣.
(٥) مسلم (١٧١٤)، وأحمد ٢/١٢٤، والبخارى فى الأدب (١١٤٠)

جعفر بن محمد بن الحسين الخراساني، قال: حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى، قال: حدثنا محمد بن شعيب، عن عمر بن عبد الله مولى عفرة، عن أنس ابن مالك رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «أتانى جبريل عليه السلام فى كفه كمأة بيضاء فيها نكتة سوداء، فقلت: ما هذه يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة، لكم فيها خير كثير، قلت: وما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذه الساعة، تقوم يوم الجمعة، وهو سيد الأيام، ونحن نسميه عندنا يوم المزيد، قلت: ولم تسمونه يوم المزيد يا جبريل؟ قال: ذلك لأن ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الجبار تبارك وتعالى من عرشه إلى كرسيه إلى ذلك الوادى، وقد حف الكرسى بمنابر من نور يجلس عليها النبيون، وحفت المنابر بكراسى من ذهب مكللة بالجواهر يجلس عليها الصدّيقون والشهداء، ثم جاء أهل الغرف حتى حفوا بالكثيب، فيقول الله عز وجل: أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وأحللتكم كرامتى، ثم يقول: فسلونى، فيقولون بأجمعهم: نسألك الرضا عنا، فيقول: رضاى عنكم أحلكم دارى وأنيلكم كرامتى، ثم يقول: سلونى، فيعيدون فيقولون: ربنا نسألك الرضا، ثم يقول: سلونى، فيسألونه حتى تنتهى أمنية كل عبد منهم، ثم يقولون: حسبنا ربنا، فيفتح لهم بقدر انصرافهم من يوم الجمعة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، غرفة من لؤلؤة بيضاء، وياقوتة حمراء وزمردة خضراء، ليس فيها فصم ولا وصم، مطردة فيها الأنهار متدلية فيها ثمارها وفيها أزواجها وخدمها ومساكنها، فليسوا إلى شىء أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا فضلاً من ربهم ورضوانًا»[١].

وأخبرنا أبو نصر عن والده، قال: حدثنا محمد بن أحمد الحافظ، قال: حدثنا أبو على محمد بن أحمد الصواف، قال: حدثنا أبو العباس عبد الله بن الصقر، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم أبو صالح الخزاز، قال: حدثنا عمرو بن شمس عن سعد بن طريف الإسكاف، عن الأصبغ بن نباتة، عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة غدا أمين الله جبريل عليه السلام إلى المسجد الحرام، فركز لواءه فيه، وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التى يجمع فيها، فركزوا ألويتهم وراياتهم

(١) الكنز (٢١٠٦٣).

بأبواب المساجد، ثم ينشرون قراطيس من فضة وأقلامًا من ذهب، ثم يكتبون الأول فالأول من بكر إلى الجمعة، فإذا دخل كل مسجد سبعون رجلاً ممن بكر إلى المسجد طويت القراطيس، وكان أولئك السبعون الذين بكروا كالذين اختار موسى ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً﴾ [الأعراف ١٥٥] والذين اختارهم موسى من قومه كانوا أنبياء»[1] ثم يتخلل الملائكة الصفوف فيتفقدون الرجال، ويقول بعضهم لبعض: ما فعل فلان؟ فيقولون: مات، فيقولون: رحمه الله تعالى، فإنه كان صاحب جمعة، ويقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: غائب، فيقولون: حفظه الله فإنه كان صاحب جمعة، فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: مريض، فيقولون: عافاه الله فإنه كان صاحب جمعة».

(فصل) وفي يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد يدعو الله تعالى إلا استجيبت دعوته.

أخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتيت الطور فوجدت فيه كعبًا، فحدثته عن النبي ﷺ وحدثني عن التوراة، قال: فما اختلفنا في شيء حتى انتهينا إلى حديث، فقلت: قال رسول الله ﷺ: «في الجمعة ساعة لا يوافقها مؤمن يصلي فيسأل الله تعالى فيها خيرًا إلا أعطاه إياه»[2] فقال كعب: في كل سنة، قال: فقلت بل في كل جمعة، كذلك قال ﷺ، فذهب قليلاً ثم رجع فقال: صدقت والله، إنها لكما قال رسول الله ﷺ في كل جمعة، وإنه سيد الأيام وأحبها إلى الله تعالى. فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أسكن الجنة، وفيه أهبط منها، وفيه تقوم الساعة، ما من دابة إلاً وهي مصيخة تنتظر ما يكون في يوم الجمعة إلا الثقلين، فرجعت فلقيت عبد الله بن سلام رضي الله عنه فحدثته بحديثي وحديث كعب، قال: فقال عبد الله رضي الله عنه: كذب كعب هو كما قال رسول الله ﷺ وهو في التوراة، قال: فقلت: إنه قد رجع، فقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: إني لأعلم تلك الساعة، قلت: أي ساعة هي؟ قال: آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، قال: فقلت: وكيف وقد سمعت النبي ﷺ قال: «لا يوافقها مؤمن يصلي» ولات حين صلاة قال: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من انتظر صلاة فرض فهو

(١) الدر المنثور ٣/ ١٣١، والإتحاف ٣/ ٢٥٩، والمغني عن حمل الأسفار ١/ ١٨٢.

(٢) البخاري ٧/ ٦٦، وأحمد ٢/ ٢٥٧

في صلاة» قلت: بلى، قال: فهي كذلك»(١).

وفي لفظ عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، وقال: بيده يقللها»(٢).

وقد روى عن بعض السلف أنه قال: إن لله تبارك وتعالى فضلاً من الرزق سوى أرزاق العباد ولا يعطى من ذلك الفضل إلا لمن سأله عشية الخميس ويوم الجمعة.

وأخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن سعيد بن راشد، عن زيد بن علي عن مرجانة، عن فاطمة بنت النبي ﷺ رضي الله عنها، عن أبيها ﷺ قال: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه»(٣) قلت: يا أبت أية ساعة هي؟ قال ﷺ: «إذا تدلى نصف الشمس للغروب»(٤) قالت: فكانت فاطمة رضي الله عنها إذا كان يوم الجمعة أمرت غلامًا لها يقال له زيد تقول: اصعد إلى الضراب، فإذا تدلى نصف الشمس للغروب فآذني وأعلمني، فكان يصعد، فإذا كانت تلك الساعة آذنها وأعلمها، فتقوم وتدخل المسجد حتى تغرب الشمس وتصلي.

وفي حديث كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه عن جده رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «في الجمعة ساعة من نهار ولا يسأل الله فيها عبد شيئًا إلا أعطاه سؤله، قيل له: وأية ساعة هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: حين تقام الصلاة إلى الانصراف منها»(٥).

قال كثير بن عبد الله المزني: يعني بذلك رسول الله ﷺ الجمعة.

وأخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: عرض هذا الدعاء على رسول الله ﷺ فقال: «لو دعى الله به على كل شيء بين المشرق والمغرب في ساعة يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه:

---

(١) أحمد ٥/ ٤٥١، وابن أبي شيبة ١/ ٤٠٢.

(٢) مسلم في: الجمعة ١٤، ١٥، والنسائي ٣/ ١١٥، وابن ماجه ١١٣٧، وأحمد ٢/ ١٦٤.

(٣) سبق تخريجه

(٤) الإتحاف ٣/ ٢٨٠، وفتح الباري ٢/ ٤٢١.

(٥) الترمذي (٤٩٠)، وابن ماجه (١١٣٨)، وابن أبي شيبة ٢/ ١٥٠.

سبحانك لا إله إلا أنت يا حنان يا منان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام»(١).

وقال صفوان بن سليم: بلغنى أن من قال حين يجلس الإمام على المنبر يوم الجمعة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، وهو على كل شىء قدير، غفر له.

وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فضل يوم الجمعة فى رمضان على سائر الأيام كفضل رمضان على سائر الشهور»(٢).

(فصل: فى الصلاة على النبى ﷺ فى يوم الجمعة)

أخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة، فإنه يوم تضاعف فيه الأعمال، وسلوا الله لى الدرجة الوسيلة من الجنة، قيل: يا رسول الله: وما الدرجة الوسيلة من الجنة؟ قال: هى أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلاَّ نبى، وأرجو أن أكون هو»(٣).

وعن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته، حلت له الشفاعة يوم القيامة»(٤).

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أكثروا الصلاة على نبيكم فى الليلة الغراء واليوم الأزهر، ليلة الجمعة ويوم الجمعة»(٥).

وعن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنت واقفًا بين يدى رسول الله ﷺ فقال: «من صلى علىَّ فى كل جمعة ثمانين مرة غفر الله تعالى له ذنوب ثمانين سنة، قلت: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال ﷺ: تقول اللهم صل

---

(١) العلل المتناهية ٢/ ٣٦٢.
(٢) الدر المنثور ١/ ١٨٨، والكنز (٢١٠٤٠).
(٣) بنحوه: النسائى ٣/ ٩١، والبيهقى ٣/ ٢٤٩، والطبرى ٣/ ٨٤.
(٤) البخارى ١/ ١٥٩، والنسائى ٢/ ٢٧، وأحمد ٣/ ٣٥٤
(٥) الدرر (٤٢).

على محمد عبدك ورسولك النبى الأمى، وتعقد واحدة»[1].

وعن مكحول الشامى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الصلاة على فى يوم الجمعة، فإن صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم علىَّ صلاة كان أقربهم منى منزلة يوم القيامة»[2].

(فصل: فيما يستحب أن يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة)

أخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن أبى الأحوص، عن عبد الله رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ يقرأ فى الصبح يوم الجمعة: الم السجدة، وهل أتى»[3].

وروى عنه ﷺ «أنه كان يقرأ فى المغرب ليلة الجمعة: ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾، و ﴿قل هو الله أحد...﴾، وفى العشاء بسورة الجمعة والمنافقين».

وقيل: إنه ﷺ كان يقرأ ذلك فى صلاة الجمعة.

وعن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ليلة الجمعة سورة يس وحم الدخان أصبح مغفوراً له».

وقيل: إن من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة كان كمن تصدق بعشرة آلاف دينار سوية.

ويستحب أن يصلى ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع ركعات بأربع سور: سورة الأنعام، وسورة الكهف، وسورة طه، وسورة الملك، فإن لم يحسن القرآن قرأ جميع ما يحسن منه، فذلك له ختمة، فقد قيل: ختمه من حيث علمه، وإن كان يحسن القرآن يستحب له أن يختم فى يوم الجمعة، فإن لم يقدر يشفع إليه ليلة الجمعة، فإن جعل آخر ختمته فى ركعتى المغرب أو ركعتى الفجر كان أحسن، وكذلك إن جعل ختمته بين الأذان والإقامة يوم الجمعة كان فيه فضل كبير، وإن قرأ ألف مرة ﴿قل هو الله أحد...﴾ يوم الجمعة فى عشر ركعات أو عشرين أو فى غير صلاة كان أفضل من ختمه القرآن.

ويستحب الصلاة على النبى ﷺ ألف مرة يوم الجمعة، وكذلك التسبيح ألف مرة، وهى بالكلمات الأربع التى تقدمت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

(١) الإتحاف ٣/٢٨٦، والكنز ٢٢٤٢، والمغنى عن حمل الأسفار ١/١٨٧.
(٢) ابن ماجه (١٦٣٧)، والبيهقى ٣/٢٤٩، وابن كثير ٦/٤٦٤، والإتحاف ٣/٢٤١.
(٣) الترمذى (٥٢٠)، والبيهقى ٣/٢٠١، والخطيب ١٣/٣٧.

(فصل: فى تسميته بيوم الجمعة)

أخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن سلمان رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «أتدرى لم سمى يوم الجمعة؟ قلت: لا، قال: لأن فيه جمع أبوكم آدم. قال لكنى أقول: لا يتطهر رجل يوم الجمعة فيتوضأ ويحسن وضوءه، ثم يأتى الجمعة، إلا كفّر له ما بينها وبين الجمعة الأخرى ما اجتنب الكبائر».

وقال بعضهم: هو من الاجتماع، وهو اجتماع قالب آدم وروحه بعد أن كان ملقى أربعين سنة، وقال آخرون: لاجتماع آدم وحواء لما خلقها الله تعالى من ضلع آدم عليه السلام، وقال آخرون. لاجتماع آدم وحواء بعد الفرقة الطويلة.

وقيل: إنما سمى بذلك لاجتماع أهل البلد والرساتيق فيه.

وقيل: لأنه تقوم فيه القيامة، وهو يوم الجمع، قال الله عز وجل: ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع**﴾ [التغابن ٩].

(فصل)

وجميع ما ذكرناه من صيام الأشهر والأضحية والعبادات من الصلاة والأذكار وغير ذلك، وما سنذكر إن شاء الله تعالى، لا يقبل إلا بعد التوبة وطهارة القلب وإخلاص العمل لله تعالى وترك الرياء والسمعة.

أما التوبة:

فقد تقدم بيانها ونزيد عليه بأن الله يحب التوابين ويحب كل قلب طاهر من الذنوب، فقال عز وجل: ﴿**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾ [البقرة ٢٢٢].

قال عطاء ومقاتل والكلبى رحمهم الله: إن الله يحب التوابين من الذنوب، والمتطهرين بالماء من الأحداث والمحيض والجنابات والنجاسات، بيانه قصة أهل قباء، حيث ذكرهم الله عز وجل بقوله تعالى: ﴿**فيه رجال يحبون أن يتطهروا**﴾ [التوبة ١٠٨] سألهم النبى ﷺ عما يعملون، فقالوا: نتبع الماء الأحجار فى الاستنجاء.

وقال مجاهد رحمه الله: يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين عن أدبار النساء أن يأتوها، من أتى امرأة فى دبرها فليس من المتطهرين، فإن دبر المرأة مثله من الرجل

وقيل: التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك.

وروى عن أبى المنهال رحمه الله أنه قال: كنت عند أبى العالية فتوضأ وضوءاً حسنًا، فقلت: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾، فقال: الطهور ممه، إن الطهور حسن، ولكنهم المتطهرون من الذنوب.

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: إن الله تعالى يحب التوابين من الشرك، والمتطهرين من الذنوب.

وقيل: التوابين من الكفر، والمتطهرين بالإيمان.

وقيل التوابين من الذنوب لا يعودون فيها، والمتطهرين منها لم يصيبوها.

وقيل: التوابين من الكبائر، والمتطهرين من الصغائر.

وقيل: التوابين من الأفعال، والمتطهرين من الأقوال.

وقيل: التوابين من الأقوال والأفعال، والمتطهرين من العقود والإضمار.

وقيل: التوابين من الآثام، والمتطهرين من الأجرام.

وقيل: التوابين من الجرائر، والمتطهرين من خبث السرائر.

وقيل: التوابين من الذنوب، والمتطهرين من العيوب.

وقيل: التواب الذى كلما أذنب تاب، قال الله عز وجل: ﴿فإنه كان للأوابين غفوراً﴾ [الإسراء: ٢٥].

وعن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مر رجل ممن كان قبلكم بجمجمة، فنظر إليها فقال: أى رب أنت أنت وأنا من أنا، أنت العواد بالمغفرة وأنا العواد بالذنوب، ثم خرّ ساجداً، فقيل له: ارفع رأسك فأنا العواد بالمغفرة، وأنت العواد بالذنوب فرفع رأسه فغفر له»[1].

(فصل) وأما الإخلاص:

فقد قال الله عز وجل: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة ٥]، وقال جل وعلا: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ [الحج. ٣٧].

وقال جل جلاله: ﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون﴾ [البقرة ١٣٩].

(١) الكنز (٢٧٦ ١)، وابن عساكر ١/ ٤٣٤، والخطيب ٩/ ٩٢.

اختلف الناس فى معنى الإخلاص:

قال الحسن رحمه الله: سألت حذيفة رضى الله عنه عن الإخلاص ما هو؟ قال: «سألت النبى ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ قال ﷺ: سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت رب العزة جل وعلا عن الإخلاص ما هو؟ فقال سبحانه وتعالى: هو سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى»[(١)].

وعن أبى إدريس الخولانى رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل حق حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شىء من عمل عمله لله عز جل»[(٢)].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: الإخلاص أن يخلص العبد دينه لله وعمله لله تعالى، ولا يشرك به فى دينه، ولا يرائى بعمله أحدًا.

وقال الفضيل رحمه الله تعالى: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص هو الخوف من أن يعاقبك الله تعالى عليهما.

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: الإخلاص: تميز العمل من العيوب، كتمييز اللبن من الفرث والدم.

وقال أبو الحسين البوشنجى رحمه الله: هو ما لا يكتبه الملكان، ولا يفسده الشيطان، ولا يطلع عليه الإنسان.

وقال رويم رحمه الله: هو ارتفاع رؤيتك من الفعل.

وقيل: هو ما يراد به الحق ويقصد به الصدق.

وقيل: هو ما لا تشوبه الآفات ولا يتبعه رخص التأويلات.

وقيل: هو ما استتر من الخلائق واستصفى من العلائق.

وقال حذيفة المرعشى: هو أن تستوى أفعال العبد فى الظاهر والباطن.

وقال أبو أيوب المكفوف: هو أن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

وقال سهل بن عبد الله: هو الإفلاس.

---

(١) الإتحاف ١٠/ ٤٤.

(٢) الكنز (٣٦٩٩٠)، وابن كثير ٣/ ٥٥٣.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين»[١].

وقيل: الإخلاص: إفراد الحق فى الطاعة بالقصد، وهو إرادة العبد بطاعته القرب إلى مولاه دون أحد من خلقه، فلا يتصنع للخلق، ولا يكتسب منهم الحمد، ولا يستجلب منهم الحب، ولا يدفع بها عن نفسه اللوم والذم.

وقيل: الإخلاص: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقال ذو النون المصرى رحمه الله: الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه، والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه.

وقال أبو يعقوب السوسى: متى شهدوا فى إخلاصهم احتاج إخلاصهم إلى إخلاص.

وقال ذو النون رحمه الله أيضًا: ثلاث من علامات الإخلاص. استواء المدح والذم من العامة، ونسيان رؤية الأعمال، واقتضاء ثواب العمل فى الآخرة.

وقال ذو النون أيضًا رحمه الله: الإخلاص: ما حفظ من العدو أن يفسده.

قال أبو عثمان المغربى رحمه الله: الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال، وهذا إخلاص العوام. وأما إخلاص الخواص فهو ما يجرى عليهم لا بهم، فتبدوا عنهم الطاعات وهم عنها بمعزل، ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد، فذلك إخلاص الخواص.

وقال أبو بكر الدقاق رحمه الله: نقصان كل مخلص فى إخلاصه رؤية إخلاصه، فإذا أراد الله تعالى أن يخلص إخلاصه، يسقط عن إخلاصه رؤية إخلاصه، فيكون مخلَصًا لا مخلِصًا.

وقال سهل رحمه الله: لا يعرف الرياء إلا مخلص.

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين.

وقال أبو عثمان رحمه الله: الإخلاص: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

وقيل: الإخلاص ما أريد به الحق وقصد به الصدق.

وقيل: هو الإغماض عن رؤية الأعمال.

---

(١) أحمد ٣/٢٢٥، والترغيب ١/١٠٨، ومجمع الزوائد ١٠/١٣٧.

وقال سرى السقطى رحمه الله: من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى.

وقال الجنيد رحمه الله: الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده ولا هوى يميله.

وقال رويم رحمه الله. الإخلاص فى العمل هو الذى لا يريد صاحبه عليه عوضًا فى الدارين، ولا حظًا من الملكين.

وسئل سهل بن عبد الله رحمه الله: أى شىء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص، لأنه ليس لها منه نصيب.

وقيل: هو ألا يشهد على عملك أحد غير الله عز وجل.

وقال بعضهم: دخلت على سهل بن عبد الله رحمه الله يوم جمعة قبل الصلاة، فرأيت فى البيت حية، فجعلت أقدم رجلاً وأؤخر رجلاً أخرى، فقال: ادخل لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شىء يخافه، ثم قال: هل لك فى صلاة الجمعة؟ فقلت: بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة، فأخذ بيدى، فما كان إلا قليلاً حتى رأيت المسجد، فدخلنا وصلينا الجمعة ثم خرجنا، فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون، فقال: أهل لا إله إلا الله كثير ولكن المخلصون منهم قليل. كنت مع إبراهيم الخواص رحمه الله فى سفر، فجئنا إلى موضع فيه حيات كثيرة، فوضع ركوته وجلس وجلست، فلما كان برد الليل وبرد الهواء، خرجت الحيات، فصحت بالشيخ، فقال: اذكر الله تعالى، فذكرت فرجعت، ثم عادت، فصحت به، فقال مثل ذلك، فلم أزل إلى الصباح فى مثل تلك الحالة، فلما أصبحنا قام ومشى ومشيت معه، فسقطت من وطائه حية عظيمة قد تطوقت، فقلت: ما أحسست بها؟ فقال: لا، منذ زمان ما بت ليلة أطيب من البارحة.

وقال أبو عثمان رحمه الله تعالى: من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر.

(فصل) وينبغى لكل متعبد وعارف أن يحذر فى جميع أحواله من الرياء ورؤية الخلق والعجب.

فإن النفس خبيثة، وهى منشأ الأهوية المضلة والشهوات المردية واللذات الحائلة بين

العبد وبين الحق عز وجل، لا طريق إلى الأمن من غـوائلها ما دام الروح فى جسد ابن آدم، وإن بلغ العبد إلى حالة البدلية والصدّيقية، وإن كانت هذه الحالة أسلم من الابتداء وآمن من شرها ودواهيـها، والخير أغلب والنور أكـثر، والهداية متـحققة بسـبيل الله، والتوفيق شامل والحفـظ موجود، غير أن العصمة ليست لنا، إنما ذلـك مختص بالأنبياء عليهم السلام، ليقع الفرق بين النبوة والولاية.

وقد توعد الله عز وجل أهل الرياء والسمعة، ونبه على شؤم النفس وغوائلها، ونهى عن اتباعهـا وأمر بمخالفتهـا فى القرآن تارة، وفيما نطق به رسـول الله ﷺ من الأخبار والسنة أخرى.

من ذلك قال الله عز وجل: **﴿فويل للمصلين * الـذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون﴾** [الماعون ٤ ـ ٧].

وقال جل وعلا: **﴿يقولون بأفواههم مـا ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾** [آل عمران ١٦٧].

وقال تعالى: **﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾** [النساء ١٤٢ ـ ١٤٣].

وقال تعالى: **﴿إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله﴾** [التوبة. ٣٤] الأحبار: هم العلماء، والرهبان: العبّاد.

وقال عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفـعلون * كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾** [الصف:٢ ـ ٣].

وقال تعالى: **﴿وأسرّوا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور﴾** [الملك ١٣].

وقال جل وعلا: **﴿فمن كان يرجو لـقاء ربه فليعمل عملاً صـالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾** [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: **﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى﴾** [يوسف:٥٣].

وقال تعالى: **﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾** [النساء.١٢٨].

وقال عـز وجل لداود عليه السـلام: يا داود اهجر هواك فـإنه لا منازع ينازعنى فى ملكى غير الهوى، وقال تعالى: **﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾** [ص.٢٦].

وأما الـسنة فمن ذلك مـا روى عن شداد بن أوس رضى الله عنه أنه قـال: «دخلت

على النبى ﷺ فرأيت فى وجهه ما ساءنى، فقلت: ما الذى بك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: أخاف على أمتى الشرك بعدى، فقلت: أيشركون من بعدك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: أما إنهم لا يعبدون شمسًا ولا قمرًا ولا وثنًا ولا حجرًا، ولكنهم يراءون فى أعمالهم، والرياء: هو الشرك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾ [الكهف: ١١].

وقال ﷺ: «يجاء يوم القيامة بصحف مختومة، فيقول الله عز وجل للملائكة: القوا هذا واقبلوا هذا، فيقولون: وعزتك ما علمنا إلا خيرًا، فيقول تعالى: نعم، ولكن هذا عمل لغيرى، ولا أقبل إلا ما ابتغى به وجهى»(١).

وكان النبى ﷺ يقول فى دعائه: «اللهم طهر لسانى من الكذب، وقلبى من النفاق، وعملى من الرياء، وبصرى من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور»(٢).

وقال ﷺ: «لا تقعدوا إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الرغبة إلى الزهد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكبر إلى التواضع، ومن المداهنة إلى المناصحة، ومن الجهل إلى العلم»(٣).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك: من أشرك معى شريكًا فى عمله فهو لشريكى دونى، إنى لا أقبل إلا ما أخلص لى، يا ابن آدم أنا خير قسيم، فانظر عملك الذى عملت لغيرى، فإنما أجرك على الذى عملت له»(٤).

وقال ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة فى الدين والتمكين فى البلاد، ما لم يعملوا عمل الآخرة للدنيا، ومن يعمل عمل الآخرة للدنيا لم يقبل منه وما له فى الآخرة من نصيب»(٥).

---

(١) الدارقطنى ١/ ٥١، والعقيلى ١/ ٢١٨.

(٢) الإتحاف ٧/ ٥١٤، والخطيب ٥/ ٢٦٨، والكنز ٣٦٦٠

(٣) تنزيه الشريعة ١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، والموضوعات ١/ ٢٥٧، والفوائد المجموعة (٢٧٨)، واللآلىء ١/ ١١٠.

(٤) مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٢، والإتحاف ١٠/ ٦٣، والقرطبى ٢/ ١٤٦

(٥) أحمد ٥/ ١٣٤، والحلية ١/ ٢٥٥، والكنز (٣٤٤٦٥).

وقـال ﷺ : «إن الله يعطى الدنيـا على نيـة الآخرة ، ولا يعطى الآخـرة على نيـة الدنيا»(١).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شـفاههم بمقاريض من نار، فقلت لجبريل عليـه السلام، من هؤلاء؟ قال: خطباء أمـتك الذين يقولون الشىء ولا يعـملون به، يقولون مـا يعرفون، ويفـعلون ما ينكرون، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم»(٢).

وقال ﷺ: «إن أخوف مـا أخاف على أمتى كل منافق عليم اللســان، والذى نفسى بيده لا تقـوم الساعـة حتى يكون عليكم أمـراء كذبة، ووزراء فـجرة، وأعـوان خونة، وعرفاء ظلمة، وقـراء فسقة، وعباد جـهال، يفتح الله تعالى عليهم فتنة غـبراء مظلمة، فيتهوكون فيها تهوك اليهود الظلمة، فحينئذ ينقض الإسلام عروة عروة حتى لا يقال الله الله»(٣).

وعن عـدى بن حاتم رضـى الله عنه قال: قـال رسـول الله ﷺ: «يؤتى بناس يوم القيـامة فى أعظم نكال، فيـقول الله تعالـى: إنكم كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم، وإذا لقيـتم الناس لقيتـموهم مخبـتين، هبتم الناس ولم تهـابونى، وأجللتم الناس ولم تجلونى، وعزتى لأذيقنكم أليم العذاب»(٤).

وعن أسامـة بن زيد رضى الله عنهمـا قال: سـمعت رسول الله ﷺ يقـول: «يلقى رجل فى النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدار به كما تدور الرحى بصاحبها، فيقال له، أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيـقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر ولا أجتنبه».

وقال الـنبى ﷺ: «رب صائم ليس له من صـيامـه إلا الجوع والعطش، ورب قـائم ليس له من قيامه إلا السهر»(٥).

---

(١) الكنز (٦٠٥٦)، وجامع الجوامع (٥٢٧٦).
(٢) الإتحاف ١/٣٦٩، والمشكاة (٤٨٠١).
(٣) الطبرانى ١٨/٢٣٧.
(٤) الطبرانى ١٧/٨٦.
(٥) تقدم تخريجه.

وقال النبى ﷺ: «اهتز لذلك العرش وغضب له الرب تبارك وتعالى»(١).

وقال النبى ﷺ: «بئس العبد عبد حال بينه وبين ثواب الله عبد من خلق الله تعالى، يتعبد له رجاء ما فى يديه، فيتعب بدنه فى مرضاته، فيخرج دينه، وتضيع مروءته، حتى يحول بينه وبين ربه، لا يرجو الله تعالى فى الكبير، ويرجو العد فى الصغير، يعطى العبد من خدمته ما لا يعطى الله تعالى من طاعته»

وعن مجاهد رحمه الله أنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى أتصدق بصدقة فألتمس بها وجه الله تعالى، وأحب أن يقال لى خيرًا، فنزل قوله سبحانه: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يخرج فى آخر الزمان أقوام يختلون الدنيا بالدين، فيلبسون للناس جلود الضأن من اللين، وألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: أبى يفترون أم على يجترؤن؟ بى حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم فيها حيران»(٢).

وعن ضمرة عن أبى حبيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة يرفعون عمل عبد من عباد الله فيستكثرونه ويزكونه حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله تعالى من سلطانه، فيوحى الله تعالى إليهم إنكم حفظة على عمل عبدى وأنا رقيب على ما فى نفسه إن عبدى هذا لم يخلص لى عمله فاكتبوه فى سجين، ويصعدون بعمل عبد من عباده يستقلونه ويحقرونه حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه، فيوحى الله إليهم إنكم حفظة على عمل عبدى وأنا رقيب على ما فى نفسه، إن عبدى هذا أخلص لى عمله فاكتبوه فى عليين»(٣).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يقضى بين خلقه وكل أمة جاثية، فأول من يدعى به رجل جمع القرآن، ورجل قتل فى سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله تعالى للقارئ: ماذا عملت فيما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أحمد ١/ ٨١، ١١٣ ـ ١٣١.

(٣) الإتحاف ٨/ ٢٦٢.

علمت؟ فيقول: كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار، فيقول تبارك وتعالى، كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك، ويقال لصاحب المال: ماذا عملت فيما آتيتك؟ فيقول: كنت أصل الرحم وأتصدق به، فيقول الله تبارك وتعلى: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال فلان جواد، وقد قيل ذلك، ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله تعالى، فيقول الله تعالى: لماذا قاتلت؟ فيقول: قاتلت حتى قتلت فى سبيلك، فيقول الله تبارك وتعالى: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال فلان جرىء، وقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله ﷺ بيديه على ركبتيه وقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله عز وجل تسعر بهم النار يوم القيامة»(١).

قال: فبلغ هذا الخبر إلى معاوية رضى الله عنه: فبكى بكاء شديداً وقال: صدق الله تعالى وصدق رسوله ﷺ وقرأ هذه الآية: **﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾** [هود: ١٥ - ١٦]، **﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون﴾** [النمل: ٥].

وعن عدى بن حاتم الطائى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يؤمر بناس يوم القيامة من أهل النار إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله تعالى لأهلها نودوا: أن اصرفوهم لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليائك، فيقول الله تعالى: ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين متواضعين، تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما تنطوى عليه قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابونى، وأجللتم الناس ولم تجلونى، وتركتم للناس ولم تتركوا لى، فاليوم أذيقكم أليم عقابى مع ما حرمتكم من جزيل ثوابى»(٢).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تعالى

(١) الترمذى (٢٣٨٢)، والبغوى ١/ ٢٨٥، والإتحاف ١/ ٦٤.
(٢) الموضوعات ٣/ ١٦٢، والطبرانى ١٧/ ٨٦.

جنة عدن، خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمى، فقالت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون:١] ثلاثًا، ثم قالت: إنى حرام على كل بخيل ومراء»(١).

وسأل رجل رسول الله ﷺ: «فيم النجاة غدًا؟ قال: لا تخادع الله تعالى، قال: وكيف أخادع الله عز وجل؟ قال: أن تعمل بما أمرك وتريد به غير وجه الله تعالى، قال: فاتقوا الرياء فإنه الشرك بالله تعالى، فإن المرائى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء على رؤوس الخلائق: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، ضل عملك وبطل أجرك، فلا خلاق لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع».

فنعوذ بالله من الرياء والسمعة والنفاق، فإن ذلك عمل أهل النار، قال الله عز وجل: ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء:١٤٥] يعنى فى الهاوية مع فرعون وهامان وقومهما.

فإن قيل: قد جاء فى بعض الأخبار ما يدل على أن رؤية الخلق للعمل لا تضر، وهو ما روى عن وكيع عن سفيان عن حبيب عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى أعمل العمل أسرُّه، فيطلع عليه فيعجبنى، أَلِىَ فيه أجر؟ فقال: لك أجران أجر السر وأجر العلانية»(٢).

قيل: هذا محمول على أن ذلك الرجل كان يعجبه اقتداء الناس به فى عمله، وعلم ذلك رسول الله ﷺ منه، فقال له: لك أجران أجر لعملك، وأجر لاقتداء الناس بك، كما قال ﷺ: «من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة...»(٣) الحديث إلى آخره.

وأما إذا تجرد العجب من الاقتداء به، فإنه لا أجر له، لأن العجب يسقط العبد من عين الله.

وقال الحسن البصرى رحمه الله: إذا شئت لقيت أبيض بيضاء ذليق اللسان، حديد النظر، ميت القلب، ترى أبدانًا ولا قلوب، وتسمع الصوت ولا أنيس، أخصب ألسنة

---

(١) الطبرانى ١١/ ١٨٤، والمحمع ١٠/ ٣٩٧.

(٢) البيهقى (٤٢٢٦) والمجمع ١/ ٢٩٠، والإتحاف ٨/ ٢٨٦، والمعنى عن حمل الأسفار ٣/ ٣

(٣) الترمذى (٢٦٧٥)، وأحمد ٤/ ٣٦٢، والدارمى ١/ ١٣١

وأجدب قلوب، حتى لقد حدثنى جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ: أنه لا تزال هذه الأمة تحت يد الله فى كنفه ما لم تمال قراؤها أمراءها، ولم يترك صلحاؤها فجارها، وما لم يأمن خيارها شرارها، فإذا هم فعلوا ذلك رفع الله تعالى عنهم يده، وضربهم بالفاقة والفقر، وملأ قلوبهم رعبًا، وسلط عليهم جبابرهم فساموهم سوء العذاب».

وقال أيضًا رحمه الله: بئس العبد عبد يسأل المغفرة وهو يعمل بالمعصية، يخشع ليحسب عنده أمانة وإنما يتصنع بالخيانة، ينهى ولا ينتهى، يأمر ولا يفعل، إن أعطى قتر وإن منع لم يعذر، وإن صح آمن وإن سقم ندم، وإن افتقر حزن، وإن استغنى فتن، يرجو النجاة ولا يعمل، ويخاف العذاب ولا يحذر، يريد الزيادة ولا يشكر، ويؤثر الثواب ولا يصبر، يعجل النوم ويؤخر الصوم.

وقال يومًا لفرقد السبخى وهو جالس فى مجلسه وعليه ثياب فاخرة وعلى فرقد جبة من صوف: ثيابى ثياب أهل الجنة، وثيابك ثياب أهل النار، وجعلوا زهدهم فى ثيابهم، وكبرهم فى صدورهم، والله لأحدهم أعجب بصوفه من صاحب المطرف بمطرفه ما له تفاخر، البسو ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية.

وقال عمر رضى الله عنه: البس من الثياب ما لم تستهزئ به القراء ولا يزدريك السفهاء.

وكان يقال: كن صوفى القلب قطنى الثياب.

وفى الجملة: الناس فى اللباس على ثلاثة أضرب: الأتقياء، والأولياء، والبدلاء.

فلباس الأتقياء: هو الحلال الذى ليس للخلق عليه تبعة ولا للشرع فيه مطالبة، فكل حلال، سواء كان لباسهم قطنًا أو كتانًا أو صوفًا، زرقًا أو بيضًا.

ولباس الأولياء: ما وقع به الأمر، وهو أدنى ما يستر به العورة والجسد مما لابد منه وتدعو إليه الضرورة، ليتحقق بذلك كسر أهويتهم، فيبلغوا إلى درجة الأبدال.

ولباس البدلاء: ما جاء به القدر مع حفظ الحدود، قميص بقيراط أو حلة بمائة دينار، فلا إرادة، تسموا إلى الأعلى، ولا هوى يكسر بالأدنى، بل ما تفضل به المولى من جميع ما أحل وأعطى من غير نصب ولا عناء، ولا بشرف من النفس ولا منى، وما سوى هذه الوجوه فهو من الجاهلية الأولى، ورعونة النفس واتباع الهوى.

* * *

القسم الرابع

في

فضائل الأعمال

باب
فى ذكر فضائل أيام الأسبوع والأيام البيض
وما ورد فى صيام ذلك من التخصيص
وذكر أوراد الليل والنهار فيها

من ذلك ما أخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده، قال: أنبأنا أبو الحسن على بن أحمد المقرى، قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن عثمان بن يحيى الآدمى، قال: حدثنا عباس ابن محمد بن حاتم الدورى، قال: حدثنا حجاج بن محمد الأعور، قال: حدثنا ابن جريج، قال: أخبرنى إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد، عن عبيد الله بن رافع مولى أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيدى فقال: خلق الله تعالى التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق الخير يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»[1].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ عن الأيام، فسئل عن يوم السبت فقال: يوم مكر وخديعة، قالوا: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال ﷺ: لأن فيه مكرت قريش بى فى دار الندوة، وسئل رسول الله ﷺ عن يوم الأحد، فقال ﷺ: يوم غرس وعمارة قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ. لأن فيه ابتداء الدنيا وعمارتها، وسئل ﷺ عن يوم الإثنين، قال ﷺ: يوم سفر وتجارة، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: لأن فيه سافر شعيب النبى عليه السلام واتجر، وسئل ﷺ عن يوم الثلاثاء، قال ﷺ: يوم دم، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: لأن فيه حاضت حواء، وقتل ابن آدم أخاه، وسئل ﷺ عن يوم الأربعاء، قال ﷺ: يوم نحس وشؤم، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: لأن فيه أغرق الله تعالى فرعون وقومه، وأهلك عادًا وثمود، وسئل ﷺ عن يوم الخميس، فقال ﷺ: فيه قضاء

(١) مسلم (٢١٤٩)، وأحمد ٢/٣٢٧، والبيهقى ٩/٣

الحوائج، والدخول على السلاطين، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: فيه دخل إبراهيم خليل الرحمن على نمرود فقضى حوائجه، وأخذ منه هاجر، وسئل ﷺ عن يوم الجمعة، فقال ﷺ: يوم خطبة ونكاح، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: لأن فيه كانت الأنبياء تنكح»(١).

وروى عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه، عن جده رضى الله عنه قال: «ما كان رسول الله ﷺ يخرج فى سفر إلا يوم الخميس»(٢).

وعن معاوية بن قرة عن أنس رضى الله عنه يرفعه إلى النبى ﷺ قال: «من احتجم يوم الثلاثاء لسبعة عشر من الشهر أخرج الله تعالى منه داء سنة»(٣).

وقيل: إن الله تعالى أعطى يوم السبت لموسى ولخمسين نبيًا مرسلاً، وأعطى يوم الأحد لعشرين نبيًا ولعيسى عليه السلام، وأعطى يوم الإثنين لمحمد ﷺ ولثلاثة وستين مرسلاً، وأعطى يوم الثلاثاء لسليمان عليه السلام ولخمسين مرسلاً، وأعطى يوم الأربعاء ليعقوب عليه السلام ولخمسين مرسلاً، وأعطى يوم الخميس لآدم عليه السلام ولخمسين نبيًا، ويوم الجمعة لله عز وجل وتقدس، قال النبى ﷺ: «إلهى ما حظ أمتى؟ قال تبارك وتعالى: يا محمد الجمعة لى والجنة لى، فأعطيت الجمعة لأمتك والجنة معها، وأنا مع الجمعة والجنة لأمتك».

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم الأربعاء والخميس والجمعة بنى الله تعالى له قصراً فى الجنة من لؤلؤ وياقوت وزمرد، وكتب الله تعالى له براءة من النار»(٤).

وفى لفظ آخر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام ثلاثة أيام من الشهر الحرام، الخميس والجمعة والسبت، كتب الله له عبادة تسعمائة سنة»(٥).

---

(١) الفوائد المجموعة (٤٣٧)، وتذكرة الموضوعات (١١٥)، واللآلىء المصنوعة ١/ ٢٥٠.

(٢) مجمع الزوائد ٣/ ٢١١، وعزاه إلى الطبرانى فى «الأوسط» وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٣) الموضوعات ٣/ ٢١٥، واللآلىء ٢/ ٢٢٠، وتذكرة الموضوعات (٢٠٨).

(٤) البيهقى ٤/ ٢٩٥، والطبرانى ٨/ ٣٠٠، والمجمع ٣/ ١٩٩ وعزاه إلى الطبرانى فى «الكبير» من طريق صالح بن جبلة، وقال. ضعفه الأزدى.

(٥) العلل المتناهية ٢/ ٦٤، والإتحاف ٤/ ٢٥٦، ومجمع الزوائد ٣/ ١٩١.

وقال ﷺ: «صوموا يوم السبت والأحد، وخالفوا اليهود والنصارى»[1].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «تفتح أبواب السماء كل إثنين وخميس، فيغفر الله تعالى فى ذلك اليوم لكل عبد لا يشرك بالله تعالى شيئًا، إلا امرأ كان بينه وبين أخيه شحناء، يقول تعالى: انظروا هذين حتى يصطلحا»[2].

وروى «أنه ﷺ لم يدع صومهما حضراً ولا سفراً، ويقول: إنهما يومان تعرض فيهما الأعمال»[3].

(فصل) وأما صيام الأيام البيض ففيها فضل كثير.

من ذلك ما أخبرنا أبو نصر عن والده قال: أنبأنا هلال بن محمد، قال حدثنا النقاش، قال: حدثنا الحسين بن سفيان، قال: حدثنا سليمان بن يزيد مولى بنى هاشم، قال: حدثنا على بن يزيد، عن عبد الملك بن هارون، عن سعيد بن عثمان، عن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «صوم يوم الثالث عشر يعدل صيام ثلاثة آلاف سنة، وصوم الرابع عشر يعدل صوم عشرة آلاف سنة، ومن صام يوم الخامس عشر يعدل صوم مائة ألف سنة،فذلك مائة ألف سنة وثلاثة عشر ألف سنة»[4].

وعن أبى إسحاق عن جرير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر صوم الدهر كله»[5].

وعن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام ثلاثة أيام من الشهر صام الدهر»[6] وقد صدقه الله فى كتابه العزيز بقوله عز وجل: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ لا يدع صيام الأيام

(١) مجمع الزوائد ٣/ ١٩٨، بنحوه، وقال: رواه الطبرانى فى «الكبير»، ورجاله ثقات، وصححه ابن حبان.
(٢) أحمد ٢/ ٣٨٩
(٣) الترمذى (٧٤٧)، وشرح السنة ٦/ ٣٥٤.
(٤) الموضوعات ٢/ ١٩٧.
(٥) النسائى ٤/ ٢٠٨ و ٢٢١، وأحمد ٣/ ٤٣٦.
(٦) مسلم فى: الصيام. حديث (١٨٧).

البيض فى سفر ولا حضر»[١].

وعن الشعبى رحمه الله قال: سمعت ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «من صام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلى ركعتى الفجر، ولم يترك الوتر فى سفر ولا حضر، كتب له أجر شهيد»[٢].

وعن سعيد بن أبى هند عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: «أوصانى حبيبى رسول الله ﷺ بثلاث لا أدعهن حتى ألقاه: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، والوتر قبل النوم، وصلاة الضحى»[٣].

وعن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده قال: سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: «أتيت رسول الله ﷺ ذات يوم عند انتصاف النهار وهو فى الحجرة، فسلمت عليه، فرد النبى ﷺ علىّ ثم قال: يا على، هذا جبريل يقرئك السلام، فقلت: عليك وعليه السلام، يا رسول الله، فقال: ادن منى، فدنوت منه، فقال: يا على يقول لك جبريل عليه السلام: صم من كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف سنة، وباليوم الثانى ثلاثين ألف سنة، وباليوم الثالث مائة ألف سنة، فقلت: يا رسول الله هذا الثواب لى خاصة أم للناس عامة، قال ﷺ: يا على يعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل عملك بعدك، قلت: يا رسول الله وما هى؟ قال ﷺ: الأيام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر»[٤].

قال عنترة: قلت لعلى رضى الله عنه، لأى شيء سميت هذه الأيام البيض؟ فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض أحرقته الشمس فاسود جسده، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا آدم أتحب أن يبيض جسدك؟ قال: نعم، قال: فصم من الشهر ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر، فصام آدم عليه السلام أول يوم فابيض ثلث جسده، ثم صام اليوم الثانى فابيض ثلثا جسده،

(١) الجامع الصغير ٢/ ٩٤، وعزاه إلى «الطبرانى»، ورمز له بـ (ح)، وهو كناية عن حسنه.
(٢) تلخيص الحبير ٢/ ٢١٤.
(٣) أحمد ٥/ ١٧٣.
(٤) الموضوعات ٣/ ١٩٧. قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بهارون بن عنترة، وابنه عبد الملك يضع الحديث. وقال يحيى والسعدى. عبد الملك كذاب.

ثم صام اليوم الثالث فابيض جسده كله، فسميت الأيام البيض»[١].

وعن زر بن حبيش رحمه الله قال: سألت ابن مسعود رضى الله عنه عن الأيام البيض قال: سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «إن آدم عليه السلام لما عصى وأكل من الشجرة، أوحى الله تعالى إليه: يا آدم اهبط من جوارى، وعزتى وجلالى لا يجاورنى من عصانى، قال: فهبط إلى الأرض مسودًا، قال: فبكت الملائكة وضجت وقالت: يا رب خلقت خلقته بيدك، وأسكنته جنتك، وأسجدت له ملائكتك، فى ذنب واحد حولت بياضه سوادًا، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم صم لى هذا اليوم، يوم ثالث عشر فصامه فأصبح ثلثه أبيض، ثم أوحى الله تعالى إليه: يا آدم صم هذا اليوم، يوم رابع عشر، فصامه فأصبح ثلثاه أبيض، ثم أوحى الله تعالى إليه يا آدم صم هذا اليوم، يوم خامس عشر، فصامه فأصبح كله أبيض، فسميت الأيام البيض»[٢].

وقال القتبى[٣] فى أدب الكاتب: العرب تسميها الأيام البيض، لأن لياليها تبيض بطلوع القمر من أولها إلى آخرها.

باب
فى صيام الدهر وما لمن صامه من الثواب والأجر

أخبرنا أبو نصر عن والده، قال: حدثنا أبو الحسن على بن أحمد المقرى، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد القرمسينى، قال: حدثنا الحسن بن سهل، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا إبراهيم بن أبى نجا عن صفوان بن سليم، عن علقمة بن أبى علقمة، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام صيام داود، ومن صام الدهر كله فقد وهب نفسه لله تعالى»[٤].

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) الموضوعات ٢/ ٧٢ ـ ٧٣، وقال: هذا حديث لا يشك فى وضعه

(٣) القتبى هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى النحوى اللغوى، الكاتب، نزيل بغداد. قال الخطيب: كان رأسًا فى العربية واللغة والأخبار، وأيام الناس، ثقة دينًا فاضلاً مات سنة (٢٦٧). له ترجمة فى: البداية والنهاية ١١/ ٤٨، وشذرات الذهب ٢/ ١٦٩، والنجوم الزاهرة ٣/ ٧٥.

(٤) النسائى ٤/ ٢٠٩، وابن عساكر ٦/ ٤١٩.

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا، وعقد تسعين»[1].

وعن شعيب عن سعد بن إبراهيم قال: «كانت عائشة رضى الله عنها تصوم الدهر».

وعن يعقوب قال: حدثنا أبى، قال: «سرد سعد رضى الله عنه الصوم قبل أن يموت أربعين سنة».

وعن أبى إدريس عائذ الله قال: «صام أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه حتى صار كأنه خلال، قال: فقلت: يا أبا موسى لو أجممت؟ أى أرحت نفسك، فقال: إجمامها أريد، إنى رأيت السابق من الخيل الضامرة».

وعن أبى إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنى عمار الراهب قال: رأيت مسكينة الظفارية فى منامى، وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالأبلة، تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة، قال عمار: فقلت لها: يا مسكينة ما فعل عيسى؟ فضحكت ثم قالت: قد كسى حلة البهاء وطافت بأباريق حوله الخدم، ثم حلى، وقيل: يا قارئ ارق فلعمرى لقد براك الصيام. وكان عيسى قد صام حتى انحنى وانقطع صوته.

وعن أنس رضى الله عنه قال: كان أبو طلحة رضى الله عنه لا يصوم على عهد رسول الله ﷺ من أجل الغزو، فلما مات رسول الله ﷺ، لم أره مفطرًا إلا يوم الفطر ويوم النحر.

وعن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال: «حدثنى من رأى رسول الله ﷺ فى يوم صائف يصب على رأسه الماء من شدة الحر والعطش وهو صائم».

وعن سفيان عن أبى إسحاق عن الحرث عن على ـ رضى الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ يصوم يومًا ويفطر يومًا».

وما نقل فى حديث جابر رضى الله عنه قال: «إن النبى ﷺ قال لما سأله عمر رضى الله عنه: يا نبى الله أخبرنى عن رجل يصوم الدهر كله؟ قال ﷺ: لا صام ذلك ولا أفطر»[2] فمحمول على رجل صام الدهر ولم يفطر يومى العيدين وأيام التشريق، كذا

---

(١) أحمد ٤/ ٤١٤، وابن أبى شيبة ٣/ ٧٨، ومجمع الزوائد ٣/ ١٩٣، وعزاه إلى «أحمد» و «البزار» والطبرانى فى «الكبير»، وقال: رجاله رجال الصحيح

(٢) مسلم فى: الصيام. حديث (١٩٦ و ١٩٧)، وأبو داود (٢٤٢٥ و ٢٤٢٦)، وأحمد ٤/ ٢٥

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وأما إذا أفطر هذه الأيام وصام بقية السنة فلا نهى فى حقه، بل له ما ذكرنا من الفضائل.

* * *

(فصل: فى فضل الصيام فى الجملة)

من ذلك ما أخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن عمرو بن ربيعة عن سلامة بن قيس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يومًا ابتغاء وجه الله تعالى، بعده الله من جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرمًا»(١) وقيل: إن الغراب يعيش مقدار خمسمائة سنة.

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ. «من صام يومًا فى سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا عرضه كما بين السماء والأرض»(٢).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يومًا فى سبيل الله باعد الله بذلك وجهه عن النار سبعين خريفًا»(٣).

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد أصبح صائمًا إلا فتحت له أبواب السماء، وسبحت أعضاؤه، واستغفر له أهل سماء الدنيا إلى أن توارى بالحجاب، وإن صلى ركعة أو ركعتين تطوعًا أضاءت له السموات نورًا، وقلن أزواجه من الحور العين: اللهم اقبضه إلينا فقد اشتقنا إلى رؤيته، وإن هلل أو سبّح تلقاها سبعون ألف ملك يكتبونها إلى أن توارى بالحجاب»(٤).

وعن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ قال: «كل حسنة يعملها ابن آدم فهى بعشر حسنات إلى مئة حسنة أو سبعمائة حسنة، إلا الصوم، فإن الله تعالى قال فى بعض كتبه : الصوم لى وأنا أجزى به ، وخلوف فم الصائم أطيب

---

(١) مجمع الزوائد ٣/ ١٨١، وعزاه إلى «أبى يعلى» والطبرانى فى «الكبير» و «الأوسط» من طريق ابن لهيعة.

وإلى «أحمد» و «البزار» من طريق رجل لم يسم.

(٢) الترمذى (١٦٢٢ و ١٦٢٤)، والطبرانى ٨/ ٢٨١، والصحيحة (٥٦٣)

(٣) البخارى ٤/ ٣٢، ومسلم فى: الصيام: حديث (١٦٨)، والنسائى ٤/ ١٧٣

(٤) العلل المتناهية ٢/ ٥٦، وابن عدى ٢/ ٥٤٨، وكنز العمال (٢٣٦٣٠)

عند الله من ريح المسك»[١].

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من منعه الصيام من الطعام والشراب الذي يشتهيه أطعمه الله من ثمار الجنة، وسقاه من شرابها»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أهل عمل باب من أبواب الجنة يدعون منه بذلك العمل، ولأهل الصيام باب يدعون منه يقال له الريان، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله هل أحد يدعى من هذه الأبواب كلها؟ قال ﷺ: نعم، وأنا أرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»[٣].

وقال ﷺ: «إن لكل شيء بابًا وإن باب العبادة الصيام»[٤].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصوم تصفو قلوبكم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصوم نصف الصبر، ولكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم»[٥].

وعن أبي أوفى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نوم الصائم عبادة، وسكوته تسبيح، وعمله متقبل»[٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع للصائمين يوم القيامة مائدة من ذهب عليها شهد فيأكلون منها والناس ينظرون»[٧].

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: حدثني أبو سليمان، قال: جاءني أبو علي الأصم بأحسن حديث سمعته في الدنيا، قال: يوضع للصوام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب، قال: فيقولون: يا رب نحن نحاسب وهؤلاء يأكلون؟ قال:

---

(١) النسائي ٤/ ١٦٤ و ١٦٥، وأحمد ٢/ ٤٧٩

(٢) كنز العمال (٢٤٢٧٣)، والدر المنثور ١/ ١٨، والعلل (٧٤٠).

(٣) أحمد ٢/ ٤٤٩، وابن السني ٣/ ٧، والإتحاف ٤/ ١٩١.

(٤) ابن المبارك (٥٠)، والإتحاف ٤/ ١٩٢، ومسند الشهاب (١٠٣٢).

(٥) أحمد ٤/ ٢٦٠، والإتحاف ٤/ ١٨٧، والدر ١/ ١٢.

(٦) الإتحاف ٤/ ١٩٢، وكنز العمال (٢٣٥٦٢)، والحلية ٥/ ٨٣، والمغني عن حمل الأسفار ١/ ٢٣٢.

(٧) الدر المنثور ١/ ١٨.

فيقول: إنهم طالما صاموا وأفطرتم وقاموا وغمتم»[١].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «الصائمون إذا خرجوا من قبورهم تنفح من أفواههم ريح المسك، ويؤتون بمائدة من الجنة فيأكلون منها، وهم فى ظل العرش»[٢].

وقال سفيان بن عيينة: بلغنى أن الصائم لا يحاسب على ما يفطر عليه.

وعن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: الصوم لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلى، والصوم جنة، وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من رائحة المسك»[٣].

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «الصوم جنة يجتن بها العبد من النار»[٤].

وعن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضى الله عنهما عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: ما آسى على شىء من الدنيا أتركه خلفى إلا الصيام فى الهاجرة والمشى إلى الصلاة»[٥].

وعن مجاهد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلاً صام لله يومًا تطوعًا ثم أعطى ملء الأرض ذهبًا لم يستوف ثوابه دون يوم الحساب»[٦].

(فصل) وأما أوراد الليل والحث على قيامه:

مما اتفق عليه فى الصحيحين وما ذكر فى غيرهما من الكتب، فمن ذلك ما روى عن شقيق عن عبد الله رضى الله عنه قال: ذكر عند النبى ﷺ رجل، فقيل: يا رسول الله

(١) الدر المنثور ١/ ١٨٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البخارى ٩/ ١٧٥، وأحمد ٢/ ٣٩٣

(٤) الطبرانى ٩/ ٤٩، والبخارى ٩/ ١٧٥، وأحمد ٢/ ٣٠٦.

(٥) مجمع الزوائد ٣/ ١٨٢، وعزاه إلى الطبرانى فى «الكبير» و «الأوسط» من طريق سنان بن هارون وقال: وثقه أبو حاتم وابن عدى، وضعفه ابن معين.

(٦) المصدر السابق، وعزاه إلى «أبى يعلى» والطبرانى فى «الأوسط» من طريق ليث بن أبى سليم، وهو ثقة ولكنه مدلس، وبقية رجاله ثقات .

إن فلانًا نام الليلة حتى أصبح ما صلى، فقال النبى ﷺ: «ذلك رجل بال الشيطان فى أذنه»(١).

وفى الخبر «إذا نام الرجل عقد الشيطان على رأسه، ثلاث عقد، فإن قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة، وإن توضأ انحلت عقدتان، وإن صلى ركعتين انحلت العقد كلها، وأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح كسلان خبيث النفس»(٢).

وفى خبر آخر «إن للشيطان سعوطًا ولعوقًا وذرورًا، فإذا سعط العبد ساء خلقه، وإذا لعقه ذرب لسانه بالشر، وإذا ذره نام بالليل حتى الصبح»(٣).

وطول القيام فى صلاة الليل، وهى مثنى مثنى، وكثرة الركوع والسجود فى صلاة النهار، وإن أراد أن يصلها أربعًا بتسليمة جاز.

وصلاة الليل فى حق النبى ﷺ نافلة وفضيلة وقربة وكرامة، وفى حق أمته مكملة ومتممة للفرائض.

وعن سالم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان الرجل فى حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ قال: فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على رسول الله ﷺ، قال: وكنت غلامًا شابًا عزبًا، وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النار، وإذا هى مطوية كطى البئر، وإذا لها قرنان كقرنى البئر، فرأيت ناسًا قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار، فلقينا ملك آخر فقال لى: لن تراع، قال: فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة رضى الله عنها على النبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ: نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلى من الليل ؟ فكان بعد ذلك رضى الله عنه لا ينام من الليل إلا قليلا»(٤).

وعن أبى سلمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال لى رسول الله ﷺ: «لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»(٥).

---

(١) البخارى فى. التهجد. ب (١٣)، ومسلم فى: المسافرين: حديث (٢٠٥)، وأحمد ١/ ٣٧٥

(٢) البخارى ٢/ ٦٥، ومسلم فى: صلاة المسافرين. حديث (٢٠٩)، وأحمد ٢/ ٢٤٣.

(٣) الإتحاف ٥/ ١٨٥، وتاريخ أصفهان ٢/ ٢٠٤.

(٤) البخارى ٢/ ٦١، ومسلم (١٩٢٨، ١٩٢٩)، وأحمد ٢/ ١٤٦.

(٥) البخارى ٢/ ٦٨، والنسائى ٣/ ٢٥٣، وابن ماجه (١٣٣١)، والبيهقى ٣/ ١٤.

وعن أبى صالح عن ابن شهاب قال: أخبرنى على بن حسين أن أباه الحسين بن على رضى الله عنهما، أخبره أن على بن أبى طالب رضى الله عنه، أخبره «أن رسول الله ﷺ طرقه هو وفاطمة ابنته رضى الله عنهما، فوجدهما نيامًا فقال: ألا تصلون؟ فقلت: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله تعالى، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت ذلك له، فلم يرجع شيئًا، فسمعته وهو يضرب فخذه ويقول ﷺ: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ [الكهف: ٥٤].

وحدثنا أبو نصر عن والده بإسناده عن سفيان الثورى عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل خير من الدنيا وما فيها، ولولا أن أشق على أمتى لفرضتها عليهم»(١).

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن أبى العالية، قال: حدثنى أبو مسلم، أنه سأل أبا ذر رضى الله عنه: أى صلاة الليل أفضل؟ فقال أبو ذر رضى الله عنه: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «جوف الليل، أو قال نصف الليل وقليل فاعله»(٢).

وفى بعض الأخبار «سأل داود النبى عليه السلام ربه عز وجل وقال: إلهى إنى أحب أن أتعبد لك، فأى وقت أفضل؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره، فإنه من قام أوله نام آخره، ومن قام آخره لم يقم أوله، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك، وارفع إلى حوائجك».

وعن يحيى بن المختار عن الحسن رحمه الله أنه قال: ما عمل عبد عملاً أقر لعين، ولا أخف لظهر، ولا أطيب لنفس، من قيام فى جوف الليل يداوم أو إنفاق مال فى حق.

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول: «يا أيها الناس إنى لكم ناصح، إنى عليكم شفيق، صلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا فى الدنيا لحر يوم النشور، وتصدقوا لمخافة يوم عسير، يا أيها الناس إنى لكم ناصح، إنى عليكم شفيق».

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى جعفر أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا بقى ثلث الليل ينزل الله تعالى

---

(١) البخارى ٩/ ١٣١، ومسلم فى. صلاة المسافرين: حديث (٢٠٦)، وأحمد ١/ ٢٧٧

(٢) ابن المبارك (٤٥٦)، والإتحاف ٥/ ١٨٥.

إلى السمـاء الدنيا فيقـول: من ذا الذى يدعونى فأستـجيب له، من ذا الذى يستغـفرنى فأغفر له، من ذا الذى يسترزقنى فأرزقه، من الذى يستكشف الضر فأكـشفه عنه حتى ينفجر الفجر»(١).

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا عز وجل كل ليـلة إلى سماء الدنيا ثلث الليل الآخر فـيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى سؤله؟» فمن ثم كانوا يستحبون الصلاة فى آخر الليل(٢).

وعن أبى أمامـة رضى الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: «أى الليل أسـمع؟ قال: جوف الليل الآخر وإدبار الصلوات المكتوبات»(٣).

وعن عبـد الله بن عمـر رضى الله عنهمـا قال: إن رسـول الله ﷺ قال: «إن خـير الصيام صيام داود عليه السلام، كـان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وخير الصلاة صلاة داود عليـه السلام، كـان يرقد نصـف الليل ويصلى آخر اللـيل، حتى إذا بقى سـدس الليل رقد»(٤).

وفى لفظ آخر عـن عبد الله بن عـمر رضى الله عنهـما قال: قـال رسول الله ﷺ: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، كان يرقد شطر الليل ثم يقوم، ثم يرقد آخره، ثم يقوم ثلث الليل بعد شطره»(٥).

وقـال أبو هريرة رضى الله عنه: إنى أجـعل الليل أثلاثًا، فـثلثًا أنام، وثلثًا أصلى، وثلثًا أستذكر فيه حديث رسول الله ﷺ.

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: فضل صلاة اللـيل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية(٦).

---

(١) البيهقى ٣/ ٤، وشرح السنة ٤/ ٦١، وابن المبارك (٤٢٨)

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أبو داود (٢٤٤٨)، وأحمد ٢/ ١٦.

(٥) البخارى ٢/ ٦٣، ومسلم فى: الصيام: حديث (١٨٩)، والنسائى ٣/ ٢١٤، وابن ماجه (١٧١٢).

(٦) الطبرانى ١٠/ ٢٢١، وابن المبارك (٩)، والحلية ٤/ ١٦٧.

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه: ركعة بالليل خير من عشر بالنهار.

وسأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام: «أى الليل أسمع؟ فقال: إن العرش يهتز من السحر»(١).

وقال النبى ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم»(٢).

إن قيام الليل قربة إلى الله تعالى، وتكفير للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد.

وحدثنا أبو نصر عن والده بإسناده عن الأعمش عن أبى سفيان، عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الليل ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله تعالى فيها شيئًا إلا أعطاه إياه»(٣) وهى فى كل ليلة، قالوا: وهذا عام مثل الساعة فى يوم الجمعة، ومثل ليلة القدر فى العشر الأخير من رمضان.

ويقال: «إن فى الليل وقتًا لابد أن ينام فيه ويغفل كل ذى عين إلا الحى القيوم الذى لا يموت، فلعلها هذه الساعة».

وفى حديث عمرو بن عتبة رضى الله عنه: «عليك بصلاة آخر الليل فإنها مشهودة محضورة تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار».

(فصل) وأما صلاة رسول الله ﷺ المذكورة فى المتفق عليه(٤)، فما روى عن أبى إسحاق قال: أتيت الأسود بن يزيد وكان لى أخًا وصديقًا، فقلت له: يا أبا عمرو حدثنى ما حدثتك عائشة رضى الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ، قال: قالت رضى الله عنها: «كان ﷺ ينام فى أول الليل ويحيى آخره، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم لم يمس ماء حتى ينام فإذا سمع النداء الأول قالت: وثب، لا والله ما قالت قام فأفاض عليه الماء، ولا والله ما قالت اغتسل، وأنا أعلم ما تريد، وإن لم يكن جنبًا توضأ وضوءه للصلاة ثم صلى».

وعن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس رضى الله عنهما «أنه بات ليلة عند

---

(١) المغنى عن حمل الأسفار ١/٣٥٧.

(٢) الترمذى (٣٥٤٩) وقال: غريب، وشرح السنة ٤/٣٤، والطبرانى ٦/٣١٧.

(٣) مسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٦٦)، وأحمد ٣/٣١٣.

(٤) البخارى ٢/٦٦، ومسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٢٩)، وأحمد ٦/٢ ١

ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها قال: فاضطجعت فى عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله فى طولها، ونام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ، فجلس فمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام فصلى.

قال ابن عباس رضى الله عنه: فقمت فصنعت مثل ما صنع رسول الله ﷺ، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسى، فأخذ بأذنى اليمنى ففتلها فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاء المؤذن، ثم قام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح»[(١)].

وعن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ما كنت ألقى النبى ﷺ من آخر السحر إلا وهو نائم عندى»[(٢)] يعنى بعد الوتر.

وعن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت: «إن النبى ﷺ كان يعجبه الدائم من العمل، فقلت: أى الليل كان يقوم؟ قالت: إذا سمع الصارخ»[(٣)].

وعن الحسن رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «صلوا من الليل ولو أربعًا، صلوا ولو ركعتين، ما من أهل بيت يعرف لهم صلاة بالليل إلا ناداهم مناد يا أهل البيت: قوموا لصلاتكم»[(٤)].

وعن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن»[(٥)].

وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: «إن النبى ﷺ سمع رجلاً يقرأ فى سورة من الليل، فقال ﷺ: رحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية، كنت أسقطتها من

---

(١) البخارى فى: الوضوء. ب (٣٦) والوتر: ب (١)، ومسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٨٢)، ومالك فى: صلاة الليل: حديث (١١).

(٢) البخارى فى: التهجد: ب (٧)، ومسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٣٢)، وأحمد ١٦١/٦.

(٣) أحمد ٢٠٣/٦.

(٤) ابن أبى شيبة ٢/ ٢٧١، والإتحاف ٥/ ٢٠٣.

(٥) البخارى ٩/ ١٧٣، ومسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (٢٣٢، ٢٣٣)، والنسائى ٢/ ١٨٠.

سورة كذا وكذا».

وأما قدر صلاته ﷺ فى الليل، فما أخبرنا به الشيخ أبو نصر، عن والده، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبى الفوارس، قال: حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان، قال: حدثنى أبو بكر، قال: حدثنى الليث عن ابن أبى حبيب، عن عراك، عن عروة رحمه الله قال: «إن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يصلى بالليل ثلاث عشرة ركعة وركعتى الفجر»[1].

وروى أنه ﷺ كان يصلى من الليل اثنتى عشرة ركعة، ثم يوتر بواحدة، وقيل عشر ركعات ثم يوتر بواحدة.

(فصل آخر: فى صلاة الليل)

وقد ذكر الله تعالى القائمين بالليل فى كتابه العزيز، فقال عز وجل: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات ١٧ ـ ١٨].

وقال جل وعلا: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا﴾ [السجدة:١٦].

وقال تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ [الزمر:٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا﴾ [الفرقان:٦٤].

وقال جل وعلا: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

وقال النبى ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة نادى مناد: ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا، فيقومون وهم قليل، ثم يرجع فينادى: ليقم الدين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون وهم قليل، ثم يرجع فينادى: ليقم الذين كانوا يحمدون الله عز وجل فى السراء والضراء، فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب سائر الناس من بعدهم».

وقال ﷺ: «استعينوا بطعام السحر على صوم النهار، وبقيلولة النهار على قيام

(١) البخارى ٢/ ٦٤، ومسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٢٣)، وأحمد ١/ ٣٣٨

الليل، إن صاحب النوم يجىء مفلسًا، وما نام أحد طول ليله إلا بال الشيطان فى أذنه»(١).

وكان رسول الله ﷺ ربما ردد آية حتى يصبح.

وقالت عائشة رضى الله عنها: «نام رسول الله ﷺ ليلة حتى ألصق جلده بجلدى، ثم قال: يا عائشة أتأذنين لى أن أتعبد لربى الليلة، قلت: والله إنى لأحب قربك ولكنى أؤثر هواك، ثم قام ﷺ يقرأ القرآن ويبكى حتى بل بالدموع منكبيه، ثم جلس يقرأ ويبكى حتى بل بالدموع جنبيه وحقويه، ثم اضطجع يبكى ويقرأ حتى بلّ بالدموع ما يلى الأرض، فأتاه بلال رضى الله عنه فقال: بأبى وأمى ألم يغفر الله لك؟ قال ﷺ: يا بلال أفلا أكون عبدًا شكورًا، إنه أنزل على فى هذه الليلة **﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾** [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١]»(٢).

وقالت عائشة رضى الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ يصلى فى شىء من صلاة الليل جالسًا حتى دخل فى السن، فجعل يصلى وهو جالس، فإذا بقى عليه من السورة ثلاثون آية أو أربعون آية، قام فقرأ بها ثم ركع ﷺ»(٣).

وقال يعمر بن بشر: أتيت باب عبد الله بن المبارك بعد العشاء الآخرة، فوجدته يصلى وهو يقرأ: **﴿إذا السماء انفطرت﴾** [الانفطار ١] حتى إذا بلغ **﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾** [الانفطار ٦] وقف يرددها إلى أن ذهب هوىّ من الليل، فرجعت حين طلع الفجر وهو يرددها، فلما رأى الفجر قد طلع قطع، ثم قال: حلمك وجهلى، حلمك وجهلى، فانصرفت وتركته.

وقال النبى ﷺ: «الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه، وطال ليله فقامه»(٤).

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «ينبغى لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس

(١) ابن ماجه (١٦٩٣)، والحاكم ١/ ٤٣٥.
(٢) القرطبى ٤/ ٣١٠.
(٣) ابن ماجه (١٢٢٧).
(٤) أحمد ٣/ ٧٥، والبيهقى ٢/ ٢٩٧، والحلية ٨/ ٣٢٥، والصحيحة (١٩٢٢)

ينامـون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وببـكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وبصمته إذا الناس يخوضون».

* * *

(فصل: فى فضل الصلاة بين العشاءين)

حدثنا أبو نصر عن والده، قال: حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبى الفوارس الحافظ إملاء، قال: حدثنا بشر، قال: حدثنا محمد بن سليمان المصيصى، قال: حدثنا زيد بن الحباب، عن عمر بن عبد الله بن خثعم، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ست ركعات بعد المغرب لم يتكلم بينهن عدلن بعبادة ثنتى عشرة سنة»(١).

وفى حديث زيد بن الحباب: ولم يتكلم بينهن بسوء.

وقيل: يستحب أن يقرأ فى الركعتين الأوليين بـ ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾، و ﴿قل هو الله أحد...﴾، ليسرع بهما، لأنه قيل: إنهما يرفعان مع صلاة المغرب، ثم يصلى باقيها ويطول فيها إن شاء.

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحداً رفعت له فى عليين، وكان كمن أدرك ليلة القدر فى المسجد الأقصى، وهو خير من قيام نصف ليلة»(٢).

وحدثنا أبو نصر عن والده بإسناده عن طارق بن شهاب عن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «من صلى المغرب وصلى من بعدها أربعًا كان كمن حج بعد حجة، قلت: فإن صلى بعدها ستًا؟ قال: يغفر له ذنوب خمسين عامًا»(٣).

وعن سعيد بن جبير، عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان

(١) الترمذى (٤٣٥)، وقال: غريب، وابن ماجه (١١٦٧)، وشرح السنة ٣/٤٧٣
(٢) البيهقى ٢/٤٧٧، والخطيب ١٤/٣٠٨.
(٣) العلل المتناهية ١/٤٥٨.

حقًا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام، ويغرس له بينهما غراسًا لو ضافه أهل الدنيا لوسعهم»[١].

وحدثنا أبو نصر عن والده بإسناده عن هشام بن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من صلاة أحب إلى الله تعالى من صلاة المغرب، بها يفتح العبد ليلته، ويختم بها نهاره، لم تحط عن مسافر ولا عن مقيم، من صلاها وصلى بعدها أربعًا من غير أن يكلم جليسًا بنى الله له قصرين مكللين بالدر والياقوت، بينهما من الجنان ما لا يعلم علمه إلا هو، وإن صلاها وصلى بعدها ستًا من غير أن يكلم جليسًا غفر له ذنوب أربعين عامًا»[٢].

وكان أبو هريرة رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ثنتى عشرة ركعة.

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى الله له بيتًا فى الجنة»[٣].

وروى أن أنس بن مالك رضى الله عنه كان يصلى ما بين المغرب والعشاء ويقول: «هى ناشئة الليل».

وعن عبد الرحمن بن الأسود عن عمه أنه قال: ما أتيت ساعة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إلا وجدته يصلى ما بين المغرب والعشاء.

وكان يقول: هى ساعة غفلة، وقيل: فيها نزلت ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ [السجدة:١٦].

وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «من قرأ بعد المغرب ﴿الم * تنزيل...﴾ السجدة، و ﴿تبارك الذى بيده الملك...﴾، جاء يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر وقد أدى حق تلك الليلة»[٤].

وهذه الركعات التى وردت بها الأخبار يحتمل أن تكون منفردة عن الركعتين السنة، ويحتمل أن تكون معها.

---

(١) الإتحاف ٣/ ٣٧٢، والمغنى عن حمل الأسفار ١/ ١٩٨.

(٢) العلل المتناهية ١/ ٤٥٨.

(٣) تنزيه الشريعة ٢/ ٨٧، واللآلىء ٢/ ٢٨.

(٤) كنز العمال (٢٦٨٣).

(فصل) وأما الركعتان قبل صلاة المغرب:

فقد سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال: أما أنا فلا أفعلهما، وإن فعلهما رجل لم يكن به بأس.

وسئل ابن عمر رضى الله عنهما عن صلاتهما فقال . ما رأيت أحدًا على عهد رسول الله ﷺ يصليهما ولم ينه ابن عمر عنهما.

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «كنا نصلى على عهد رسول الله ﷺ بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب ركعتين، فقلت له: هل كان رسول الله ﷺ صلاهما، فقال: قد كان رسول الله ﷺ يرانا نصليهما فلا يأمرنا ولا ينهانا»[1].

وقال إبراهيم النخعى رحمه الله: قد كان بالكوفة خيار أصحاب رسول الله ﷺ على ابن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وأبو مسعود الأنصارى وغيرهم رضى الله عنهم، فما رأيت أحدًا منهم يصلى قبل المغرب، وما صلى هاتين الركعتين أبو بكر ولا عمر ولا عثمان رضى الله عنهم.

(فصل آخر)
فى ذكر ما ورد فعله بين العشاءين
ورؤية فاعله للنبى ﷺ ببركة فعله ذلك فى المنام وغير ذلك من الثواب

عن عبد الرحمن بن حبيب الحارثى البصرى، عن سعيد بن سعد بن أبى طيبة كرز ابن وبرة الحارثى رحمه الله، وكان من الأبدال، قال: أتانى أخ لى من أهل الشام فأهدى لى هدية وقال لى: أقبل منى هذه الهدية يا كرز فإنها نعم الهدية، قال: فقلت: يا أخى ومن أهدى إليك هذه الهدية؟ قال: أعطانيها إبراهيم التيمى رحمه الله تعالى، قال: فقلت: فهل سألت إبراهيم من أعطاه هذه العطية، قال: بلى.

قال لى: كنت جالسًا فى قبالة الكعبة وأنا فى التهليل والتسبيح والتحميد، فجاءنى رجل فسلم على وجلس عن يمينى، فلم أر فى زمانى أحسن منه وجهًا ولا أحسن منه ثيابًا ولا أطيب منه ريحًا ولا أشد منه بياضًا، فقلت: يا عبد الله من أنت ومن أين جئت وما أنت ؟ فقال: أنا الخضر جئت للسلام عليك وحبًا لك فى الله، وعندى هدية

(١) المشكاة (١١٧٩).

أريد أن أهديها إليك، فقلت له: فأعلمنى هديتك هذه ما هى؟.

فقال الخضر عليه السلام: تقرأ قبل أن تطلع الشمس وتبسط على الأرض وقبل أن تغرب سورة ﴿الحمد...﴾ سبع مرات، و ﴿قل أعوذ برب الناس...﴾ سبع مرات، و ﴿قل أعوذ برب الفلق...﴾ سبع مرات، و ﴿قل هو الله أحد...﴾ سبع مرات، و ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾ سبع مرات، وآية الكرسى سبع مرات، وتقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر سبع مرات، وتصلى على النبى ﷺ سبع مرات، وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبع مرات، وعقيب الاستغفار: اللهم رب افعل بى وبهم عاجلاً وآجلاً فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفور حليم جواد كريم بر رؤوف رحيم سبع مرات، وانظر ألا تدع ذلك غدوة وعشيًا، فإن الذى أعطانيها قال لى: قلها مرة واحدة فى دهرك.

فقلت: أحب أن تعرفنى من أعطاك هذه الهدية؟ قال أعطانيها محمد ﷺ، قال: فقلت للخضر عليه السلام: علمنى شيئًا إن قلته رأيت النبى ﷺ فى منامى فأسأله أهو أعطاك هذه العطية؟ فقال لى: أمتهم أنت لى؟ قلت: لا، ولكنى أحب أن أسمع ذلك من رسول الله ﷺ.

فقال لى: إن كنت تريد أن ترى النبى ﷺ فى منامك، فاعلم أنك إذا صليت المغرب تقوم تصلى إلى العشاء الآخرة من غير أن تكلم أحدًا من الآدميين، وأقبل على صلاتك التى أنت فيها، وتسلم فى كل ركعتين، واقرأ فى كل سورة ﴿الحمد...﴾ مرة، و ﴿قل هو الله أحد...﴾ سبع مرات، ثم تصلى صلاة العتمة فى جماعة، ولا تكلمن أحدًا حتى تأتى منزلك، وتصلى الوتر، وتصلى عند نومك ركعتين، تقرأ فى كل ركعة سورة ﴿الحمد...﴾ و ﴿قل هو الله أحد...﴾ سبع مرات، ثم اسجد بعد الصلاة، واستغفر الله تعالى فى سجودك سبع مرات، وقل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبع مرات، ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسًا، وارفع يديك وقل: يا حى يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا إله الأولين والآخرين، ويا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، يا رب يا رب يا رب، يا الله يا الله يا الله، ثم قم فادع بمثل ما دعوت فى قيامك، ثم اسجد وادع فى سجودك مثل ما

دعوت، ثم ارفع رأسك ونم حيث شئت مستقبل القبلة وأنت تصلى على النبى ﷺ وأدم حتى يغلبك النوم.

فقلت له: أحب أن تعلمنى ممن سمعت هذا الدعاء، فقال: أمتهم أنت لى؟ فقلت: والذى بعث محمداً ﷺ بالحق نبيًا ما أنا بمتهم لك.

فقال عليه السلام: إنى حضرت محمداً ﷺ حيث علم هذا الدعاء، وأوحى إليه به وكنت عنده، فتعلمته ممن علمه إياه.

قال إبراهيم: فقلت له: أخبرنى بثواب هذا الدعاء.

فقال لى الخضر عليه السلام: إذا لقيت محمداً ﷺ فاسأله عن ثوابه.

قال إبراهيم، ففعلت ما قال لى الخضر عليه السلام، ولم أزل أصلى على النبى ﷺ وأنا فى فراشى، فذهب عنى النوم من شدة الفرح بما علمنى الخضر عليه السلام وبما رجوته من لقاء النبى ﷺ، وأصبحت على تلك الحال إلى أن صليت الفجر، وجلست فى محرابى إلى أن ارتفع النهار، فصليت الضحى وأنا أحدث نفسى: إن عشت الليلة فعلت كما فعلت فى الليلة الماضية، فغلبنى النوم، فجاءتنى الملائكة فحملونى فأدخلونى الجنة، فرأيت قصوراً من الياقوت الأحمر، وقصوراً من زمرد أخضر، وقصوراً من لؤلؤ أبيض، ورأيت أنهاراً من عسل ولبن وخمر، ورأيت فى قصر منها جارية أشرفت على فرأيت صورة وجهها أشد من نور الشمس الصاحية، وإذا لها ذوائب قد سقطت على الأرض من أعلى القصر، فسألت الملائكة الذين أدخلونى: لمن هذا القصر ولمن هذه الجارية؟ فقالوا: للذى يعمل مثل عملك، فلم يخرجونى من تلك الجنان حتى أطعمونى من ثمرها وسقونى من ذلك الشراب، ثم أخرجونى وردونى إلى الموضع الذى كنت فيه، فأتانى رسول الله ﷺ ومعه سبعون نبيًا وسبعون صفًا من الملائكة، كل صف ما بين المشرق والمغرب، فسلم على وأخذ بيدى، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، إن الخضر أخبرنى أنه سمع منك هذا الحديث، فقال النبى ﷺ: صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق، وهو عالم أهل الأرض، وهو رئيس الأبدال، وهو من جنود الله فى الأرض، فقلت: يا رسول الله ما لمن يعمل هذا العمل من الثواب سوى ما رأيت؟ فقال ﷺ لى: وأى ثواب يكون أفضل من هذا الذى رأيت وأعطيت، لقد رأيت موضعك من الجنة وأكلت من ثمارها وشربت من شرابها، ورأيت الملائكة والأنبياء

معى، ورأيت الحور العين، فقلت: يا رسول الله فمن يعمل مثل ما عملت ولم ير مثل الذى رأيت فى منامنى، هل يعطى شيئًا مما أعطيته فقال النبى ﷺ: والذى بعثنى بالحق نبيًا، إنه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها، ويرفع الله عنه غضبه ومقته، والذى بعثنى بالحق نبيًا إنه ليعطى العامل لهذا، وإن لم ير الجنة فى منامه مثل ما أعطيت، وإن مناديًا ينادى من السماء: إن الله قد غفر لعامله ولجميع أمته ﷺ من المؤمنين والمؤمنات من المشرق والمغرب ويؤمر صاحب الشمال ألا يكتب على أحد منهم شيئًا من السيئات إلى السنة المقبلة، قال: فقلت له: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، بالذى أرانى جمالك وأرانى الجنة، أله هذا الثواب والفضل، قال ﷺ: نعم يعطى ذلك جميعًا، فقلت: يا رسول الله إنه ينبغى لجميع المؤمنين والمؤمنات أن يتعلموا هذا الدعاء ويعلموه، لما فيه من الثواب والفضل، فقال النبى ﷺ:والذى بعثنى بالحق نبيًا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدًا، ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيًا، فقلت: يا رسول الله فهل يعطى عامل هذا شيئًا غير هذا ؟ فقال النبى ﷺ: والذى بعثنى بالحق نبيًا إن من عمل هذا العمل ليلة واحدة كتبت له بكل قطرة نزلت من السماء منذ خلق الله الدنيا إلى يوم ينفخ فى الصور حسنات، ويمحى عنه بعدد كل حبة تنبت من الأرض سيئات له ولمن عمل به من المؤمنين والمؤمنات من الأولين والآخرين»[1].

وعن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى، وخمسة عشرة مرة ﴿قل هو الله أحد...﴾، ويقول فى آخر صلاته ألف مرة: اللهم صل على محمد النبى الأمى، فإنه يرانى فى ليلته، ولا تتم له الجمعة الأخرى، إلا وقد رآنى، ومن رآنى فله الجنة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» ذكرها فى الحديث[2].

* * *

(فصل: فى ذكر الصلاة بعد العشاء الآخرة)

من ذلك ما حدثنا به أبو نصر عن والده، بإسناده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « من صلى أربعًا بعد العشاء الآخرة كان كمن أدرك ليلة القدر فى

(١) لا يشك أحد فى وضعه.

(٢) الموضوعات ٢/١٣٧، وقال: هذا حديث لا يصح وفيه جماعة مجهولون

المسجد الحرام»[١].

وكذلك عن كعب الأحبار «من صلى بعد العشاء الآخرة أربع ركعات بقراءة حسنة، كان له من الأجر مثل ليلة القدر» يعنى كأنما صلاها فى ليلة القدر.

وأخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن ثابت البنانى، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ركعتين بعد العشاء الآخرة يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب، وعشرين مرة ﴿قل هو الله أحد...﴾، بنى الله له قصرين فى الجنة يتراءهما أهل الجنة»[٢].

(فصل) وأما الوتر فالأفضل فيه آخر الليل.

لما تقدم من فضل قيام آخر الليل.

وما روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «إن رجلاً سأله عن قيام الليل فقال: مثنى مثنى، فإذا خشيت الصبح فواحدة توتر لك ما قبلها»[٣].

وكان عمر الفاروق رضى الله عنه يوتر فى آخر الليل، وأبو بكر الصدّيق رضى الله عنه يوتر فى أول الليل، فسألهما النبى ﷺ، فقال لأبى بكر رضى الله عنه: «متى توتر؟ فقال: أول الليل قبل أن أنام، وقال لعمر رضى الله عنه: متى توتر؟ فقال: من آخر الليل، فقال ﷺ عن أبى بكر رضى الله عنه: حذر هذا، وقال عن عمر رضى الله عنه: قوى هذا»[٤].

وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: إن الأكياس يوترون أول الليل، وإن الأقوياء يوترون آخر الليل وهو أفضل.

وقيل: بل أول الليل أفضل لفعل أبى بكر رضى الله عنه، وما روى عن عثمان رضى الله عنه أنه قال أما أنا فأوتر أول الليل، فإذا استيقظت صليت ركعة شفعت بها وترى، فما شبهتها إلا بالغريبة من الإبل ضممتها إلى أخواتها، ثم أوترت فى آخر صلاتى.

(١) الإتحاف ٥/١٤٦، والتاريخ ١/١٣٢.
(٢) ابن عدى ٥/١٧٩٨.
(٣) البخارى ٢/ ٣٠، ومسلم فى: صلاة المسافرين. حديث (١٤٥)، وأحمد ٢/١٠٢
(٤) عبد الرزاق (٤٦١٥)، وشرح معانى الآثار ١/٣٤٢، وكنز العمال (٢١٩٣٣).

والمشهور عنه رضى الله عنه من فعله أنه كان يحيى الليل كله فى ركعة واحدة يختم فيها القرآن وهى وتره.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: أوصانى خليلى أبو القاسم ﷺ بثلاث: الوتر قبل النوم، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتى الضحى»[١]. ولا سيما فى حق من يخاف ألا يستيقظ إلا بعد طلوع الفجر، فإن الأولى أن ينام على وتر.

وقد قال على رضى الله عنه: الوتر على ثلاثة أنحاء: إن شئت أوترت أول الليل، ثم صليت ركعتين ركعتين، وإن شئت أوترت بركعة، فإن استيقظت شفعت إليها أخرى، ثم أوترت من آخر الليل، وإن شئت أخرت الوتر حتى يكون آخر صلاتك.

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «من خاف ألا يستيقظ من آخر الليل فليوتر من أول الليل ثم ليرقد، ومن طمع أن يقوم من آخر الليل، فإن قيام آخر الليل محظور، وذلك أفضل»[٢].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن، وإلاَّ اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال رضى الله عنه فيؤذنه بالصلاة»[٣].

وقالت عائشة رضى الله عنها: «من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أوله وأوسطه وانتهاء وتره إلى السحر»[٤].

وفى الخبر «كان رسول الله ﷺ يوتر عند الأذان، ويصلى الركعتين عند الإقامة»[٥].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يصلون العشاء، ثم يصلون ركعتين، ثم أربعًا، فمن بدا له أن يوتر أوتر، ومن أراد أن ينام نام.

(فصل) ومن أوتر أول الليل ثم قام إلى التهجد فهل يفسخ وتره أم يصلى ما يشاء من غير أن يفسخه على روايتين عن أحمد رحمه الله: أحدهما لا يفسخه، وقال فى

---

(١) أحمد ٢/ ٢٣٣ و ٢٥٨

(٢) مسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٦٢)، والبيهقى ٣/ ٣٥.

(٣) الإتحاف ٥/ ٢٠١

(٤) البخارى فى: الوتر: ب (٢)، ومسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٣٦)، وأحمد ١/ ٨٥ و ٨٦

(٥) أحمد ١/ ٨٧ و ١١١، وكنز العمال (٢١٨٨٦).

رواية الفضل بن زياد: الوتر آخر الليل أفضل، فإن خاف رجل أن ينام فليوتر أول الليل، فإن قام آخر الليل صلى ركعتين ولم يوتر، والرواية الأخرى: ينقضه.

قال الفضل بن زياد: قلت لأحمد: أفتراه ينقض وتره؟ قال: لا، وإن نقضه فلا بأس، قد فعل ذلك عمر وعلى وأسامة وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهم.

وصفة نقض الوتر وفسخه، أنه إذا أوتر أول الليل بواحدة، ونام ثم قام فى أثناء الليل ليصلى، صلى ركعة واحدة ينوى بها نقض وتره وإشفاعه وسلم منها، فيصير كل ما صلى من قبل شفعًا، ثم يصلى ما شاء مثنى مثنى، ثم يوتر بركعة واحدة قبل طلوع الفجر.

ويكشف ذلك فعل عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى قدمنا ذكره، ولا يترك الوتر الأول على حاله، ثم يوتر مرة أخرى لأن النبى ﷺ قال: «لا وتران فى ليلة»[1] وإن لم ينقضه وصلى ما أراد، فقد بيّنا جواز ذلك.

(فصل: فى دعاء الوتر)

وهو أن يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الوتر:

«اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، ونثنى عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك.

اللهم إياك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق.

اللهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، إنك تقضى ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت»[2].

«اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[3].

(١) أبو داود (١٤٣٩)، والترمذى (٤٧)، والنسائى ٣/ ٢٣٠، وأحمد ٤/ ٢٣.
(٢) أبو داود فى: الوتر: ب (٥)، والنسائى فى: قيام الليل: ب (٥١)، وأحمد ١/ ١٩٩ - ٢٠
(٣) أبو داود (١٤٣٣)، والترمذى (٣٥٦٦)، والنسائى ٣/ ٢٤٩، وأحمد ١/ ٩٦

وإن زاد على ذلك جاز، ثم يمر يده على وجهه فى إحدى الروايتين، والأخرى يمرها على صدره، فإن كان إمامًا فى شهر رمضان قال فى جميعها: بالنون والألف اهدنا وعافنا... إلى آخر الدعاء.

(فصل) وإذا كان ممن يصلى بالليل وغلبه النعاس، فالأولى له أن ينام.

لما روى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا نعس أحدكم وهو فى الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإنه إذا صلى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر فيسب نفسه»(١).

وعن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضى الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هو لزينب تصلى، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به، فقال: حلوه، ثم قال ﷺ: يصلى أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر فليقعد»(٢).

وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها «أنها كانت عندها امرأة من بنى أسد، فدخل النبى ﷺ فقال: «من هذه؟ قالت: هذه فلانة لا تنام الليل، فقال النبى ﷺ: عليكم بالذى تطيقون من العمل، فوالله لا يمل الله عز وجل حتى تملوا»(٣).

قالت: وأحب العمل إلى الله تعالى الذى يداوم عليه صاحبه وإن قلّ، فإن رسول الله ﷺ كان إذا أمرهم بما يطيقون من العمل يقولون: يا رسول الله إنا لسنا كهيئتك، إن الله عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف فى وجهه، فالسنة فى حق من غلبه النوم حتى شغله عن الصلاة والذكر أن ينام حتى يذهب عنه ثقل النوم، وينبسط للعبادة ويعقل ما يقول.

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يكره النوم قاعدًا.

وفى الخبر: «لا تكابدوا الليل»(٤).

وقد كان من الصالحين من يمهد لنفسه النوم ليتقوى بذلك على أوسط الليل، ومنهم

(١) الترمذى (٣٥٥)، وأحمد ٦/ ٢٠٢، وشرح السنة ٤/ ٥٧.
(٢) البخارى ٢/ ٦٧، ومسلم فى. صلاة المسافرين. حديث (٢١٩)، وأحمد ٣/ ١٠١
(٣) مسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (٢٢١)، وأحمد ٦/ ٢٢.
(٤) الإتحاف ٥/ ١٦٠، وكنز العمال (٥٤١٤)، والمغنى عن حمل الأسفار ١/ ٣٤٩

من كره التعمد للنوم وكان لا ينام حتى يغلبه النوم.

ويقال: إن وهب بن منبه اليمانى رحمه الله ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة، كانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع إلى القيام.

وكان يقول: لأن أرى فى بيتى شيطانًا أحب إلى من أن أرى فيه وسادة، يعنى لأنها تدعو إلى النوم.

وسئل بعضهم عن وصف الأبدال فقال: أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وصمتهم حكمة وعلمهم قدرة.

وسئل بعضهم عن صفة الخائفين فقال: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الفرقى.

ولا ينظر إلى أحوال الصالحين، بل إلى ما روى عن الرسول ﷺ، والاعتماد عليه حتى يدخل العبد فى حالة ينفرد بها عن غيره.

وعن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت: «سئل رسول الله ﷺ: أى العمل أفضل؟ قال: أدومه وإن قلّ»(١).

وعن علقمة عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كانت صلاة رسول الله ﷺ دائمة»، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقوم ليلة نصف الليل، وليلة ثلثه، وليلة نصف الليل مع نصف سدسه، ويقوم ليلة ربعه فقط، ويقوم سدس الليل فحسب، وكل ذلك مذكور فى سورة المزمل.

وروى عنه ﷺ أنه قال: «صل من الليل ولو قدر حلب شاة»(٢).

وقد يكون ذلك قدر أربع ركعات، وقد يكون قدر ركعتين.

وقال ﷺ: «ركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل خير من الدنيا وما فيها، ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم»(٣).

كل ذلك ليسهل على أمته قيام الليل والعبادة، ولا يشقل عليهم، وتبغض العبادة إليهم فيسأموا، بل أرشدهم ﷺ لقيام الليل وذكر فضله وثوابه لئلا يقتصروا على

(١) أحمد ٦/ ١٨٠.

(٢) المغنى عن حمل الأسفار ١/٣٦٦.

(٣) سبق تخريجه.

الفرائض والسنن خاصة.

ويستحب من قيام الليل ثلثه، وأقل الاستحباب من القيام سدسه، لأن النبى ﷺ لم يقم ليلة قط حتى أصبح، بل كـان ينام فيها، ولم ينم ليلة حتى يصـبح، بل كان يقوم فيها على ما بيّناه.

وقـيل: إن صلاة أول الليل للمـتـهجـدين، وقـيـام أوسطه للقـانتين، وقـيـام آخـره لـلمصلين، والقيام من الفجر للغافلين.

وعن يوسف بن مهـران أنه قال: بلغنى أن تحت العرش مـلكًا فى صورة ديك براثنه من لؤلؤ، وصيـصته من زبرجـد أخضر، فـإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحـيه ورقًا وقال: ليـقم القائمون، فإذا مـضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقًا وقـال: ليقم المتهجدون، فـإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقًا وقال: ليـقم القانتون، فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقًا وقال: ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم.

وقال بعض العـارفين: إن الله تعالـى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتـيقظين فـيملؤها أنوارًا، فتـرد الفوائد على قلوبـهم فتسـتنير، ثم تنتـشر من قلوبهم العـوافى إلى قلوب الغافلين.

وروى أن الله تعالى أوحى إلـى بعض الصدّيقين إن لـى عبادًا من عـبادى يحـبوننى وأحبهم، ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم، ويذكروننى وأذكرهم، وينظرون إلى وأنظر إليهم فإن حذوت طريقـهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مـقتك، فقال: يا رب وما عـلامتهم؟ قال: يـراعون الظلال بالنهـار كمـا يراعى الراعى الشفـيق غنمه، ويحنون إلـى غروب الشمس كـما تحن الطير إلى أوكـارها عند الغروب، فإذا جنّهم الـليل واختلط الظلام، وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبـيبه، نصبوا إلىّ أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم، فناجـونى بكلامى، وتملقونى بإنعامـى، فبين صارخ وباك، وبين مـتأوه وشاك، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، بعينى ما يتحملون من أجلى، وبسمعى ما يشكون من حبى، أول مـا أعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم، فيخبـرون عنى كما أخبر عنهم، والثانية لو كانت السموات السبع والأرض وما فيها فى موازينهم لاستقللتها لهم، والثالثة أقبل بوجهى الكريم عليهم فترى من أقبلت بوجهى الكريم عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه.

(فصل) وأما قيام الليل، فعمل الأقوياء الذين سبقت لهم منه العناية، وأديمت لهم الرعاية، وأحيط على قلوبهم بالتوفيق ونور الجلال ثم الجمال، فجعل القيام بالليل لهم موهبة وخلعة، فلم يسلبه عنهم مولاهم عز وجل حتى اللقاء.

وقد روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان يحيى الليل بركعة واحدة يختم فيها القرآن وقدمنا ذكره.

وذكر عن أربعين رجلاً من التابعين أنهم كانوا يحيون الليل كله، ويصلون صلاة الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة، صح النقل عنهم واشتهر، منهم سعيد بن جبير، وصفوان بن سليم، وأبو حازم، ومحمد بن المنكدر من أهل المدينة، وفضيل بن عياض، ووهب بن الورد من أهل مكة، وطاوس، ووهب بن منبه من أهل اليمن، والربيع بن خيثم، والحكم من أهل الكوفة، وأبو سليمان الدارانى، وعلى بن بكار من أهل الشام، وأبو عبد الله الخواص، وأبو عاصم من أهل عبادان، وحبيب أبو محمد، وأبو جائز السليمانى من أهل فارس، ومالك بن دينار، وسليمان التيمى، ويزيد الرقاشى، وحبيب بن أبى ثابت، ويحيى البكاء من أهل البصرة، وغيرهم ممن يطول ذكرهم، رحمة الله عليهم ورضوانه.

(فصل) ومن استكملت غفلته، وأحاطت به خطيئاته، وقيدته وثبطته عن قيام الليل زلته وذنوبه، وأحب قيامه والدخول فى زمرة القانتين المستغفرين بالأسحار، فليستغفر الله تعالى ثلاثًا عند نومه واضطجاعه، ثم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ثم يقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف، وعشرًا من آخرها، ويقرأ. ﴿آمن الرسول...﴾، و ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾، فإن الله تعالى يوقظه ويؤهله لقيام الليل بنعمته الواسعة، ومغفرته الشاملة، ورعايته العامة للمؤمنين من عباده.

وليقل أيضًا: اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك، واستعملنى بأحب الأعمال لديك، التى تقربنى إليك زلفى، وتبعدنى من سخطك بعدًا، أسألك فتعطينى، وأستغفرك فتغفر لى، وأدعوك فتستجيب لى، اللهم لا تؤمنى مكرك، ولا تولنى غيرك، ولا ترفع عنى سترك، ولا تنسنى ذكرك، ولا تجعلنى من الغافلين، فإنه قيل. من قال هذه الكلمات عند نومه أهبط الله عز وجل له ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة، فإن صلى ودعا أمنوا على دعائه، وإن لم يقم تعبد الأملاك فى الهواء، وكتب له ثواب عبادتهم.

وليقل أيضًا ما نقل عـن النبى ﷺ أنه قال: «من سره أن يستيـقظ بالليل فليقل عند اضطجاعـه: اللهم ابعثنى من مضـجعى لذكرك وشكرك وصـلاتك واستغـفارك وتلاوة كتـابك وحسن عـبادتك، ثم ليسبّح ثلاثًا وثلاثين مرة، وليـحمد ثـلاثًا وثلاثين مرة، وليكبّر أربعًا وثلاثين مرة».

وإن أحب أن يقول خمسًا وعشرين مـرة، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فهو أخف عليه، ومجموعها مائة، إجزاء عن الأول.

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خـده على يده اليمنى، وهو يـرى أنه ميت فى ليلتـه تلك: اللهم رب السـموات السـبع ورب العـرش العظيم، ربنا ورب كل شىء، منـزل التوراة والإنجـيل والفرقـان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شـر كل شىء أنت آخذ بناصيـته، اللهم أنت الأول فليس قـبلك شىء، وأنت الآخـر فليس بـعدك شىء، وأنـت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء، اقض عنى الدين، وأغننى من الفقر».

(فصل) ومن أنعم عليه بقيام الليل وفعل شىء من النوافل، فليجتهد فى المداومة عليه مع القدرة وعدم العذر.

لما روى عن عائشـة رضى الله عنها، عن النبى ﷺ أنه قال: «مـن عبد الله سبـحانه عبادة ثم تركها ملالة مقته الله تعالى»[١].

وقالت عائشة رضى الله عنها: «كـان رسول الله ﷺ إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة، صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة»[٢].

وفى الخبر «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»[٣].

(فصل) ويستحب لمن قام من الليل للتهجد أن يقول:

«الحمد لله الذى أحيانى بعدما توفانى وإليه النشور»[٤].

ويقرأ العشر من آخر آل عمران، ثم يستاك ويـتوضأ، ثم يقول: سبحانك وبحمدك،

(١) الإتحاف ٣/ ٤٦٢، والمغنى ١/ ٢٠٦.

(٢) مسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٣٩)، وعبد الرزاق (٤٧١٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) البخارى ٨/ ٨٥، ومسلم فى الذكر والدعاء: حديث (٥٩)، وأحمد ٤/ ٢٩٤.

لا إله إلا أنت أستغفرك وأسألك التوبة، فاغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم اجعلنى من التوابين، واجعلنى من المتطهرين، واجعلنى صبورًا شكورًا، واجعلنى ممن يذكرك كثيرًا ويسبّحك بكرة وأصيلاً، ثم يرفع رأسه إلى السماء ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، أنا عبدك وابن عبدك، ناصيتى بيدك، جار فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك، هذه يداى بما كسبت، وهذه نفسى بما اجترحت، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، عملت سوءًا وظلمت نفسى، فاغفر لى ذنبى العظيم، إنك أنت ربى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ولا إله إلا أنت يا الله.

فإذا قام إلى الصلاة متوجهًا فليقل: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، ثم ليسبّح عشرًا، وليحمد عشرًا، وليهلل عشرًا، وليكبر عشرًا، وليقل: الله أكبر ذو الملكوت والجبروت، والكبرياء والعظمة، والجلال والقدرة، وإن شاء أن يقول هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله ﷺ فى قيامه للتهجد وهى: اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض، ولك الحمد أنت زين السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن، أنت الحق، ومنك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم اهدنى لأحسن الأعمال، فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلاَّ أنت، أسألك مسألة البائس المسكين، وأدعوك دعاء المفتقر الذليل، فلا تجعلنى بدعائك رب شقيًا، وكن بى رؤوفًا رحيمًا يا خير المسؤولين وأكرم المعطين.

وأخبرنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن يحيى بن أبى كثير، قال: حدثنى أبو سلمة ابن عبد الرحمن، قال: سألت عائشة رضى الله عنها، بأى شىء كان يكبّر ويفتح النبى ﷺ صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان يكبّر ويفتح فيقول: اللهم رب جبريل

وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»[١].

(فصل) ويستحب إذا قام لصلاة الليل أن يفتح صلاته بركعتين خفيفتين، ولا يتناول شيئًا من الطعام والشراب حتى يفرغ مما أنعم الله عليه من فعل الصلاة والتسبيح، لأنه إذا استيقظ من نومه يكون خامى القلب فارغ الهم، فإذا أكل أو شرب تغير قلبه عن هيئته وأظلم، فالأولى له أن يؤخر ذلك، إلا أن يكون قد نام جائعًا وأفرطه الجوع، أو يخاف من جوع النهار فى شهر رمضان، ويخاف طلوع الفجر، فإن المستحب تقديم الأكل.

(فصل) ويستحب ألا ينام حتى يقرأ ثلثمائة آية ليدخل فى زمرة العابدين، ولم يكتب من الغافلين، فليقرأ سورة الفرقان والشعراء، فإن فيهما ثلثمائة آية، وإن لم يحسنهما قرأ سورة الواقعة ونون والحاقة وسورة الواقع، أى سأل سائل، والمدثر، فإن لم يحسنهن فليقرأ سورة الطارق إلى خاتمة القرآن، فإنها ثلثمائة آية، فإن قرأ مقدار ألف آية كان أحسن وأكمل للفضل، وكتب له قنطار من الأجر، وكتب من القانتين، وذلك من سورة تبارك الذى بيده الملك إلى خاتمة القرآن: فإن لم يحسنها فليقرأ مائتين وخمسين مرة قل هو الله أحد بالبسملة، فإن مجموعها ألف آية.

وينبغى له ألا يدع قراءة أربع سور فى كل ليلة: الم تنزيل، وسورة يس، وحم الدخان، وتبارك، وإن قرأ معها سورة الزمر والواقعة كان أحسن.

وكان النبى ﷺ لا ينام حتى يقرأ السجدة وتبارك الملك[٢]، وفى خبر آخر: بنى إسرائيل والزمر[٣]، وفى خبر آخر: المسبحات[٤]، ويقال: فيها آية أفضل من ألف آية.

(فصل) والذى يستعان به على قيام الليل أشياء:

منها أكل الحلال، والاستقامة على التوبة رغم خوف الوعيد، وشوق رجاء الموعود، ومنها أنه يجتنب أكل الشبهات والإصرار على الذنوب، ويدفع غلبة هم الدنيا وجهًا عن

(١) مسلم فى. صلاة المسافرين: حديث (٢٠٠)، وابو داود فى: الاستفتاح. ب (٦)، والترمذى (٣٤٢)، وأحمد ٦/ ٦١

(٢) أحمد ٣/ ٣٤٠، وابن أبى شيبة ١٠/ ٤٢٤، والصحيحة (٥٨٥).

(٣) الترمذى (٣٤٠٥)، والصحيحة (٦٤١).

(٤) الترمذى (٣٤٠٦).

القلب بذكر الموت، والتفكير فى المعاد، وما يلقى بعد الموت.

وقال رجل للحسن رحمه الله: يا أبا سعيد إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك.

وقال الثورى رحمه الله: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته، قيل: وما هو؟ قال: رأيت رجلاً يبكى، فقلت فى نفسى: هذا مراء.

وكان الحسن رحمه الله يقول: إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار.

وقيل: كم من أكلة منعت قيام ليلة، وكم من نظرة حرمت قراءة سورة، وإن العبد ليأكل الأكلة، أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام السنة، فبحسن التفقد يعرف المزيد من النقصان، وبقلة الذنوب يوقف على التفقد.

وقال أبو سليمان رحمه الله تعالى: لا يفوت أحدًا صلاة جماعة إلا بذنب، وكان يقول: الاحتلام بالليل عقوبة، والجنابة البعد.

ومنها: قلة الطعام والشرب، وخلو المعدة منها، لما روى عون بن عبد الله رحمه الله أنه قال: كان فى بنى إسرائيل ناس يتعبدون، فكان إذا كان فطرهم قام عليهم قائم فقال: لا تأكلوا كثيرًا، فإنكم إذا أكلتم كثيرًا نمتم كثيرًا وإذا نمتم كثيرًا صليتم قليلاً.

وقيل: إن كثرة النوم من كثرة شرب الماء.

وقيل: إنه اتفق رأى سبعين صدّيقًا وهم يقولون: إن كثرة النوم من كثرة شرب الماء.

ومنها: أنه يلزم قلبه الهم والغم والحزن ويقظة دائمة، فيحيى بها القلب، ويديم الفكر فى الملكوت، ويقيل فى النهار، ولا يكثر تعب جوارحه فى أمور الدنيا، فإن اختار أن يقوم أول الليل حتى يغلبه النوم، ثم ينام ثم يقوم متى استيقظ، ثم ينام متى غلبه النوم ثم يقوم آخر الليل، فيكون له فى الليل قومتان ونومتان، فيكابد الليل فهو من أشد الأعمال وهى حالة أهل الحضور واليقظة والفكر والتذكر، وقيل: إنها من أخلاق رسول الله ﷺ، وقد يكون للعابد فى الليل قومات ونومات فى تضاعيف ذلك، وإما أن يكون القيام والنوم موزونًا عدلاً فلا يكون ذلك إلا للنبى ﷺ، فيكون قلبه دائم اليقظة، ووحى من الله سبحانه يؤمر به وينهى ويوقظ وينوم ويقلب ويحرك، خاص له ذلك دون بقية الخلق.

(فصل) ويستحب لمن قام الليل أن ينام آخره لوجهين:

أحدهما: أنه يذهب النعاس بالغداة، والنوم بالغداة مكروه، ولهذا كانوا يأمرون الناعس بالنوم بعد صلاة الصبح، ويمنعون قبلها، وقد ورد أن رسول الله ﷺ كانت له هجعة بعد صلاة الفجر.

والوجه الثانى: أن نوم آخر الليل يذهب صفرة الوجه، وإذا كابد نومه ولم ينم بقيت الصفرة بحالها.

وينبغى أن يتقى ذلك لأنه باب غامض، وهو من الشهوة الخفية والشرك الخفى؛ لأنه يشار إليه بالأصابع، ويتوهم فيه الصلاح والسهر والصوم والخوف من الله عز وجل لأجل تلك الصفرة التى فى وجهه، نعوذ بالله من الشرك الخفى والرياء، وكل أمارة تدل عليهما.

وينبغى أن يقلل شرب الماء بالليل لما قدمنا من أنه يجلب النوم، ولأنه تكون منه صفرة الوجه، سيما فى آخر الليل، وعند الانتباه من النوم، وفى الخبر «كان النبى ﷺ إذا أوتر من آخر الليل اضطجع على شقه الأيمن ضجعة حتى يأتيه بلال رضى الله عنه فيخرج معه إلى الصلاة».

وقد كان السلف يستحبون هذه الضجعة بعد الوتر، وقبل صلاة الصبح حتى جعلها بعضهم سنة، وهو أبو هريرة رضى الله عنه ومن تابعه فى ذلك.

وإنما استحبوا ذلك لأنه مزيد لأهل المشاهدة والحضور، لأنهم يكشف لهم عن الملكوت ويضىء لهم أنواع العلوم من الجبروت، ويلقنون غرائب الحكم والعلوم، ويطلعون على ما غاب عنهم من الأقسام والحظوظ، وما أعدها لهم رب الخليقة علام الغيوب، وفى حق العمال وأهل المجاهدة راحة وسكون، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، ليستريح فيها أهل أوراد الليل والنهار.

وكذلك يستحب أن يفصل فى تضاعيف صلاة الليل بجلوس يسبّح فيه مائة تسبيحة، ليكون عونًا على الصلاة، ولتسكن الجوارح، وتزول سآمة النفس للقيام، ويحبب إليها التهجد والصلاة، وهو داخل تحت قوله عز وجل: ﴿ومن الليل فسبّحه وأدبار النجوم﴾ [الطور ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وأدبار السجود﴾ [ق ٤] أى أعقاب الصلاة.

(فصل) فإن فاته قيام الليل بنوم أو شغل، فإن قضاه ما بين طلوع الشمس إلى زوالها كان كمن صلاه فى وقته من الليل.

لما حدثنا به أبو نصر عن والده، بإسناده عن عبد الله بن غنم قال: حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أربع ركعات قبل الظهر بعد الزوال يحسبن بمثلهن من السحر»[1].

وفى لفظ آخر عن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من نام عن حزبه من الليل أو نسيه فقرأه من صلاة الفجر إلى صلاة الظهر، فكأنما قرأه فى ليله»[2].

وعن بعض السلف أنه قال: اجتمع رأى آل محمد ﷺ أن من صلى وقرأ ورده الذى فاته من الليل قبل الزوال كان كمن صلاه فى الليل، وإن لم يقدر على ذلك فيقضيه ما بين الظهر والعصر، قال الله تعالى: ﴿**هو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً**﴾ [الفرقان ٦٢] أى جعلهما خلفتين يتعاقبان فى الفضل، فيحلف أحدهما الآخر.

(فصل) فقد تحصل من هذه الجملة أن أوراد الليل خمسة:

أحدها: ما بين العشاءين.

والثانى: ما بعد العشاء الأخيرة إلى وقت منامه.

والثالث: جوف الليل.

والرابع: الثلث الأخير.

والخامس: وهو السحر الأخير إلى طلوع الفجر الثانى وهو القراءة والاستغفار وللتفكر والاعتبار دون الصلاة، لأنه لا يؤمن أن تصادف صلاته طلوع الفجر، وهو الوقت المنهى عن الصلاة فيه، ولذا قال ﷺ: «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشيت الفجر فأوتر بركعة توتر لك ما قبلها»[3].

اللهم إلا أن يكون قد نام عن وتره ووِرده، فإنه يصليها هذه الساعة على ما تقدم بيانه فى فصل فعل الوتر.

---

(١) ابن أبى شيبة ٢/١٩٩، والإتحاف ٣/٣٣٧.

(٢) مسلم فى. صلاة المسافرين: حديث (١٤٢)، وأبو داود (١٣١٣)، والترمذى (٥٨١)

(٣) سبق تخريجه.

فصول أوراد النهار

(فصل) وأما أوراد النهار فخمسة أيضًا:

أحدها: من وقت طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس.

والثانى: صلاة الضحى وما كان فى معناها إلى الزوال.

والثالث: أربع ركعات بعد الزوال بقراءة حسنة وسلام واحد.

وقيل: إن أبواب السماء تفتح لها.

والرابع: ما بين الظهر والعصر.

والخامس: بعد العصر إلى الغروب.

(فصل) وأما الورد الأول من النهار:

فيستحب الجلوس من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، يذكر الله تعالى فيه إما بتلاوة القرآن أو تسبيح أو تفكر أو تذكر أو تعليم أو جلوس إلى عالم، وكذلك بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، لأنهما وقتان نهى عن التنفل بالصلاة فيهما، لما أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده، قال: أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد بن شاذان، قال: أخبرنا أبو على إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الخطى، قال: حدثنا محمد بن يعقوب، قال: حدثنا هدبة بن خالد القيسى، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن على ابن زيد، عن الشعبى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لأن أقعد مع قوم أذكر الله تعالى من صلاة الفجر حتى تطلع الشمس أكبّر وأهلل أحب إلىَّ من أن أعتق رقبتين، ولأن أذكر الله عز وجل من بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس أكبّر وأهلل أحب إلىَّ من أن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل»[١].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تناموا عن طلب أرزاقكم» قيل: يا أنس ما معنى قول رسول الله ﷺ: لا تناموا عن طلب أرزاقكم؟ قال: فإذا صليتم الفجر، فقولوا ثلاثًا وثلاثين مرة الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر[٢].

(١) أحمد ٥/ ٢٥٥، وأبو داود (٣٦٦٧).

(٢) اللآلىء المصنوعة ٢/ ٨٧، والفوائد المجموعة (١٥٢).

وفي حديث آخر: يسبّح ثلاثًا وثلاثين مرة، ويحمد ثلاثًا وثلاثين مرة، ويكبّر أربعًا وثلاثين مرة، ويختمها بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير». هكذا يفعل بعد العصر وعند النوم.

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن عروة بن الزبير، عن أبيه رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، فقال رجل: يا رسول الله فمن لا يستطيع غزواً قال: من جلس حين يصلي المغرب يذكر الله تعالى حتى يصلي العشاء، كان مجلسه ذلك روحة في سبيل الله، ومن جلس حين يصلي الغداة يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس كانت مثل غدوة في سبيل الله»(١).

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في دبر صلاة الغداة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، عشر مرات إلا كتب الله له بهن عشر حسنات، ومحا عنه بهن عشر سيئات، ورفع له بهن عشر درجات، كن عدل عشر رقاب، ولا يضره يومئذ ذنب يصيبه إلا أن يكون شركًا.

وما من عبد أحسن الوضوء فغسل وجهه كما أمر الله تعالى، إلا حط الله عنه كل ذنب نظرت إليه عيناه، أو تكلم به لسانه، وما من عبد غسل يديه كما أمر الله عز وجل إلا حط الله عنه كل ذنب بطشت به يداه، وما من عبد مسح رأسه وأذنيه إلا حط الله عنه كل ذنب استمعت إليه أذناه، ثم غسل رجليه كما أمره الله تعالى، إلا حط الله عنه كل ذنب مشت به رجلاه إلى خطيئته حتى يقوم إلى صلاته، فتكون تلك الصلاة فضيلة، وما من عبد نام على ذكر طاهرًا، فأول ما ينتبه يدعو بدعوة إلاَّ كانت دعوته مستجابة، وما من عبد رمى بسهم في سبيل الله عز وجل فأصاب أو أخطأ إلا أعطى به تحرير رقبة، وما من عبد شاب شيبة في سبيل الله، إلا أعطى بها نورًا يوم القيامة، ومن أعتق رقبة كانت له فداء من نار جهنم، كل عضو بعضو».

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى الغداة في مسجده ثم جلس يذكر الله تعالى

(١) البخاري ٨/ ١٤٥، ومسلم في الإمارة حديث (١١٤ و ١١٥)، وأحمد ٣/ ٤٣٣

إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت حمد الله تعالى وقام فصلى ركعتين، أعطاه الله بكل ركعة ألف ألف قصر فى الجنة، فى كل قصر ألف ألف حوراء، مع كل حوراء ألف ألف خادم، وكان عند الله من الأوابين»(١).

وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الفجر لم يقم من مجلسه حتى تمكنه الصلاة، وقال ﷺ: «من صلى الصبح وجلس فى مجلسه حتى تمكنه الصلاة كانت بمنزلة حجة وعمرة متقبلتين»(٢) فكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا صلى الغداة جلس حتى تطلع الشمس، فقيل له: لم تفعل هذا؟ فقال: أريد به السنة.

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الفجر فى جماعة، ثم اعتكف إلى طلوع الشمس، ثم صلى أربع ركعات متواليات، يقرأ فى أول ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسى ثلاث مرات، و ﴿قل هو الله أحد...﴾ سبع مرات، وفى الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة، ﴿والشمس وضحاها...﴾، وفى الركعة الثالثة فاتحة الكتاب، ﴿والسماء والطارق...﴾، وفى الركعة الرابعة فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسى مرة، و ﴿قل هو الله أحد...﴾ ثلاث مرات، بعث الله تعالى إليه سبعين ملكًا، من كل سماء عشرة أملاك، معهم أطباق من أطباق الجنة، ومناديل من مناديل الجنة، فيحملون تلك الصلاة على تلك الأطباق، ثم يصعدون بها، فلا يمرون بقوم من الملائكة إلا استغفروا لصاحبها، فإذا وضعت بين يدى الجبار قال الله تعالى: عبدى لى صليت، وإياى عبدت، فاستأنف العمل فقد غفرت لك».

وهذه الصلاة هى تفسير ما روى عن النبى ﷺ عن ربه عز وجل قال: «يا ابن آدم صل لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره»(٣). وقد حمله بعضهم على صلاة الفجر فرضها ومسنونها، والصحيح ما ذكرنا.

* * *

(١) تذكرة الموضوعات (٤٧).

(٢) مجمع الزوائد ١٠/١٠٥، وعزاه إلى الطبرانى فى «الأوسط» من طريق المفضل بن موفق، وقال: وثقه ابن حبان وضعف حديث أبو حاتم الرازى، وبقية رجاله ثقات.

(٣) البيهقى ١/ ٤٦٤، وتذكرة الموضوعات (٤٧).

(فصل) وأما الورد الثاني: فصلاة الضحى.

وهي صلاة الأوابين، وهل يستحب المداومة عليها أم لا؟ على وجهين عند أصحابنا.

والأصل في ذلك ما حدثنا به أبو نصر عن والده، بإسناده عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال. «صلاة الضحى صلاة الأوابين»(١).

وبهذا الإسناد قال ﷺ: «صلاة الضحى أكثر صلاة داود عليه السلام»(٢).

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن بابًا من أبواب الجنة يقال له الضحى، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا يصلّون صلاة الضحى دائمين عليها، أدخلوهم الجنة برحمة الله»(٣).

وكان الناس على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي رضي الله عنهما يصلون صلاة الصبح، ثم ينتظرون الوقت الذي يصلي فيه صلاة الضحى فيصلونها في المسجد.

وعن الضحاك بن قيس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لقد أتى علينا زمان لا ندري ما وجه هذه الآية ﴿**يسبحن بالعشي والإشراق**﴾ [ص ١٨] حتى رأينا الناس يصلون الضحى.

وقال ابن أبي مليكة رحمه الله: سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن صلاة الضحى فقال: إنها لفي كتاب الله تعالى ثم قرأ: ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو والآصال**﴾ [النور.٣٦].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يصلي ركعتي الضحى، ولكن لا يدمن عليها، ولهذا لما سئل عكرمة عن صلاة ابن عباس رضي الله عنهما الضحى قال· كان يصليها اليوم ويدعها العشرة.

وقال النخعي رحمه الله: كانوا يكرهون أن يديموا صلاة الضحى فيصلون ويدعون لئلا تكون كالمكتوبة.

* * *

(١) كنز العمال (٢١٤٨٩)، وتاريخ أصفهان ١/ ٢٤١

(٢) كنز العمال (٢١٥٢٠).

(٣) العلل المتناهية ١/ ٤٧١، والضعيفة (٣٩٢ ٣٩٤).

(فصل) وأما عـدد صلاة الضحى، فأقلها ركعـتان، وأعدلها ثمان ركعـات، وأكثرها اثنتا عشرة ركعة.

فأمـا الركعتـان فما أخـبرنا به الشـيخ أبو نصر عن والده، بإسناده عن عـبد الله بن بريدة، عن أبيه رضى الله عنه قـال: قال رسول الله ﷺ: «فى الإنسان ثلثمـائة وستون مفصـلاً، فعليه أن يتصـدق عن كل مفصل كل يوم بصدقـة، قالوا: ومن يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: النخامة يراها فى المسجـد فيدفنها، أو الشىء ينحيه عن الطريق، فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزيه»[1].

وحـديث أبى هريرة رضى الله عنه: أوصانى خلـيلى أبو القاسم ﷺ بثـلاث: الوتر قبل النوم، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتى الضحى[2].

وروى أربع ركعات، وهو ما تقدم فى الفـصل الذى قبله من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ الحديث.

وما روت معاذة عن عائشة رضى الله عنها «أن النبى ﷺ صلى صلاة الضحى أربعًا، ثم ست ركعات»[3].

وعن حمـيد الطويل عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ «أنه كـان يصلى الضحى ست ركعات، ثم ثمان ركعات»[4].

وعن عكرمة بن خالد عن أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عـنها قالت: «لما قدم رسول الله ﷺ فى الفتح، فتح مكة، نزل بأعلى مكة، فصلى ثمان ركعات، فقلت: يا رسول الله مـا هذه الصلاة؟ قال ﷺ: صلاة الضـحى» قال أحمد بن حنبل رحـمه الله تعالى: وهو ثبت.

والاختيار عند أهل العلم رحمهم الله ثمانى ركعات.

وكذلك روى أبو سـعيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ، وعن عائشـة رضى الله عنها أيضًا أنها صلت الضحى ثمان ركعات.

---

(١) أبو داود (٥٢٤٢)، وأحمد ٤/ ٣٥٤ و ٣٥٩، وابن خزيمة (١٢٢٦)

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسلم فى. صلاة المسافرين: حديث (٧٨، ٧٩)، وأحمد ٦/ ١٤٥ و ٢٦٥، والبيهقى ٣/ ٥٠.

(٤) الإتحاف ٣/ ٣٦٩، وكنز العمال (١٧٩٩٦).

وقال القاسم بن محمد رحمه الله: كانت عائشة رضى الله عنها تصلى الضحى ثمان ركعات وتطيل ذلك، وكانت إذا صلتها غلقت الباب عليها، ثم عشر ركعات إن اختارت، ثم ثنتا عشرة ركعة وهو أفضلها، لما حدثنا به أبو نصر عن والده، بإسناده عن حمزة بن موسى بن أنس بن مالك الأنصارى، عن عمه ثمامة بن أنس، عن جده أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى الضحى اثنتى عشرة ركعة بنى الله تعالى له قصراً من ذهب فى الجنة»(١).

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن أم حبيبة رضى الله عنها قالت: أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى اثنتى عشرة ركعة من النهار بنى الله تعالى له بيتًا فى الجنة»(٢).

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن إبراهيم التيمى، عن أبيه، عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إن النهار اثنتا عشرة ساعة، فأعد لكل ساعة منها ركعة وسجدتين، يدرأ عنك ما فيها من ذنب، يا أبا ذر من صلى ركعتين لم يكن من الغافلين، ومن صلى أربعًا كتب من الذاكرين، ومن صلى ستًا لم يلحقه فى يومه حنث إلا الشرك، ومن صلى اثنتى عشرة ركعة بنى له بيت فى الجنة، قلت: يا رسول الله أجمعًا أم شتى؟ قال ﷺ: لا عليك»(٣).

(فصل) وأما وقتها:

فلها وقتان: جائز، وهو بعد طلوع الشمس إلى صلاة الظهر، ومستحب، وهو حين ترمض الفصال عند قرب الزوال.

والدليل على استحبابها فى هذا الوقت ما روى أن زيد بن أرقم رضى الله عنه رأى قومًا يصلون الضحى فى مسجد قباء، فقال: لقد علموا أن الصلاة فى غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال»(٤).

ويجوز فعلها أيضًا بعد الزوال، لما روى عوف بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ساعة السبحة حين تزول الشمس من كبد السماء»(٥). وهى صلاة

(١) الترمذى (٤٧٣)، وابن ماجه (١٣٨٠)، وشرح السنة ٤/ ١٤٠

(٢) المشكاة (١٣١٦).

(٣) الضعفاء الكبير ٢/ ٢٤٤.

(٤) مسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٤٣ ـ ١٤٤)، وأحمد ٤/ ٣٦٦، والبيهقى ٣/ ٤٩

(٥) الجامع الصغير ٢/ ٢٥، وعزاه إلى «ابن عساكر» ورمز له بالحرف (ض) كناية عن صعفه.

المخبتين، وأفضلها فى شدة الحر وإن هو لم يصلها إلى أن صلى الظهر قضاها على وجه الاستحباب.

(فصل) وأما الذى يقرأ فيها:

فما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «صلاة الضحى بسورة والشمس وضحاها، والضحى»[1].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى اثنتى عشرة ركعة صلاة الضحى، فقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسى مرة، وثلاث مرات ﴿قل هو الله أحد...﴾ نزل من كل سماء سبعون ألف ملك، معهم قراطيس بيض وأقلام من نور يكتبون له الحسنات إلى أن ينفخ فى الصور، فإذا كان يوم القيامة أتته الملائكة مع كل ملك حلة وهدية، فيقومون على قبره ويقولون: يا صاحب القبر قم بإذن الله عز وجل فإنك من الآمنين».

(فصل) وقد ورد عن بعض الصحابة رضى الله عنهم إنكار صلاة الضحى.

من ذلك ما روى ابن المنادى من أصحابنا، بإسناده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال. ما صليت الضحى منذ أسلمت، إلا أن أطوف بالبيت، وإنها لبدعة ونعمت البدعة، وإنها لمن أحسن ما أحدثه الناس.

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول فى صلاة الضحى: يا عباد الله لا تحملوا الناس ما لم يحملهم الله إياه، فإن كنتم لابد فاعلين فصلوها فى بيوتكم.

وكل هذا لا يدل على رد ما قدمنا ذكره من الفضائل الواردة فى فعلها وإنما أرادوا بذلك لئلا تشبه بصلاة الفرض فيعتقد الناس وجوبها. وليس كل الناس سواء فى نشاط العبادة، فطلبوا الخفة عنهم، وتسهيل الطاعة عليهم، ولهذا المعنى روى عن عتبان بن مالك رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ صلى فى بيته سبحة الضحى، فقاموا وراءه فصلوا».

وكانت عائشة رضى الله عنها إذا أرادت أن تصليها غلقت الباب، وابن عباس رضى الله عنهما كان يصليها يومًا ويتركها عشرًا.

(١) الكنز (٢١٤٩٤)

(فصل) وأما الورد الثالث، فالصلاة قبل الظهر وبعدها.

حدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن أم حبيبة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى أربع ركعات قبل الظهر وأربعًا بعدها، حرم الله تعالى لحمه على النار»[1].

وقيل: إن أبواب السماء والجنة تفتح من بعد الزوال إلى أن يصلى الظهر، ولهذا قيل: إن الدعوات تستجاب فى هذه الساعة، فيستحب ملازمة العبادة والدعاء والذكر فيها، وفى ذلك حديث مروى عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال: «إن النبى ﷺ كان يواظب على أربع ركعات قبل الظهر، فسئل فقال ﷺ: «إن أبواب الجنة تفتح عند زوال الشمس فلا ترتج حتى تقام الصلاة، فأحب أن أقدم»[2].

وسئلت عائشة رضى الله عنها: أى صلاة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ أن يواظب عليها؟ فقالت رضى الله عنها: «كان يصلى أربعًا قبل الظهر يطيل فيهن القيام، ويحسن فيهن الركوع والسجود»[3].

(فصل) وأما الورد الرابع، ففيما بين الظهر والعصر.

حدثنا أبو نصر عن والده، قال: حدثنا أبو محمد، حدثنا عمر بن أحمد، قال. أنبأنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا صالح بن مالك، قال: حدثنا جعفر بن عمر، قال: حدثنا يونس بن أبى عمرة عن عطاء، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحيا ما بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء غفر له وشفع له ملكان»[4].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يحيى ما بين الظهر والعصر، وعن إبراهيم النخعى رحمه الله أنه قال: كانوا يشبهون الصلاة بين العشاءين وفيما بين الظهر والعصر بصلاة الليل، كان ذلك دأب كثير من العباد فيصلون أورادهم بين الظهر والعصر، ينفردون عن الخلق وينقطعون إلى الحق فى هذه الساعة، وهى ساعة شريفة للخلوة

(١) النسائى ٣/ ٢٦٥، وأحمد ٦/ ٤٢٦.

(٢) أحمد ٥/ ٤١٧، والطرانى ٤/ ١٤١.

(٣) ابن ماجه (١١٥٦)، وابن أبى شيبة ٢/ ٢٠٠

(٤) كنز العمال (٥ ١٩٤)

بالرب عز وجل ذكره، وهى صلاة الغفلة.

ويستحب العكوف فى المسجد بين الظهر والعصر للصلاة والذكر، ليجمع بين الاعتكاف والانتظار للصلاة، وقد كان ذلك دأب السلف، إلا أن يكون قد فاته النوم قبل الزوال، فلينم فى هذه الساعة ليتقوى به على قيام الليل، فإن نومه قبل الظهر لليلة الماضية وبعد الظهر لليلة المستقبلة.

ولا يستحب أن يزيد فى النوم على ثمان ساعات، وقيل إن نقص فى النوم عن هذا المقدار اضطرب بدنه، لأن النوم قوت البدن وراحته.

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن سهيل عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «من صلى اثنتى عشرة ركعة كل يوم بنى الله له بيتًا فى الجنة، اثنتين قبل الفجر، وأربعًا قبل الظهر، واثنتين بعد الظهر، واثنتين قبل العصر، واثنتين بعد المغرب»(١).

وعن سعيد بن المسيب عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال المصلون لأربع قبل العصر حتى يغفر الله لهم مغفرة حتمًا»(٢).

(فصل) وقد ورد حديث جامع للنوافل فى هذه الأوقات، وهو ما حدثنا به أبو نصر عن والده، قال: حدثنا محمد بن أحمد الحافظ، قال: حدثنا محمد بن بدر الحمامى، قال: حدثنا حماد بن مدرك، قال: حدثنا عثمان بن عبد الله الشامى، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم، عن عبد الله بن أبى سعيد عن طاوس، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى بعد المغرب أربع ركعات قبل أن يكلم أحدًا رفعت له فى عليين، وكان كمن أدرك ليلة القدر فى المسجد الأقصى»(٣).

يعنى مسجد بيت المقدس «وهى خير من قيام نصف ليلة»، وهى قول الله تبارك وتعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ [الذاريات:١٧]، وهى قول الله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ [السجده.١٦]، وهى قول الله تعالى: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ [القصص.١٥].

(١) مسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٠١)، والنسائى ٣/ ٢٦٣، وابن خزيمة (١١٨٩).
(٢) كنز العمال ٧/ ٢٧٤.
(٣) البيهقى ٢/ ٤٧٧، والخطيب ١٤/ ٣٠٨، والإتحاف ٣/ ٣٧١.

«ومن صلى أربعًا بعد العشاء الآخرة ، كان كمن أدرك ليلة القدر فى المسجد الحرام»(١).

«ومن صلى أربعًا قبل الظهر وأربعًا بعدها حرم الله تعالى جسده على النار أن تأكله أبدًا»(٢).

«ومن صلى أربعًا قبل العصر كتب له براءة من النار»(٣).

وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ركعتا الفجر أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها».

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده عن على كرم الله وجهه أنه سئل عن تطوع النبى ﷺ فقال: «ومن يطيق ذلك، كان يمهل حتى إذا كانت الشمس عن يساره مقدارها عن يمينه فى العصر صلى ركعتين، فإذا كانت عن يساره مقدارها عن يمينه فى الظهر صلى أربعًا، فإذا زالت الشمس صلى أربعًا،فيصلى بعد الظهر ركعتين وقبل العصر أربعًا»(٤).

وفى الجملة يختتم العبد الصلاة بين الأذان والإقامة والدعاء والتضرع، فإنها ساعة مرجو إجابة الداعى فيها على ما تقدم.

(فصل) وأما الورد الخامس، بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس.

فهو الذكر من التسبيح والتهليل، والاستغفار والتفكر فى الملكوت، وقراءة القرآن، لأن صلاة النافلة منهى عنها فيه، ويقرأ قبل غروب الشمس: ﴿والشمس وضحاها...﴾، ﴿والليل إذا يغشى...﴾، والمعوذتين يختم نهاره، ويستفتح ليله بالقرآن والاستعاذة.

وروى عن الحسن رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال فيما يذكر من رحمة ربه عز وجل: أن الله تعالى قال: «يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة، وبعد صلاة العصر ساعة، أكفك ما بينهما»(٥).

* * *

(١) سبق تخريجه.

(٢) الترمذى (٤٢٧)، وابن ماجه (١١٦٠)، وشرح السنة ٣/٤٦٣.

(٣) الإتحاف ٥/١٤٩، وكنز العمال (١٩٣٩٢)

(٤) البيهقى ٣/٥١.

(٥) كنز العمال (١٧٩٥).

باب
فى الصلوات الخمس
وبيان أوقاتها وأعدادها وسننها وفضائلها

(فصل) الصلوات المكتوبة خمس:

الفجر وهى ركعتان، والظهر وهى أربع ركعات، والعصر وهى أربع ركعات، والمغرب وهى ثلاث ركعات، والعشاء الآخرة وهى أربع ركعات، فذلك سبع عشرة ركعة.

وقد كانت فرضت خمسين صلاة ليلة أسرى بالنبى ﷺ ليلة المعراج، ثم أعيدت إلى خمس حكمة من الله عز وجل، يتبين بذلك التخفيف وسهولة ما أبقى مما أسقط عن عباده المؤمنين، كما أسقط عنهم ثبوت واحد لعشرة من المشركين فى القتال إلى ثبوت واحد لاثنين منهم، وكما أسقط تحريم الأكل والشرب والجماع بعد النوم فى ليالى الصيام بقوله: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ [البقرة:١٨٧] بعد أن كان ذلك محرمًا عليهم.

(فصل) والأصل فى وجوبها:

قوله عز وجل: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ [البقرة:٤٣].

والأصل فى بيان أوقاتها آيات وأخبار:

أما الآيات:

فقوله عز وجل: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد فى السموات والأرض وعشيًا وحين تظهرون﴾ [الروم:١٧ ـ ١٨].

فسبحان الله: أى صلوا لله حين تمسون صلاة المغرب والعشاء، وحين تصبحون صلاة الفجر، وعشيًا صلاة العصر، وحين تظهرون صلاة الظهر.

وقال عز وجل: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا﴾ [النساء:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل﴾ [هود:١١٤].

وقال تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ [الإسراء:٧٨] أى عند غروبها، وقيل:

عند زوالها.

وقال جلت عظمته: ﴿وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ [طه. ١٣٠].

قال قتادة رحمه الله: قبل طلوع الشمس: هى صلاة الفجر، وقبل غروبها: صلاة العصر، ومن آناء الليل: صلاة المغرب والعشاء، وأطراف النهار: صلاة الظهر.

وأما الأخبار:

فما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمّنى جبريل عليه السلام عند البيت، فصلى بى الظهر حين زالت الشمس. وكانت بقدر الشراك، ثم صلى بى العصر حين صار ظل كل شىء مثله، ثم صلى بى المغرب حين أفطر الصائم، ثم صلى بى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلى بى الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، ثم صلى بى الظهر حين صار ظل كل شىء مثله، ثم صلى بى العصر حين صار ظل كل شىء مثليه، ثم صلى بى المغرب حين أفطر الصائم، ثم صلى بى العشاء إلى ثلث الليل الأول، ثم صلى بى الفجر حين أسفر، ثم التفت إلىَّ فقال: يا محمد هذا وقت الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من قبلك، فيما بين هذين الوقتين».

وهذا الخبر هو أصل المواقيت. وفى هذا الباب أحاديث وردت كلها ترجع إلى معناه فلم تذكرها.

(فصل: فى ذكر من صلى هذه الصلوات أولاً قبل نبينا ﷺ)

روى فى بعض الأخبار «أن رجلاً من الأنصار سأل النبى ﷺ عن صلاة الفجر: من صلاها أولاً؟ فأخبره أن من صلاها أولاً آدم عليه السلام، والظهر صلاها إبراهيم عليه السلام حين نجاه الله تعالى من نار نمرود، والعصر صلاها يعقوب عليه السلام حين أخبره جبريل عليه السلام بسلامة يوسف عليهما السلام، والمغرب صلاها داود عليه السلام حين تاب الله عليه، وصلاة العتمة صلاها يونس ابن متى عليه السلام حين أخرجه الله من بطن الحوت كالفرخ الذى لا ريش له، فجاء جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: إنى مستح منك كيف عذبتك فى دار الدنيا،

فهل أنت راض عنى؟ فـقام فصلى أربع ركعـات ثم قال: إنى عن ربى راض، إنى عن ربى راض».

(فصل) وأول مـا وجب من الصلوات على نبيـنا ﷺ وأمر بفـعلها، صـلاة الفجـر والمغرب، فكان ﷺ يصلـى ركعتين بـالغداة وركعـتين بالعشى، وهو قـوله عز وجل: ﴿وسبِّح بحمد ربك بالعشى والإبكار﴾ [غافر:٥٥] إلى أن أسرى به ﷺ إلى السماء ليلة المعراج، ففرض عليه خمس صلوات على ما بيّنا. وصلاة الفجر هى أول صلاة النهار، ثم الظهر.

وإنما بدأ العلمـاء فى بيان صـفة الصلوات بالظهـر اتباعًا للسنة، وهو قـوله ﷺ فى حديث ابن عبـاس رضى الله عنهما «أمَّنى جبريل عند البـيت فصلى بى الظهر. . .»[1] إلى آخر الحديث، فبدأ ببيان وقتها، فجعل أول المواقيت وقتها، لأنها فرضت أولاً. وقد بيّنا أن الفـجر هى التى صـلاها آدم عليه السـلام، وهو أول نبى أرسل فى الأرض من الإنس، فعلم أنها أول صلاة فرضت فى الجملة.

(فصل: فى بيان وقت صلاة الفجر)

فأول وقتها انصداع الفجر الثـانى المعترض بالضياء فى أقصى المشرق ذاهبًا من القبلة إلى دبرها حتى يرتفع فيعم الأفق، وينتشر على رؤوس الجـبال والقصور المشيدة، وآخر وقتها الإسفار النير الذى إذا سلم منها بدا حاجب الشمس، وما بين هذين الوقتين وقت واسع.

والمستـحب أن تسمى هذه الصلاة صلاة الصـبح أو الفجر ولا تسمى صـلاة الغداة، لأن الله تعالى قال: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾ [الإسراء:٧٨] يعنى صلاة الفجر تشـهدها ملائكة الليل ومـلائكة النهار، فتحـصل فى آخر صحيفـة ملائكة الليل وأول صحيفة ملائكة النهار عليهم السلام.

والأفضل التغليس بها، خلاف ما قال الإمام أبو حنيفة من أن الإسفار بها أفضل.

وإنما قلنا ذلك لما روى عن عـائشة رضى الله عنها أنهـا قالت: «كن النسـاء يخرجن على عهد رسول الله ﷺ يصلـين الفجر معه، ثم يرجعن متلفـعات بمروطهن لا يعرفن

---

(١) سبق تخريجه.

من الغلس»[١].

وعن إمامنا أحمد رحمه الله رواية أخرى: أن المعتبر بحال المأمومين، فإن أسفروا فالأفضل الإسفار لتكثير الجمع والثواب.

وأما الفجر الأول فلا عبرة به، لأنه لا يحرم شيئًا ولا يوجب شيئًا لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: الفجر فجران، فالذى تحل به الصلاة ويحرم فيه الأكل والشرب الذى ينتشر على رؤوس الجبال، وقال: هما فجران فالذى يسطع فى السماء سطوعًا فليس بشىء ولا يحل ولا يحرم ولكن الذى ينتشر على رؤوس الجبال هو الذى يحرم.

وقد وصف بعض العلماء بالله عز وجل الفجرين وحدَّهما بحدين فقال:

الفجر الأول، وهو بدوّ سلطان شعاع الشمس إذا ظهرت من وراء الأرض الخامسة ليسطع ضوؤها فى وسط السماء حتى يقطعها بمقدار بقاء الفجر الأول، فذلك الضياء الذى يظهر فى السماء فى الثلث الأخير من الليل هو الفجر الأول، ثم يعود سواد الليل كما كان، لأن الشمس تغرب فى الفلك الأسفل المتجانف، وتحجبها الأرض السادسة، فيذهب ذلك الضوء الذى ظهر فى السماء.

وأما الفجر الثانى، فهو انشقاق شفق الشمس وهو بدوّ بياضها الذى تحت الحمرة، وهو الشفق الثانى، وهو أول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص الشمس، وذلك أن الشمس إذا ظهرت على وجه أرض الدنيا التى هى السابعة وانفجر شعاعها من الفلك الأسفل، وهو ذيل السماء سترت عينها الجبال والبحار والأقاليم العالية، وظهر شعاعها منتشرًا إلى وسط السماء عرضًا مستطيرًا.

والأول يسمى مستطيلاً لأنه يظهر فى وسط السماء طولاً ثم يذهب، والثانى يظهر عرضًا يستطير فيعم الأفق وأرجاء السماء كلها. فللشمس شفقان عند الغروب، وشفقان عند الطلوع.

(فصل) وأما الظهر:

فأول وقتها إذا زالت الشمس، وآخره إذا صار ظل كل شىء مثله، والأفضل تعجيلها إلا فى شدة الحر، ومع الغيم فى حق من أراد الخروج إلى الجماعة لقول النبى ﷺ:

(١) أحمد ٦/ ٣٣، والنسائى ١/ ٢٧١.

«أبردوا بالظهر، فإن شدة الحر من فيح جهنم»[1].

ولما روى عن بلال رضى الله عنه قال: «آذنت رسول الله ﷺ بصلاة الظهر، فقال: أبرد، ثم آذنته ثانية فقال: أبرد، ثم آذنته ثالثة فقال: أبرد، حتى رأيت فىء التلول، ثم قال: إن شدة الحر من فيح جهنم، فإذا اشتد الحر فأبردوا»[2].

وبيان معرفة الزوال أن الشمس إذا وقفت فهو قبل الزوال، فإذا زالت أقل القليل فذلك وقت الظهر.

وجاء فى الحديث «أن الشمس إذا زالت بمقدار شراك فذلك وقت الظهر»[3] فإذا صار ظل كل شىء مثله فهو آخر وقت الظهر وأول وقت العصر.

فإذا أردت أن تعرف ذلك فقس الظل بأن تنصب عموداً، أو تقوم قائمًا فى موضع من الأرض مستويًا معتدلاً، ثم علم على منتهى الظل بأن تخط خطًا، ثم انظر أينقص أو يزيد، فإن رأيته ينقص علمت أن الشمس لم تزل بعد، وإن رأيته قائمًا لا يزيد ولا ينقص، فذلك قيامها وهو نصف النهار لا تجوز الصلاة حينئذ، فإذا أخذ الظل فى الزيادة فذلك زوال الشمس، فقس من حد الزيادة إلى طول ذلك الشىء الذى قست به طول الظل، فإذا بلغ إلى آخر طوله فهو آخر وقت الظهر، فإذا زاد شيئًا يسيراً فقد دخل وقت العصر حتى يزيد الظل طول ذلك الشىء مرة أخرى، فذلك آخر وقت العصر، ثم يبقى وقت الضرورة إلى قبل غروب الشمس.

وكذلك تفعل بقيامك فتعلم على موضع ظلك، فإن نقص علمت أنه لم تزل الشمس، وإن وقف فهو حال القيام، وإن زاد فهو الزوال.

وأما معرفتك المثل بقيامك وطولك، فإن طولك سبع أقدام بقدمك سوى قدمك التى تقوم عليها، فإنك تقوم مستقبل الشمس بوجهك، ثم تأمر إنسانًا يعلم طرف ظلك بعلامة، ثم تقيس من عقبك إلى تلك العلامة، فإن كان بينهما أقل من سبعة أقدام سوى ما زالت الشمس عليه من الظل، فتعلم أنك فى وقت الظهر، وأن وقت العصر لم يدخل بعد، فإذا زاد الظل على سبع أقدام علمت دخول وقت العصر.

---

(١) البخارى ١/ ١٤٢، والنسائى فى: المواقيت: ب (٥)، وابن ماجه (٦٨١)، وأحمد ٢/ ٣٧٧.
(٢) البخارى ١/ ١٤٢، ومسلم فى: المساجد: حديث (١٨١)، وأبو داود (٤٠١)
(٣) مسلم فى: المساجد (١٧٣)، والبيهقى ١/ ٣٦٥.

(فصل) وهذا الذى ذكرنا من الأقدام ونصب العمود، يختلف فى الشتاء والصيف، فيزيد الظل وينقص، فالزيادة تكون فى الشتاء، لأن الشمس تكون فى مسامتة الشخص، لأنها تسير فى ذيل السماء ولا ترتفع فى الجو، ونقصانه يكون فى الصيف، لأن الشمس ترتفع إلى الجو فتشرف على الأشخاص، لأنها أول ما تصعد تكون من جانب السماء، فيمتد ظلها لمقابلة قرصها، فكلما صعدت قصر الظل إلى أن تنتهى فى الارتفاع فتصير فى كبد السماء، وهو حالة قيامها، فإذا أخذت فى السيران وهو النزول نحو ما يلى مغربها، فيأخذ الظل فى الطول وهو الزوال.

وكذلك يختلف ذلك فى البلدان، فما كان منها تحت وسط الفلك كمكة وما حواليها من البلدان قصر ظل الشمس فيه حتى لا يبقى للشخص ظل أصلاً، وما كان بعيداً عن وسط الفلك كخراسان وما والاها من النواحى فإن ظل الشمس يطول صيفًا وشتاء، فيكون صيفها كشتاء غيرها فى طول الظل، فقد يزول فى تلك البلاد على قدم واحد.

(فصل: فى معرفة الأقدام)

اعلم أن أقل ما تزول عليه الشمس على ما ذكره القدماء من أهل هذا العلم فى حزيران على قدمين، وأكثر ما تزول عليه فى كانون على ثمانية أقدام، وتزول فى أيلول على خمسة أقدام، وفى تشرين الأول على ستة أقدام، وفى تشرين الآخر على سبعة أقدام، وفى كانون الأول على ثمانية أقدام، وذلك منتهى قصر النهار، وطول الليل، وهو أكثر ما تزول عليه الشمس، ثم ينقص الظل ويزيد النهار، فتزول الشمس فى كانون الآخر على سبعة أقدام، وتزول فى شباط على ستة أقدام، وتزول فى آذار على خمسة أقدام، وذلك استواء الليل والنهار، وتزول فى نيسان على أربعة أقدام، وفى أيار على ثلاثة أقدام، وفى حزيران على قدمين، فذلك منتهى طول النهار وقصر الليل، وهو أقل ما تزول الشمس عليه، فيكون النهار خمس عشرة ساعة، والليل تسع ساعات، وتزول فى تموز على ثلاثة أقدام، وفى آب على أربعة أقدام، وفى أيلول على خمسة أقدام، وفيه يستوى الليل والنهار.

وروى عن سفيان الثورى رحمه الله أنه قال: «أكثر ما تزول عليه الشمس سبعة أقدام، وأقل ما تزول عليه قدم واحدة».

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: كانت صلاتنا الظهر مع رسول الله ﷺ

فى الصيف على ثلاثة أقدام إلى خمسة أقدام، وفى الشتاء على خمسة أقدام إلى ستة أقدام.

(فصل) وذكر بعضهم صفة أخرى:

فقال: تزول الشمس فى تسعة عشر يومًا من آذار وظل الإنسان ثلاثة أقدام، وكذلك كل شيء تنصبه، فإن الشمس تزول يومئذ وظل ذلك الشيء ثلاثة أسباعه، ثم ينقص الظل قدمًا حتى ينتهى طول النهار وقصر الليل فى تسعة عشر من حزيران، فتزول الشمس يومئذ، وظل الإنسان نصف قدم وذلك أقل ما تزول عليه الشمس، ثم يزيد الظل، فكلما مضت ستة وثلاثون يومًا، زاد الظل قدمًا حتى يستوى الليل والنهار فى تسعة عشر يومًا من أيلول، فتزول الشمس يومئذ والظل على ثلاثة أقدام، ثم يزيد الظل، فكلما مضى أربعة عشر يومًا، زاد الظل قدمًا حتى ينتهى طول الليل وقصر النهار، وذلك فى تسعة عشر يومًا من كانون الأول، فتزول الشمس يومئذ على سبعة أقدامٍ ونصف قدم، وذلك أكثر ما تزول الشمس عليه، ثم كلما مضى أربعة عشر يومًا زاد الظل قدمًا، حتى ينتهى إلى تسعة عشر يومًا من آذار، فذلك استواء الليل والنهار، وتزول الشمس على ثلاثة أقدام، وذلك دخول الصيف وزيادة الظل ونقصانه الذى ذكرناه فى كل ستة وثلاثين يومًا قدم فى الصيف والقيظ، وزيادة فى كل أربعة عشر يومًا قدم فى الربيع والشتاء.

(فصل) وقد ذكر بعض شيوخنا لذلك صفة أخرى:

وهو أن قال: تزول الشمس فى حزيران كله على ثلاثة أقدام، والقدم سبع كل شخص منتصب، وأول وقت العصر فيه تسعة أقدام ونصف، وأول وقت الظهر فى تموز كله أربعة أقدام، وأول وقت العصر فيه عشرة أقدام ونصف، وأول وقت الظهر فى آب كله خمسة أقدام، وأول وقت العصر فيه أحد عشر قدمًا ونصف، وأول وقت الظهر فى أيلول كله ستة أقدام، وأول وقت العصر فيه اثنا عشر قدمًا ونصف، وأول وقت الظهر فى تشرين الأول كله سبعة أقدام، وأول وقت العصر فيه ثلاثة عشر قدمًا ونصف، وأول وقت الظهر فى تشرين الآخر كله ثمانية أقدام، وأول وقت العصر فيه أربعة عشر قدمًا ونصف، وأول وقت الظهر فى كانون الأول كله عشرة أقدام ونصف، وأول وقت العصر فيه سبعة عشر قدمًا سواء، وأول وقت الظهر فى كانون الثانى كله تسعة أقدام،

وأول وقت العصر فيه خمسة عشر قدمًا، وأول وقت الظهر فى شباط كله سبعة أقدام ونصف، وأول وقت العصر فيه أربعة عشر قدمًا ونصف، وأول وقت الظهر فى آذار كله ستة أقدام، وأول وقت العصر فيه اثنا عشر قدمًا ونصف، وأول وقت الظهر فى نيسان كله أربعة أقدام ونصف، وأول وقت العصر فيه أحد عشر قدمًا، وأول وقت الظهر فى أيار كله ثلاثة أقدام ونصف، وأول وقت العصر فيه عشرة أقدام، فهذه مقادير ما تزول عليه الشمس فى شهور السنة كلها، والله أعلم بما لا تدركه إحساسنا، ولا تنتهى نحوه علومنا.

(فصل) ومعرفة الزوال على هذه الصفات والتحديد ليس هو بأمر حتم.

بل هى جهة من جهات الوصول إلى معرفة الزوال. وليس كل أحد يدرك ذلك، بل كل من غلب على ظنه ويقينه زوال الشمس وجب عليه فعل صلاة الظهر.

وذلك أن الناس فى الأوقات على ثلاثة أضرب:

- من فرضه اليقين، وهو من يعرف الدقائق والساعات وسير الكواكب، يستدل بذلك ليحصل له يقين الوقت.

- ومن فرضه الاجتهاد والتقدير بالعمل أو تقليد من يعمل، وهم الصناع الجهال بالأوقات، فإن اجتهدوا فقدروا بأعمالهم، مثل الخباز عادته أن يخبز العجنتين أو ثلاثة إلى الظهر، أو الطحان يطحن القفيز إلى الظهر، استظهر بالتأخير وصلى، لأن فى يوم الغيم كان الوقت يقصر بغيبة الشمس فيغفل الإنسان عن مراعاة الوقت أو يتشاغل عنه، فإن سمع الأذان من عارف بالأوقات بنى على أذانه وصلى إذا علم منه أنه عارف بالأوقات أو أنه لا يؤذن إلا بإذن عارف للوقت.

والثالث: من فرضه التحرى والتأخير بجهده إلى أن يغلب على ظنه دخول الوقت، وهو المطمور والمحبوس فى الأمكنة التى لا يتوصل إلى معرفة الوقت بدلالة ولا خبر ولا سماع ولا أذان لقول النبى ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[(١)].

(فصل) ومعرفة الزوال على التحقيق أمر يدق ويصعب.

وقد ورد فى الحديث «أن النبى ﷺ سأل جبريل عليه السلام. أزالت الشمس؟

---

(١) البخارى ٩/١١٧، ومسلم فى: الحج. حديث (٤١٢)، وأحمد ٢/٢.

فقال: لا، نعم، فقال: كيف هذا؟ فقال: من قولى لك: لا، نعم، قطعت الشمس من الفلك خمسين ألف فرسخ[١]، فكأن النبى ﷺ سأله عن زوالها على علم الله تعالى.

لكنك إذا استقبلت القبلة فكانت الشمس على حاجبك الأيمن فى الصيف فقد زالت الشمس بلا شك، فصلِّ الظهر، فإذا صار ظل كل شيء مثله فهو وقت العصر، فإذا كانت الشمس على حاجبك الأيسر فى الصيف أيضًا وأنت مستقبل القبلة، فاعلم أنها لم تزل بعد، فإذا كانت بين عينيك فهو قيامها واستواؤها فى كبد السماء، وقد يجوز أنها قد زالت إذا كانت فى أول الشتاء وقصر النهار.

وأما إذا كانت فى أول الشتاء على حاجبك الأيمن فتكون قد زالت فى جميع الأزمنة، لأنه إذا كان ذلك فى الصيف فهو أول وقت الظهر، وإن كان فى الشتاء فهو آخر وقت الظهر، وإذا كانت على حاجبك الأيسر فى الشتاء فقد يجوز أنها قد زالت لقصر النهار فى أول الشتاء، ولا يجوز فى أول الصيف لامتداد النهار وطوله، وإذا كانت بين عينيك فى الشتاء فقد زالت بلا شك، فإذا صارت إلى حاجبك الأيمن فهو آخر وقت الظهر، وهذا لأهل إقليم العراق وخراسان الذين يصلون إلى الركن الأسود وباب البيت من جهة الكعبة، وأما أهل اليمن والمغرب ومن يليهم، فعلى ضد ذلك، لأنهم يصلون إلى الركن اليمانى ومؤخر الكعبة، فلذلك اختلف التقدير.

(فصل) فإذا عرفت الزوال وأردت أن تعرف القبلة فاجعل ظلك على يسارك، فإنك تكون حينئذ مستقبل القبلة فاعلم ذلك مختصرًا بلا تعب.

وإنما طولت فى ذكر معرفة الزوال لأنه أشكل الأوقات وأدقها، وقد ورد ذكر الأقدام فى خبر ابن مسعود رضى الله عنه، والتنبيه على معرفة ذلك على ما تقدم بيانه والله أعلم.

(فصل) وأما وقت العصر، فأوله على ما ذكرنا أدنى زيادة على المثل، وآخر وقتها إذا صار الظل مثليه، ووقت الضرورة إلى قبل أن تغيب الشمس، وقد تقدم ذكره والأفضل تعجيلها.

(فصل) وأما صلاة المغرب فإذا غربت الشمس، وهو إذا تدلى حاجب الشمس الأعلى، وهو غيبتها عن الأبصار دخل وقتها، ولها وقتان: أحدهما الغروب، والثانى

(١) (موضوع) المغنى عن حمل الأسفار ٤/ ٤٣١.

غيبوبة شفق الشمس وهو الحمرة فى أصح الروايتين.

(فصل) فإذا غاب الشفق دخل وقت العشاء الآخرة، ووقت الفضيلة مبقى إلى ثلث الليل فى إحدى الروايتين، والثانية إلى نصف الليل، ووقت العذر والضرورة ما لم يطلع الفجر الثانى.

ولها اسمان. أحدهما عتمة، والثانى العشاء الآخرة، لأن النبى ﷺ قال. «غلبتكم الأعراب على اسم صلاتكم هذه فسموها عتمة»[1] يعنى أن اسمها العشاء الآخرة. والأعراب يسمونها عتمة، فوافقوهم فى ذلك، والأفضل تأخيرها إلى آخر وقتها، وهو الثلث الأول أو النصف الأول على ما ذكرنا، وأفضل ما صليت إذا غاب البياض الغربى وأظلم مكانه، وهو الشفق الثانى، فيؤخر إلى ربع الليل أو الثلث أو النصف، كل ذلك ما لم ينم المصلى قبل أن يصليها، فإنه يكره النوم عنها، فمن خاف غلبة النوم، فالأفضل أن يصليها ثم ينام، ولهذا الأفضل عند الشافعى رحمه الله أن يصلى فى أول الوقت.

وإنما قلنا الأفضل تأخيرها لأن النبى ﷺ قال: «أعتموا بالعتمة»[2].

وخرج ﷺ ليلة وقد أعتم فقال: «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم أن يصلوها»[3] هكذا فالنبى ﷺ أخرها وحث على تأخيرها.

(فصل) وأما السنن الراتبة مع هذه الصلوات الخمس فثلاث عشرة ركعة:

ركعتان قبل صلاة الفجر، وركعتان قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء الآخرة، ويوتر بثلاث، وهو مخير إن شاء صلاها بتسليمة واحدة كصلاة المغرب، وإن شاء فصل بينها، فيسلم عن كل ركعتين، ويوتر بالآخرة، وهو الأفضل، فيقرأ فى الأولى من الثلاث بعد الفاتحة ﴿**سبّح اسم ربك الأعلى...**﴾، وفى الثانية بـ ﴿**قل يا أيها الكافرون...**﴾، وفى الثالثة بعد الفاتحة بـ ﴿**قل هو الله أحد...**﴾، ويقرأ فى أول الركعتين من سنة الفجر بـ ﴿**قل يا أيها الكافرون...**﴾، وفى الثانية بـ ﴿**قل هو الله أحد...**﴾، ويستحب فعلهما فى منزله، ثم يخرج، ويستحب

(١) مسلم فى: المساجد. حديث (٢٢٩)، وأبو داود (٤٩٨٤)، وأحمد ٢/ ١٠ و ١٩.

(٢) بنحوه: أبو داود (٤٢١)، وأحمد ٥/ ٢٣٧.

(٣) البخارى ١/ ١٥٠، والترمذى (١٦٧)، والنسائى ١/ ٢٦٦، وأحمد ١/ ٢٢١ و ٣٣٦

الاشتغال بذكر الله تعالى وترك الكلام إلا أن يكون واجبًا بعد أن يصليهما حتى يدخل فى الفريضة، والقراءة فى الركعتين بعد المغرب كالقراءة فى ركعتى الفجر، روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ أكثر من عشرين مرة يقرأ فى الركعتين بعد المغرب: ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾، و ﴿قل هو الله أحد...﴾»[١].

وروى عن طاوس رحمه الله أنه كان يقرأ فى الأولى منهما: ﴿آمن الرسول...﴾، وفى الثانية: ﴿قل هو الله أحد...﴾.

ويستحب تعجيلهما لما روى حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «عجلوا بالركعتين بعد المغرب ليرفعا مع المكتوبة»[٢] فيستحب تخفيفهما لذلك.

وفى حديث آخر قال ﷺ: «من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم رفعت صلاته فى عليين»[٣].

وقد جاء ما يدل على استحباب تطويلهما، وهو ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يطيل القراءة فى الركعتين بعد المغرب حتى يتفرق أهل المسجد»[٤].

وروى كذلك عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ فصليت معه صلاة المغرب، ثم قام فصلى إلى العشاء الآخرة، ثم انتقل إلى منزله».

وقد ورد أيضًا أن الاستحباب فى فعلهما فى المنزل، وهو ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: «إن النبى ﷺ كان يصلى الركعتين اللتين بعد المغرب فى بيتها»[٥] وكذلك عن أم حبيبة رضى الله عنها.

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ لا يصلى الركعتين بعد المغرب إلا فى بيته»[٦].

---

(١) مسلم فى. صلاة المسافرين: حديث (٩٨).
(٢) المشكاة (١١٨٥)، وكنز العمال (١٩٤١٩).
(٣) الجامع الصغير ٢/ ١٨٥، وعزاه إلى «عبد الرزاق» عن مكحول مرسلاً، ورمز له بالحرف (ض) كناية عن صعفه.
(٤) أبو داود (١٣٠١)، والبيهقى ٢/ ١٩٠، والمشكاة (١١٨٣).
(٥) بنحوه: ابن ماجه فى. إقامة الصلاة: حديث (١١٦٤).
(٦) الترمذى (٦٠٤)، وأحمد ٢/ ٨٧.

وروى سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: «لقد أدركت زمان عثمان بن عفان رضى الله عنه وإنه ليسلم من المغرب، وما أرى رجلاً واحداً يصليهما يعنى الركعتين فى المسجد، بل كانوا يبتدرون باب المسجد فيخرجون فيصلونها فى بيوتهم».

* * *

(فصل: فى فضائل الصلوات الخمس)

روى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل كل يوم منه خمس مرات هل يبقى من درنه شىء؟ قالوا: لا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله تعالى بها الخطايا»[(١)].

وعن أبى ثعلبة القرظى قال: سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول. قال رسول الله ﷺ : «يحترقون فإذا صلوا الصبح غسلت الصلاة ما كان قبلها، ثم يحترقون فإذا صلوا الظهر غسلت الصلاة ما كان قبلها، فإذا حضرت صلاة العصر غسلت ما كان قبلها، حتى ذكر ﷺ الصلوات الخمس»[(٢)].

وعن الحرث مولى عثمان بن عفان رحمه الله قال: «جلس عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم دعا بماء فتوضأ، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ وضوئى هذا، ثم قال: فمن توضأ وضوئى هذا ثم قام فصلى الظهر غفر له ما بينها وبين صلاة الصبح، ثم قام فصلى صلاة العصر غفر له ما بينها وبين صلاة الظهر، ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء الآخرة غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب، ثم لعله يبيت يتمرغ ليله، ثم إذا قام فصلى الصبح غفر له ما بينها وبين العشاء الآخرة، فإن الحسنات يذهبن السيئات، قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات الصالحات؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»[(٣)].

---

(١) البخارى ١/ ١٤١، ومسلم فى: المساجد· حديث (٢٨٣)، واحمد ٢/ ٣٧٩.

(٢) كنز العمال (١٩٠٤٣)، والترغيب ١/ ٢٣٤، ومجمع الزوائد ١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩، وعزاه إلى الطبرانى فى «الثلاثة» وقال: هو موقوف فى «الكبير» ورجاله رجال الصحيح، ومرفوع فى «الأوسط» و «الصغير»، ورجال المرفوع فيه عاصم بن بهدلة، وحديثه حسن

(٣) مجمع الزوائد ١/ ٢٩٧، وعزاه إلى «أحمد» و «أبى يعلى» و «البزار»، ورجاله رجال الصحيح غير الحارث بن عبد الله مولى عثمان بن عفان، وهو ثقة

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة مرضاة الرب، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء صلوات الله عليهم، ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وإجابة الدعاء، وقبول الأعمال، وبركة فى الرزق، وراحة الأبدان، وسلاح على الأعداء، وكراهية الشيطان، وشفيع بين صاحبها وبين مالك السموات، وسراج فى قبره، وفراش تحت جنبه، وجواب منكر ونكير، ومؤنس زائر معه فى قبره إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة كانت الصلاة ظلاً فوقه، وتاجًا على رأسه، ولباسًا على بدنه، ونورًا يسعى بين يديه، وسترًا بينه وبين النار، وحجة المؤمنين بين يدى الرب عز وجل، وثقلاً فى الميزان، وجوازًا على الصراط، ومفتاحًا للجنة، لأن الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء، وإن أفضل الأعمال كلها الصلاة لوقتها».

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصلوات الخمس عماد الدين، لا يقبل الله الإيمان إلا بالصلاة»[١].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله كم افترض الله عز وجل على عباده من الصلوات؟ قال: خمس صلوات، قال: فهل قبلهن أو بعدهن شيء؟ قال: افترض الله على عباده صلوات خمسًا ليس قبلهن أو بعدهن شيء، فحلف الرجل بالله لا يزيد عليهن ولا ينقص منهن، فقال رسول الله ﷺ: «إن صدق دخل الجنة»[٢].

وعن تميم الدارى رضى الله عنه: قال: إن رسول الله ﷺ قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن هو أكملها كتبت له كاملة، وإن لم يكن أكملها قال الله عز وجل للملائكة: انظروا هل تجدون لعبدى من تطوع فأكملوا له ما ضيع من ذلك»[٣].

وعن أنس بن حكيم الضبى قال: قال لى أبو هريرة رضى الله عنه: إذا أتيت أهلك فأخبرهم أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته المكتوبة، فإن أتمها وإلا نظر فإن كان له تطوع أكملت الفريضة بها، ثم يفعل

---

(١) جامع المسانيد ٢/٤٩٩، وأمالى الشجرى ١/٤٢

(٢) البخارى ١/١٨، ومسلم فى الإيمان حديث (٨)، وأحمد ٥/٣١٧.

(٣) ابن ماجه (١٤٢٦)، وأحمد ٤/١٠٣، وابن أبى شيبة ١٤/١٢٤ و ١٣٣ و ١٤٦

بسائر الأعمال كذلك»(١).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأول ما افترض الله تعالى على هذه الأمة الصلاة»(٢).

* * *

(فصل: فى الخروج إلى المسجد، وفضل الجماعة والخشوع فى الصلاة)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد ثم خرج إلى المسجد كتب الله عز وجل له بكل خطوة حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة، ويستبشر الله تعالى به كما يستبشر بالغائب الطويل غيبه إذا قدم على أهله»(٣).

وعن ابن عثمان النهدى عن سلمان رضى الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: من توضأ فى بيته فأحسن الوضوء ثم زارنى فى بيت من بيوتى فإياى زار وحق على المزور أن يكرم زائره»(٤).

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «جاء جبريل إلى النبى عليهما السلام فقال: بشر المشائين فى ظلم الليل إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»(٥).

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من مشى فى ظلم الليل إلى المساجد آتاه الله تعالى نوراً يوم القيامة»(٦).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «صلاة

---

(١) النسائى ١/٢٣٣، والبيهقى ٢/٣٨٧، والحاكم ١/٢٦٣.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مجمع الزوائد ٢/٢٩، مختصراً، وعزاه إلى «أبى يعلى» من طريق عبد الأعلى بن أبى المساور، وهو ضعيف.

(٤) الطبرانى ٦/٣١١، ومجمع الزوائد ٢/٣١، وعزاه إليه فى «الكبير»، وقال أحد إساديه رجاله رجال الصحيح.

(٥) الترمذى (٢٢٣)، وأبو داود (٥٦١)، وابن ماجه (٧٨١)، والبيهقى ٣/٦٣

(٦) ابن حبان (٤٢٣)، والحلية ٢/١٢، ومجمع الزوائد ٢/ ٣٠، وعزاه إلى الطبرانى فى «الكبير» من طريق جنادة بن أبى خالد، وقال: لم أجد من ترجمه وبقية رجاله ثقات وبنحوه بإسناد رجاله ثقات.

الجماعة تفضل على صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة»(١).

وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «ما بين صلاة الجماعة والفذ سبع وعشرون درجة»(٢).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يا عثمان بن مظعون من صلى الصبح فى جماعة كانت له حجة مبرورة وعمرة متقبلة، يا عثمان من صلى الظهر فى جماعة كان له خمس وعشرون صلاة كلها مثلها وسبعون درجة فى جنة الفردوس، يا عثمان من صلى العصر فى جماعة ثم ذكر الله تعالى حتى تغرب الشمس فكأنما أعتق نسمة من ولد إسماعيل، مع كل رجل منهم اثنا عشر ألفًا، يا عثمان من صلى المغرب فى جماعة كانت له خمس وعشرون صلاة كلها مثلها، وسبعون درجة فى جنة عدن، يا عثمان من صلى العشاء الآخرة فى جماعة فكأنما قام ليلة القدر»(٣).

ويستحب للرجل إذا أقبل إلى المسجد أن يقبل بخوف ووجل وخشوع وخضوع، وأن تكون عليه السكينة والوقار، وأن يحدث لنفسه فكرًا وأدبًا غير ما كان عليه، وفيه قبل ذلك من حالات الدنيا وأشغالها، وليخرج برغبة ورهبة وذل وتواضع وانكسار من غير عجب وتكبر وافتخار ورؤية الناس والخلق، وينوى بذلك التوجه إلى الله عز وجل إلى بيت من بيوته التى ﴿أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧] فما أدرك من الصلاة صلى مع الجماعة، وما فاته قضى، كذا جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء أحدكم وقد أقيمت الصلاة فليمش على هيئته، فليصل ما أدرك وليقض ما سبقه»(٤)، وفى لفظ آخر «فليمش وعليه السكينة والوقار».

فليحذر العجب فى المواظبة على العبادات والمداومة عليها، لأن ذلك يسقطه من عين الله عز وجل، ويبعده من قربه، ويعمى عليه حالته، ويزيل نور بصيرته وحلاوة ما كان يجده من قبل فى عبادته، ويكدر صفاء معرفته، وربما رد عليه عمله وقصم، لأنه روى أنه تبارك وتعالى لا يتقبل من المتكبرين عملاً حتى يتوبوا.

(١) البخارى ١/١٦٦، وأحمد ٣/٥٥٣.
(٢) كنز العمال (٢٠٢٦٧).
(٣) كنز العمال (٢٠٢٧٦).
(٤) أحمد ٣/٢٤٣.

وقد جاء فى الحديث: إن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام أحيا ليلة، فلما أصبح أعجب بقيام ليله فقال: نعم الرب رب إبراهيم، ونعم العبد إبراهيم فلما كان غداؤه لم يجد أحد يأكل معه، وكان ﷺ يحب أن يأكل معه غيره، فأخرج طعامه إلى الطريق ليمر به مار فيأكل معه، فنزل ملكان من السماء فأقبلا نحوه فدعاهما إبراهيم عليه السلام إلى الغداء، فأجاباه، فقال لهما: تقدما بنا إلى هذه الروضة، فإن فيها عينًا وفيها ماء فنتغدى عندها، فتقدموا إلى الروضة، فإذا العين قد غارت وليس فيها ماء، فاشتبه ذلك على إبراهيم عليه السلام واستحيا مما قال، إذ لم ير عين ماء، فقالا له: يا إبراهيم فادع ربك واسأله أن يعيد الماء فى العين، فدعا الله عز وجل فلم ير شيئًا فاشتد ذلك عليه، فقال لهما: ادعوا الله، فدعا أحدهما فرجع الماء فى العين، ثم دعا الآخر فأقبلت العين، فأخبراه أنهما ملكان، وأن إعجابه بقيام ليله رد دعاءه عليه فلم يستجب له.

فإذا كان هذا فعله عز وجل بخليله إبراهيم عليه السلام، فكيف فعله بغيره؟ بل يعتقد العبد أن جميع ما هو فيه من الطاعة والمسارعة إليها توفيق من الله ونعمة وفضل ورحمة ومنة، فليقم بين يديه عز وجل محترمًا خاضعًا ذليلاً، كأنه يشاهده، كما قال النبى ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1].

وقد ورد فى الحديث «أن الله عز وجل أوحى إلى عيسى ابن مريم عليهما السلام إذا قمت بين يدى فقم مقام الخائف الذليل الذام لنفسه فإنها أولى بالذم، وإذا دعوتنى فادعنى وأعضاؤك تنتفض» وكذلك روى أن الله تعالى أوحى مثل ذلك إلى موسى عليه السلام.

وروى أن ابن سيرين رحمه الله كان إذا قام إلى الصلاة ذهب دم وجهه خوفًا من الله عز وجل وفرقًا منه.

وكان مسلم بن يسار رحمه الله إذا دخل فى الصلاة لم يسمع حسًا من صوت ولا غيره، اشتغالاً بالصلاة وخوفًا من الله عز وجل.

وقال عامر بن عبد قيس: لأن تختلف الخناجر بين كتفى أحب إلىَّ من أن أتفكر فى شىء من أمر الدنيا، وأنا فى الصلاة.

وقال سعد بن معاذ رضى الله عنه: ما صليت صلاة قط فحدثت نفسى فيها بشىء

---

(١) سبق تخريجه.

من أمر الدنيا حتى انصرفت.

وقال مجاهد رحمه الله: كان ابن الزبير رضى الله عنهما إذا قام فى الصلاة كأنه عود من الخشوع.

وكان وهب بن الورد رحمه الله إذا قام يصلى كأنما يطلع فى جهنم.

وكان عتبة الغلام رحمه الله إذا قام فى الصلاة فى الشتاء ينصب العرق منه، فسألوه فى ذلك، فقال: حياء من الله عز جل.

وكان مسلم بن يسار رحمه الله يصلى فوقع الحريق فى داره وهو فى بيت منها، ففزع أهل البصرة حتى خرجوا فأطفأوه، فما عقل مسلم إلا بعدما أطفؤوها.

وقيل: إنه أيضًا كان يصلى فى الجامع، فسقطت سارية إلى جنبه ففزع منها أهل السوق، وهو لم يعقل بها.

وعن عمار بن الزبير رحمه الله: أنه كان يصلى ونعله بين يديه، وكان شسع نعله جديدًا فالتفت فى صلاته إلى الشسع، فلما فرغ من صلاته رمى بنعله ولم يلبس بعد ذلك نعلاً حتى مات رحمه الله.

وحكى عن الربيع بن خيثم رحمه الله أنه كان يصلى تطوعًا وبين يديه فرس له يساوى عشرين ألف درهم، فجاء لص فحله وذهب به، فجاء الناس من الغداة يعزونه، فقال: أما إنى كنت أرى من يحله، ولكن كنت فى شىء أحب إلى منه، فلما كان فى بعض النهار فإذا الفرس قد أقبل حتى قام بين يديه.

وروى عن النبى ﷺ «أنه صلى فى شملة سوداء فيها خيط أحمر فلما سلم قال: إن هذا الخيط ألهانى عن صلاتى».

وقد وصف الله تعالى الخاشعين فى الصلاة فى قوله تعالى: ﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢].

قال الزهرى رحمه الله: هو سكون المرء فى صلاته، وقيل: هو الذى لا يعلم من عن يمينه وشماله فى الصلاة لاشتغاله بالصلاة، ولهذا قال النبى ﷺ: «إن فى الصلاة شغلاً»(١).

---

(١) البخارى ٢/٧٨، ومسلم فى: المساجد: حديث (٣٤)، وأحمد ١/٤٠٩.

(فصل: فى المحافظة عليها وما ورد من العقوبة على من ضيعها)

روى الأعمش عن شقيق بن سلمة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلى العبد فى أول الوقت صعدت إلى السماء، ولها نور حتى تنتهى إلى العرش، تستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول: حفظك الله كما حفظتنى، وإذا صلى العبد فى غير وقتها صعدت إلى السماء لا نور لها، فتنتهى إلى السماء فتلف كما يلف الثوب الخلق، فيضرب بها وجهه ثم تقول: ضيعك الله كما ضيعتنى»[1].

وفى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ قال: «من توضأ فأبلغ الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتنى، ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور، فتفتح لها أبواب السماء حتى تنتهى إلى الله عز وجل، فتشفع لصاحبها، وإذا ضيع ركوعها وسجودها والقراءة فيها: قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتنى، ثم صعد بها ولها ظلمة حتى تنتهى إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها»[2].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ: أى الأعمال أفضل؟ قال: الصلوات لوقتهن، وبر الوالدين، والجهاد فى سبيل الله عز وجل»[3]

وعن إبراهيم بن أبى محذورة المؤذن عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول الوقت رضوان الله، وأوسط الوقت رحمة الله، وآخر الوقت عفو الله»[4].

وقال الله تعالى: ﴿فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾[الماعون ٤ ـ ٥].

قال ابن عباس رضى الله عنهما: «والله ما تركوها ولكن أخروها عن أوقاتها»

وقال سعد رضى الله عنه: «سألت النبى ﷺ عن قوله عز وجل. ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ قال ﷺ: هم الذى يؤخرون الصلاة عن وقتها».

---

(١) كنز العمال (١٩٢٦٧).

(٢) كنز العمال (١٩٠٥٣).

(٣) الطبرانى ١٠/٢٧.

(٤) البيهقى ١/٤٣٥ و ٤٣٦، والدارقطنى ١/٢٤٩ و ٢٥٠، والعلل المتناهية ١/ ٣٩٠

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا﴾ [مريم:٥٩] قال: هو واد فى جهنم، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: لا يدخله إلا من أضاع أوقات صلاته.

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: «من حافظ عليها كانت نورًا له وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة من النار، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف»[(١)].

وعن الحرث عن أمير المومنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «من تهاون بصلاته فإن الله عز وجل يعاقبه بخمس عشرة عقوبة:

ست منها قبل الموت، وثلاث عند الموت، وثلاث فى القبر، وثلاث عند خروجه من القبر.

فأما الست التى قبل الموت فأولها: أنه يرفع عنه اسم الصالحين، والثانية ترفع عنه بركة الحياة، والثالثة ترفع عنه بركة الرزق، والرابعة لا يقبل منه شىء من أعمال الخير حتى يكمل صلاته، والخامسة لا يستجاب دعاؤه، والسادسة لا يجعل له فى دعاء الصالحين نصيبًا.

وأما الثلاث التى عند الموت، فأولها: يموت عطشانًا ولو صبت فى حلقه سبعة أبحر ما روى، والثانية أنه يموت بغتة، والثالثة كأنه قد أثقل بحديد الدنيا وخشبها وأحجارها على رقبته وكتفه.

وأما الثلاث التى فى القبر: فيضيق عليه قبره، والثانية يظلم عليه القبر، والثالثة يصير عييًا بالقول.

وأما الثلاث التى عند خروجه من القبر فأولها: يلقى الله عز وجل وهو عليه غضبان، والثانية يكون حسابه شديدًا، والثالثة رجوعه من بين يدى الله عز وجل إلى النار إلا أن يعفو الله عنه»[(٢)].

* * *

(١) أحمد ٢/١٦٩، والدارمى ٢/٣٠٢، ومشكل الآثار ٢/٢٢٩.

(٢) تنزيه الشريعة ٢/١١٣

(فصل) الصلاة خطرها عظيم، وأمرها جسيم، وبالصلاة أمر الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ وأول ما أوحى الله بالنبوة، ثم بالصلاة قبل كل عمل، وقبل كل فريضة فى آيات كثيرة:

منها قوله تعالى: ﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة﴾ [العنكبوت ٤٥].

وقال عز وجل: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت ٤٥].

وقال جل وعلا: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك﴾ [طه: ١٣٢].

وخاطب جميع المؤمنين فأمرهم بالاستعانة على طاعاته كلها، بالصبر والصلاة، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة ١٥٣] ﴿وسلامًا على إبراهيم...﴾ [الانبياء ٦٩] إلى قوله: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة...﴾ [الأنبياء: ٧٢] إلى قوله: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ [الأنبياء: ٧٣] فذكر الخيرات كلها جملة وهى جميع الطاعات مع اجتناب جميع المعاصى، فأفرد الصلاة بالذكر وأوصاهم بها خاصة.

وبالصلاة أوصى النبى ﷺ أمته عند خروجه من الدنيا، فقال: «الله الله الله فى الصلاة وفيما ملكت أيمانكم»[1] فهى آخر وصيته ﷺ.

وجاء فى الحديث «أنها آخر وصية كل نبى لأمته، وآخر عهده إليهم عند خروجه من الدنيا».

فالصلاة أول فريضة فرضت عليه ﷺ وعلى أمته، وهى آخر ما أوصى به أمته وآخر ما يذهب من الإسلام، وأول ما يسأل العبد عنه من عمله يوم القيامة، وهى عمود الإسلام وليس بعد ذهابها دين ولا إسلام.

وجاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون منه الصلاة، وليصلين أقوام لا خلاق لهم»[2].

فتارك الصلاة يكفر عند إمامنا أحمد رحمه الله إذا تركها جاحدًا لوجوبها ووجب

(١) الطبرانى ١٩/ ٤٢، وابن سعد ٢/ ٢/ ٤٤، وابن السنى (٣١٦).

(٢) ابن أبى شيبة ١٥/ ١٧٥، والحلية ٥/ ٢٦٥، وتاريخ أصبهان ٢/ ٢١٣، والجامع الصغير ١/ ٩٤، وعزاه إلى «الطبرانى» ورمز له بالحرف (ح) كناية عن حسنه.

قتله لا خلاف فى مذهبه، وأما إن تركها تهاونًا وكسلاً مع اعتقاد وجوبها ودعى ليفعلها، فإن لم يفعلها حتى تضايق الوقت الذى يليها كفر وقتل بالسيف لكفره، وبعد أن يستتاب ثلاثة أيام كالمرتد فى الحالتين، ويكون ماله فيأ يوضع فى بيت مال المسلمين، ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين، وعنه: لا يجب قتله فى التهاون حتى يترك ثلاث صلوات ويتضايق وقت الرابعة، ويقتل حدًا كالزانى المحصن، وحكمه حكم أموات المسلمين يرث ماله ورثته من المسلمين.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: لا يقتل ولكن يحبس حتى يصلى فيتوب أو يموت فى الحبس.

وقال الإمام الشافعى رحمه الله: يقتل بالسيف حدًا ولا يكفر، والدليل على كفره ما ذكرنا فيما تقدم من الآيات والأخبار.

ونزيد عليها بما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «ما بين الرجل وبين الكفر والشرك إلا ترك الصلاة»[(١)].

وروى عن عبد الله بن زيد عن أبيه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا وبينهم ترك الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[(٢)].

وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ أبصر رجلاً ينقر كما ينقر الغراب، فقال: لو مات هذا مات على غير دين محمد ﷺ»[(٣)].

وعن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ترك الرجل صلاته متعمدًا كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها»[(٤)].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا من نام عن صلاة العتمة ولم يصلها تقول الملائكة: لا نامت عيناك ولا قرتا، حبسك الله بين الجنة والنار كما حبستنا»[(٥)].

---

(١) الدارقطنى ٢/ ٥٣

(٢) أحمد ٥/ ٣٥٥.

(٣) الطبرانى ٤/ ١٣٦، والمجمع ٢/ ١٢١، وعزاه إليه فى «الكبير» و «الأوسط»، وقال: رجاله ثقات

(٤) ابن عدى ١/ ٢٩٩.

(٥) كنز العمال (١٩٤٩٩).

(فصل) مروى عن الحسن البصرى رحمه الله أنه قال: كان العلماء من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: خمس وأربعون خصلة مكروهة منهى عنها فى صلاة الفريضة.

وهى: التنحنح عمدًا، والتشاغل عمدًا، والتعاطس عمدًا، وإقناع الرأس إلى السماء، لما روى عن النبى ﷺ «أنه كان يقلب بصره إلى السماء فنزلت ﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون ٢] فطأطأ رسول الله ﷺ رأسه، فكانوا يستحبون للرجل أن لا يجاوز ببصره مصلاه»[1].

ومنها إلصاق الحنك بالصدر، وفلى الثوب، والتمطى، وتنفس الصعداء، وتغميض العينين، والالتفات فى الصلاة لما روى عقبة بن عامر رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ [المعارج ٢٣] قال: إذا صلوا لم يلتفتوا يمينًا ولا شمالاً».

وقالت عائشة رضى الله عنها: «سألت رسول الله ﷺ عن التفات الرجل فى صلاته، فقال: إنما هى اختلاسة يختلسها الشيطان من صلاة العبد»[2].

وقيل: جاء طلحة، يعنى ابن مصرف إلى عبد الجبار بن وائل وهو فى القوم، فساره ثم انصرف، فقال عبد الجبار: أتدرون ما قال؟ قال: رأيتك أمس التفتّ وأنت تصلى. وقد جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ «إن العبد إذا افتتح الصلاة استقبله الله بوجهه، فلا يصرفه حتى يكون العبد هو الذى ينصرف أو يلتفت يمينًا وشمالاً»[3].

وفى حديث آخر «إن العبد ما دام فى صلاته فله ثلاث خصال. البر يتناثر عليه من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وملائكة يحفون من لدن قدمه إلى عنان السماء، ومناد ينادى: لو يعلم المصلى من يناجى ما انفتل...» أى التفت وانصرف، والالتفات مكروه جدًا، وقد قيل: إنه يقطع الصلاة، وفيه استخفاف بحرمة الصلاة وآدابها.

ومن ذلك الإقعاء فى القعود فيها، والرد على الإمام، وافتراش الذراعين فى السجود، ووضع الصدر على الفخذين فى السجود، وضم الإبطين إلى الجنبين فى السجود، بل يفرق بينهما ولا يلصقهما، لأنه مروى عن النبى ﷺ «أنه كان إذا سجد لو

(١) الطبرى ٢/ ١٣، والدر المنثور ١/ ١٤٢
(٢) البخارى ١/ ١٩١، وأبو داود فى استفتاح الصلاة: ب (٥٠)، والترمذى (٥٩)
(٣) المغنى عن حمل الأسفار ١/ ١٧٥.

مرت بهيمة تحت ذراعيه لنفذت»[١] وذلك لشدة مبالغته فى رفع مرفقيه عن ضبعيه.

وفى حديث آخر «كان رسول الله ﷺ إذا سجد يجافى بين ضبعيه»[٢].

ومن ذلك تفريق الأصابع فى السجود، بل يضمها، ووضع اليدين دون الركبتين فى الركوع، ووضع القدمين إحداهما على الأخرى، وتعليقهما من الأرض، والسدل على الإزار والسراويل، والتخليل والتلمظ، واستراط الطعام الحبة والحبتين، والقلس أن يردد ويبلع، والنفث باللسان والنفخ فى السجود، والمشى عرضًا ورفع الصوت على جليسك فى التشهد، ومعرفتك من عن يمينك ومن عن شمالك، والإيماء، والإشارة، وبلع الجشاء، أو ما يخرج من الحلق، والاستعال، والتمخط، والتبزق، والنظر فى الثياب، ومسح التراب عن الجبهة قبل أن ينصرف وتسوية الحصى أكثر من مرة واحدة، ونفض موضع السجود، والدعاء بعد التشهد إذا كنت إمامًا، والقعود فى المحراب بعد التسليم حتى ينحرف من مكانه إلى يساره، والعقد باليد بالأصابع فى الصلاة، والعبث باللحية والثوب فيها، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه»[٣].

وأبصر رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته فى الصلاة فقال: «لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه»[٤].

ونظر الحسن رحمه الله إلى رجل يعبث بالحصى وهو يقول: اللهم زوجنى من الحور العين، فقال: بئس الخاطب أن تخطب وأنت تعبث.

وقال عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله رضى الله عنه أنه قال: «لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء أو لا ترجع إليهم أبصارهم»[٥] يعنى فى الصلاة.

وقال الأوزاعى رحمه الله: يكون الرجلان فى الصلاة وبين أحدهما وبين الآخر كما بين السماء والأرض، هذا مقبل على الله تعالى بقلبه، وهذا لاه وساه».

(١) مسلم فى: الصلاة: حديث (٢٣٧)، والبيهقى ٢/ ١١٤، والحلية ٤/ ١٠

(٢) البخارى فى: الصلاة: ب (٢٧)، والأذان· ب (١٣٠)، ومسلم فى: الصلاة. حديث (٢٣٩)، وأحمد ٣/ ٢٩٤.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ فيما بين يدى من المراجع.

(٤) البيهقى ٢/ ٢٨٩، والإتحاف ٣/ ٢٣، والضعيفة (١١٠)

(٥) البخارى ١/ ١٩١، ومسلم فى: الصلاة: حديث (١١٧)، وأحمد ٢/ ٣٣٣

وقد صح الخبر عنه ﷺ أنه قال: «للمصلى من له من صلاته نصفها، فذكر إلى عشرها»[١] يعنى بذلك ما عقل منها وحضر قلبه فيها.

وفى حديث آخر أنه قال ﷺ: «لمصل أربعمائة صلاة، ولمصل مائتا صلاة، ولمصل مائة وخمسون صلاة، ولمصل سبعون صلاة، وصلاة بخمسين صلاة، وصلاة بسبع وعشرين صلاة، وصلاة بعشر صلوات، وصلاة بصلاة واحدة.

فالذى يكتب له أربعمائة صلاة فهو الذى يصلى بمكة فى البيت الحرام مع الإمام فى الجماعة بعد ألا تفوته التكبيرة الأولى.

والذى يكتب له مائتا صلاة فهو الإمام الذى يؤم الناس بعد أن يعرف أحكام الصلاة.

والذى يكتب له مائة وخمسون صلاة فهو المؤذن.

والذى له سبعون صلاة فهو الذى يستاك ويسبغ وضوءه ويصلى فى الجامع فى الجماعة.

والذى يكتب له خمسون صلاة فهو الرجل الذى يصلى فى الجامع مع الإمام فى الجماعة، ويكون قد فاتته تكبيرة الإحرام.

والذى يكتب له سبع وعشرون صلاة فهو الرجل الذى يسبغ وضوءه ويصلى فى المسجد فى الجماعة ولا تفوته تكبيرة الإحرام.

والذى يكتب له عشر صلوات فهو الرجل الذى يلحق الجماعة وقد فاتته تكبيرة الإحرام.

والذى يكتب له صلاة واحدة فهو الذى يصلى وحده فى غير جماعة.

والذى لا صلاة له هو الذى يصلى وينقر كنقر الديك ولا يتم ركوعها وسجودها، وهو الذى تطوى صلاته كالثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها، ويقال له: لا حفظك الله كما لم تحفظ صلاتك».

(فصل) وينبغى لكل مصلٍ أن يقدم النية لصلاته، ويمثل الكعبة البيت الحرام أمامه ونصب عينيه على ما تقدم بيانه فى أول الكتاب. ويتيقن قيامه بين يدى الله تعالى. ولا

---

(١) أبو داود (٧٩٦)، والإتحاف ٣/١١٦

يشك أنه بعين الله منتصب حيث يراه لقوله تعالى: ﴿الذى يراك حين تقوم * وتقلبك فى الساجدين﴾ [الشعراء. ٢١٨ ـ ٢١٩].

ولقول الرسول ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك»[1].

وينوى الصلاة الفريضة بعينها ويصفها بالأداء والقضاء، فهو أولى، ويرفع يديه إلى فروع أذنيه أو حذو منكبيه، وقد بيّنا صفة ذلك فى أول الكتاب.

وهل يضم الأصابع بعضها إلى بعض أو يفرجها على روايتين، وإذا رفع يديه وكبّر كأنه رفع الحجاب الذى بينه وبين الله تعالى، فيحصل فى المكان الذى لا يجوز التلفت فيه ولا التشاغل عنه، لعلمه أنه بعين من يرى حركته، ويعلم ما يتلجلج فى نفسه، وينطوى عليه سره وقلبه، فينظر موضع سجوده ولا يلتفت يمينًا وشمالاً، ولا يرفع رأسه إلى السماء.

وإذا قال: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، علم أنه يخاطب من هو سامع منه مقبل عليه ناظر إليه، ولا يخفى عليه موضع شعرة ولا حركة جارحة عنه.

وكذلك قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة ٥ ـ ٦] يعقل ما يقول ويدرى من يخاطب بهذا الخطاب، ولا ينسى مع ذلك الخشوع والتحفظ حذرًا من وقوع السهو عليه فيما هو قائم له وماثل فيه، ويأتى بإحدى عشرة تشديدة فى الفاتحة، ويحذر اللحن الذى يغير المعنى فيها، فإن قراءتها فريضة، وهى ركن تبطل الصلاة بتركها، ومع ذلك يرى كأنه واقف على الصراط، وأن الجنة عن يمينه بصفتها، والنار عن شماله بما فيها، وأنه بصلاته يستنجز ما وعد الله عز وجل بها إذا صحت صلاته من ثواب الجنة، ومستحصن بها من وعيد الله بعقاب النار، كل ذلك بتيقن من قلبه، وحضور من عقله، ويعتقد مع ذلك أنه يصلى صلاة مودع لا يشك أنها تعرض على الله تعالى، وأنه لا يصح له منها إلا ما يصح له عند الله فقط، ثم يأتى بقراءة ما تيسر من السور الكوامل، وهى أولى من قراءة أواخرها وأواسطها، ويكون ناصتًا إلى ما يقرأ متفهمًا إلى ما يلفظ ويتلو.

وكذلك إن كان مأمومًا ينصت إلى قراءة الإمام ويفهمها ويتعظ بمواعظها وزواجرها،

---

(١) سبق تخريجه.

ويعتقد امتثال أوامرها هكذا إلى أن تنتهى السورة.

فإذا فرغ من القراءة ثبت قائمًا وسكت حتى يرجع إليه نفسه قبل أن يركع، ولا يصل قراءته بتكبيرة الركوع، ثم يكبر ويرفع يديه إلى فروع أذنيه أو حذو منكبيه على ما بيّنا فى أول الكتاب.

فإذا انقضى التكبير حط يديه، ثم انحط من قيامه للركوع، ويلقم راحته ركبتيه، ويفرق بين أصابعه، ويعتمد على ضبعيه وساعديه، ويسوى ظهره، ولا يرفع رأسه، ولا يخفض فينكسه، فقد جاء عن النبى ﷺ «أنه كان إذا ركع لو كانت قطرة ماء على ظهره ما تحركت عن موضعها».

وجاء عنه ﷺ «أنه كان إذا ركع لو كان قدح من ماء على ظهره ما تحرك عن موضعه».

وذلك لاستواء ظهره ومبالغته فى ركوعه ﷺ، ويقول: سبحان ربى العظيم ثلاثًا وهو أدنى الكمال.

وقال الحسن البصرى رحمه الله: التسبيح التام سبع، والوسط من ذلك خمس، وأدناه ثلاث تسبيحات.

ثم يرفع رأسه مسمعًا فينتصب معتدلاً فيطمئن مترسلاً يديه، ثم ينحط للسجود فيبدأ بوضع ركبتيه على الأرض ثم يديه ثم جبهته وأنفه، ويتمكن من الأرض ويطمئن فى سجوده، ويتوجه بكل عضو منه وجزء إلى القبلة.

وجاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «أمرت بالسجود على سبعة أعظم»[1].

وفى حديث آخر «إن العبد يسجد على سبعة أعضاء، فأى عضو منها ضيعه لم يزل ذلك العضو يلعنه».

ويكون فى سجوده منقبضًا لا ينبسط على الأرض، ولا يفرش ذراعيه وينام عليهما ولا على فخذيه بل يضع أصابع يديه على الأرض حتى يحاذى بها أذنيه أو منكبيه الموضع الذى يستحب رفع اليد إليه فى التكبير فى حال القيام، ولا يضعهما حذاء رأسه، ويضم أصابعه ويوجهها نحو القبلة، ويبين العضدين عن الجنبين، والفخذين عن

(١) البخارى فى: الأذان ب (١٣٣)، ومسلم فى: الصلاة: حديث (٢٢٧ و ٢٢٩)، وأحمد ٢٧٩/١.

الساقين، والبطن عن الأرض على ما تقدم بيانه.

ويقول فى سجوده: سبحان ربى الأعلى ثلاثًا كالركوع، ثم يرفع رأسه مكبرًا، ويجلس على رجله اليسرى، وينصب اليمنى ويقول: رب اغفر لى ثلاثًا، ناظرًا إلى حجره، ثم يسجد ثانية كذلك، ثم يرفع رأسه مكبرًا من الأرض ثم يديه ثم ركبتيه معتمدًا على ركبتيه، فينهض على صدور قدميه، ولا يقدم إحدى رجليه فإنه مكروه. وقيل: إنه يقطع الصلاة مروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما، ويفعل كذلك فى الركعة الثانية، فإذا جلس للتشهد الأول جلس على رجله اليسرى، وينصب رجله اليمنى ويوجه أصابعه نحو القبلة، ويضع يده اليسرى على فخذه اليسرى، ويده اليمنى على فخذه اليمنى، ويشير بإصبعه التى تلى الإبهام وهى السبابة، ويحلق الإبهام مع الوسطى، ويقبض الخنصر والبنصر، وتكون عينه إلى إصبعه من أول تشهده إلى آخره، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان أحدكم فى الصلاة فجلس فلا يعبث بشىء، فإنه يناجى ربه»[(١)]، ولكن يجعل يده اليسرى على فخذه اليسرى، ويده اليمنى على فخذه اليمنى، ثم ليكن قلبه وبصره إلى أصبعه فإنها مذبة للشيطان، ويتشهد فيقول: «التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»[(٢)].

ثم يقوم مكبّرًا فيقرأ الفاتحة فحسب، ويركع ويسجد كذلك، ثم يصلى الركعة الرابعة كذلك، ثم يجلس للتشهد فيأتى به على ما ذكرنا.

فإذا بلغ عبده ورسوله قال: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد»[(٣)].

وعن إمامنا أحمد رواية أخرى: أنه يذكر إبراهيم ثم يذكر آله فيقول على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وهذا آخر التشهد.

---

(١) البخارى ٢/ ٨٢، ومسلم فى: المساجد: حديث (٥٤).

(٢) البخارى ١/ ٢١١، ومسلم فى: الصلاة: حديث (٥٥)، وأحمد ١/ ٣٧٦

(٣) أبو داود (٩٧٨)، والنسائى فى: السهو. ب (٤٩)، وأحمد ٤/ ٢٤٣.

ويستحب لـه أن يستعيذ من أربع فـيقول: «اللهم إنى أعوذ بك مـن عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المسيح الدجال، ومن فتنة المحيا والممات»(١).

ثم يدعو فيقول(٢): «اللهم إنى أسـألك من الخيـر كله ما علمت منه ومـا لم أعلم، وأعوذ بك من الـشر كله ما علمـت منه وما لم أعلم، اللهم إنى أسـألك من خيـر ما سألك عبادك الصالحون، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبادك الصالحون.

اللهم إنى أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل، ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [البقرة ٢٠١]، ﴿ربنا فاغـفر لنا ذنوبنا وكـفّر عنا سيئاتنا وتـوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾ [آل عمران ١٩٣ ـ ١٩٤].

وإن زاد على ذلك جاز، إلاً أن يكون إمامًا فيطول ذلك على المأمـومين. فالمستحب الاقتـصار حـفظًا لقلوبهم، لعل أن يكون فـيهم ذو الحـاجة، ثم يسلم ويدعـو لنفـسه ولوالديه وللمسلمين، ويكون فى جميع ذلك متخوفًا من عاقبتها، كيف وقد وقعت عند الله عز وجل الداعى إليها الآمر بها المثيب عليها والمعاقب عليها عند إساءتها، فإذا خرج منها عرضها على العلم.

فإن شهد لها ببراءة الساحة وسـلامة المنزلة حمد الله تعالى وأثنى عليه إذ جعله أهلاً لذلك، وإن وجد فيها نقصانًا وخللاً تاب إلى الله عز وجل واستغفر الله وتأهب واجتهد فى التحفظ فى التى بعدها.

وللصلاة المقـبولة عـلامة بيّنة وللمردودة عـلامة بينة فعـلامة المقـبولة نهيـها وكفـها لصاحبها عن الفواحش والمناكر، وترغيبه فى الخير، وتجديد نيته فى الصلاة والازدياد من الطاعات وفعل الخـيرات، والرغبة فى المثوبات، وارتداعه عن الأسـواء وكراهة المعاصى والخطيئات، لـقول الله عز وجل: ﴿إن الصـلاة تنهى عن الفحـشاء والمنكر ولذكـر الله أكبر﴾ [العنكبوت:٤٥] وهذا الذى ذكرنا يشتـرك فيه الإمام والمأموم والمنفرد. فـأما شرائط الصلاة وواجباتها ومسنوناتها فقد ذكرناها فى أول الكتاب.

* * *

(١) البخارى ١/ ٢١١، ومسلم (٢٨٩)، وأحمد ١/ ٣٠٥.

(٢) ابن ماجه (٣٨٤٦)، وأحمد ٦/ ١٤٧.

(فصل: فيما يختص بالإمام)

ولا ينبغى للرجل أن يكون إمامًا حتى تكون فيه هذه الخصال التى نذكرها.

وهى ألا يحب أن يتقدم وهو يجد من يكفيه ذلك، ولا يتقدم وهناك من هو أفضل منه، لأنه جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا أمّ القوم رجل وخلفه من هو أفضل منه لم يزالوا فى سفال».

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لأن أقدم فتضرب عنقى ولا يقربنى ذلك من إثم خير من أن أتقدم قومًا فيهم أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه، وأن يكون قارئًا لكتاب الله، فقيهًا فى دين الله، بصيرًا بسنة رسول الله ﷺ لأنه جاء فى الحديث «اجعلوا أمر دينكم إلى فقهائكم، وأئمتكم قراؤكم»، وقال النبى ﷺ: «يؤمكم خياركم فإنهم وفودكم إلى الله عز وجل»[(١)].

وإنما خصهم ﷺ بذلك لأنهم أهل الدين والفضل والعلم بالله عز وجل والخوف من الله تعالى، الذى يعنون بصلاتهم وصلاة من خلفهم، ويتقون ما يلزمهم من وزر أنفسهم ووزر من خلفهم إن أساؤوا فى صلاتهم، وما أراد ﷺ بالقراء الحفظة للقرآن فحسب من غير أن يعملوا به، وإنما أراد ﷺ العمال بالقرآن مع حفظه، وقد جاء فى الحديث: «إن أحق الناس بهذا القرآن من كان يعمل به وإن كان لا يقرؤه».

وقد يحفظ القرآن من لا يعمل به ولا يعبأ بإقامة حدوده مما فرض الله عليه من العمل به وما نهاه من النهى عنه، فلا نعنى نحن به ولا كرامة له، قال النبى ﷺ: «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه»[(٢)].

فلا يجوز للناس أن يقدموا عليهم فى صلاتهم إمامًا إلا أعلمهم بالله وأخوفهم له، فإن خالفوا وقدموا غيره لم يزالوا فى سفال وإدبار وانتقاص فى دينهم وبعد من الله تعالى ومن رضوانه وجنته.

فرحم الله قومًا عنوا بدينهم وصلواتهم، فقدموا خيارهم واتبعوا فى ذلك سنة نبيهم

---

(١) بنحوه الإتحاف ٣/ ١٧٥

(٢) الترمذى (٢٩١٨)، والطبرانى ٨/ ٣٦، ومجمع الزوائد ١/ ١٧٧، وعزاه إليه ـ الطبرانى ـ فى «الكبير» من طريق محمد بن يزيد بن سنان الرهاوى، وقال ضعفه البخارى وغيره، وذكره ابن حبان فى «الثقات»، وأبوه يزيد ضعفه أبو داود وغيره، وقال البخارى: مقارب الحديث.

ﷺ، وطلبوا بذلك القربة إلى ربهم تبارك وتعالى.

وينبغى أن يكون الإمام حافظًا للسانه من عيب الناس عليه وغيبتهم إلاً من الخير، ويكون يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويجتنبه، ويحب الخير وأهله، ويبغض الشر وأهله، عارفًا بمواقيت الصلاة محافظًا عليها، مقبلاً على شأنه، عفيف البطن والفرج، منقبض اليد عن الحرام، قليل السعى إلا فى ابتغاء مرضاة الله عز وجل، وقورًا حمولاً صبورًا على الأذى، يغضى عن الشر ويحتمل ممن يتكلم فيه، ويصبر على من يجهل عليه، ويحسن إلى من أساء إليه، ويكون غضيض الطرف عن المحارم، إن رأى عورة سترها، وإن رأى مخزية دفنها، يعرض عن الجاهلين ويقول لهم: اللهم سلامًا، الناس منه فى راحة، وهو من نفسه فى عناء، حريصًا على فكاك رقبته، مجدًا فى خلاص نفسه، ويعلم أنه قد بلى بشىء عظيم جليل خطره، كبير شأنه.

وليكن همه ما قد كلف به من عظيم قدر الإمامة وخطر قدرها وخيرها، وليكن قليل الكلام إلا فيما يعنيه، له حال وللناس حال، إذا قام فى محرابه علم أنه قائم فى مقام النبيين، وخليفة سيد المرسلين، ويناجى رب العالمين.

يتحرى الاجتهاد لتمام الصلاة وليسلم من خلفه، ممن تقلد إمامته، خفيف الصلاة فى تمام، يصلى بصلاة أضعفهم، فيرى فى نفسه أنه دونهم وأنه مبتلى بإمامتهم، وأن الله تعالى يسأله عن أداء الفرائض عن نفسه وعنهم.

وهو بتقدمه باك على خطيئته، نادم على ما سلف من تفريطه وقديم أيامه، وما انقضى من أوقاته، لا يتكبر على من خلفه، ولا يتجبر على من هو دونه، ولا يغضب حمية لنفسه، إذا قيل ما فيه وما هو عنه برىء، ولا يحب حمدهم ولا يكره ذمهم، فتكون الجماعة عنده فى الحالين سواء، لم يجرب عليه كذبة، طيب الطعام، نظيف اللباس، متواضعًا فى لبسه متخاشعًا فى جلسته، غير محدود فى الإسلام، ولا ذا ريبة فى الأنام، ولا غمازًا على أخيه عند السلطان، ولا هو ساع إلى الشر، ولا ذى غمز فى حقه، ولا خائن فى وديعته وتجارته وعاريته، ولا يتقدم وهو خبيث المطعم والمكسب، ولا يتقدم وهو يشتهى الإمامة، ولا يتقدم وهو يعلم أن فيه حسدًا ولا بغيًا ولا حقدًا ولا إحنة ولا غلاً ولا رجاء ولا طالبًا لثأر، ولا منتصرًا لنفسه، ولا متشفيًا من غيظ، ولا متتبعًا عورة رجل مسلم، ولا غاشًا لأحد من أمة محمد ﷺ.

ولا يتكلم فى فتنة ولا يسعى فيها ولا يقويها، بل يعين أهل الحق على أهل الباطل بيده ولسانه وقلبه، يقول الحق وإن كان مرًا، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ولا يحب مدح الناس له، ولا يكره ذمهم، ولا يخص نفسه بشىء من الدعاء، بل يعمم الدعاء له ولهم وقت ما يدعو عقيب الصلاة بهم، فإن أفرد نفسه بذلك كان خيانة منه لهم، ولا يؤثر بعضهم على بعض إلا أولى العلم، كما قال النبى ﷺ: «ليلينى أولو الأحلام والنهى»[1].

وكذلك الذين يلونهم وراء ظهره، ولا يقرب الغنى ويزرى بالفقير، ولا ينبغى له أن يتقدم بقوم وفيهم من يكره إمامته، فإن كان فيهم من يكرهه ومن لا يكرهه نظر، فإن كان الأكثر يكرهونه اعتزل المحراب ولا يقربه، هذا إذا كانت كراهتهم له بعلم وحق، وإن كانت بجهل وباطل ورعونة نفس وعصبية لمذهب أو هوى لم يلتفت إلى كراهتهم، ولا يترك الصلاة بهم إلا أن يخاف الفتنة فى القوم لأجله، فيتنحى ويعتزل المحراب لذلك حتى يصطلحوا أو يرضوا، ولا ينبغى له أن يكون مماريًا ولا حلافًا ولا لعانًا، ولا يدخل مداخل السوء والتهم، ولا يأنف ولا يخالط من الناس إلا الصالحين، ولا ينبغى له أن يكون إمامًا وهو يحب الفتنة وأهلها، والعصبية وأهلها، والرياسة وأهلها، وينبغى أن يكون صبورًا على أذية الناس متوددًا إليهم، طالبًا لمنفعتهم، مجتهدًا فى نصيحتهم، لا يمارى على الإمامة ولا يقاتل عليها من كفاه عظيم مؤنتها.

ولقد نقل عن الأكابر ممن تقدم من السلف الصالحين أنهم كرهوا الإمامة وقدموا من ليس هو مثلهم فى الشرف والديانة ابتغاء حمل المؤنة عنهم وتخفيفًا، وخيفة من تقصير يقع لهم.

وينبغى للإمام إذا حضر عنده ذو سلطان ألا يتقدم عليه فى الصلاة إلا بإذنه ، وكذلك لا يجلس إلا بإذنه، وإذا نزل بقرية أو محلة أو قبيلة أو حى من أحياء العرب لا يؤمهم إلا بإذنهم، وكذلك إذا اتفق مع قوم فى قافلة وسفر ومجمع لا يؤمهم إلا بإذنهم.

وينبغى للإمام ألا يطيل الصلاة بل يخففها مع التمام لما روى عن أبى هريرة رضى

---

(١) أبو داود فى: الصلاة. ب (٩٦)، والترمذى (٢٢٨)، والنسائى فى: الإمامة. ب (٢٣ و ٢٦)، وأحمد ٤٥٧/١.

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أحدكم إمامًا فليخفف، فإنه يقوم وراءه الصغير والكبير وذو الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطل ما شاء»(١).

وعن أبي واقد رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ من أوجز الناس صلاة على الناس، وأدومه على نفسه»(٢).

(فصل) وينبغي للإمام ألا يدخل في الصلاة ولا يكبّر حتى ينوي الإمامة بقلبه. وإن تلفظ ذلك بلسانه كان أحسن، ويلتفت يمينًا وشمالاً فيسوي الصفوف فيقول: استووا رحمكم الله، واعتدلوا رضي الله عنكم، ويأمرهم بسد الفُرَج وتسوية المناكب ودنو بعضهم إلى بعض حتى تتماس مناكبهم، لأن اختلاف المناكب واعوجاج الصفوف نقص في الصلاة وحضور الشياطين وقيامهم مع الناس في الصفوف، جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «راصوا الصفوف وحاذوا المناكب وسدوا الخلل حتى لا يقوم بينكم مثل أولاد الحذف»(٣) يعني مثل أولاد الغنم من الشياطين.

وقد كان النبي ﷺ إذا قام مقامه إلى الصلاة لم يكبر حتى يلتفت يمينًا وشمالاً، فيأمرهم بتسوية مناكبهم ويقول: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»(٤).

ورأى ﷺ يومًا رجلاً قد خرج صدره من الصف فقال: «لتسون مناكبكم أو ليخالفن الله تعالى بين قلوبكم»(٥).

وفيما اتفق عليه مسلم والبخاري رحمهما الله عن سالم بن أبي الجعد رحمه الله قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله تعالى بين وجوهكم»(٦).

وفي حديث آخر عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة»(٧).

---

(١) أحمد ٢/ ٥٠٢، وبنحوه: النسائي ٢/ ٩٤، وأحمد ٢/ ٢٧١.

(٢) تاريخ أصفهان ٢/ ١٨٠، وأحمد ٣/ ١٠٠.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أبو داود (٦٦٤ و ٦٧٥)، والنسائي في: الإمامة: ب (٢٣ و ٢٥)، وابن ماجه (٩٧٦)، وأحمد ٤/ ٢٨٥.

(٥) البخاري ١/ ١٨٤، ومسلم في: الصلاة: حديث (١٢٧ و ١٢٨)، وأحمد ٤/ ٢٧١.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) البخاري ١/ ١٨٤، ومسلم في: الصلاة حديث (١٢٤)، وأحمد ٣/ ١٧٧

وجاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان إذا قام مقام الإمام لا يكبّر حتى يأتيه رجل قد وكله بإقامة الصفوف فيخبره أنهم قد استووا فيكبّر حينئذ. وكذلك كان يفعل عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

وروى أن بلالاً المؤذن رضى الله عنه كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة حتى يستووا.

وقال بعض العلماء: إن الظاهر من هذا أنه كان يفعل ذلك على عهد رسول الله ﷺ عند إقامته قبل أن يدخل فى الصلاة لأن بلالاً رضى الله عنه لم يؤذن لأحد بعد النبى ﷺ إلا يومًا واحدًا عند مرجعه من الشام فى زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، بسؤاله وسؤال الصحابة رضى الله عنهم شوقًا إلى رسول الله ﷺ وعهده، فلما بلغ بلال رضى الله عنه إلى قوله: أشهد أن محمدًا رسول الله، امتنع من الأذان فلم يقدر عليه، فسقط مغشيًا عليه حبًا للنبى ﷺ وشوقًا إليه، واشتد عند ذلك بكاء أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتى خرجت العواتق من خدورهن شوقًا إلى النبى ﷺ، فثبت بذلك أن ضربه لعراقيب الناس كان على عهد رسول الله ﷺ.

وينبغى للإمام ألا يدخل طاق القبلة فيمنع من وراءه رؤيته، بل يخرج منه قليلاً.

وعن إمامنا أحمد رحمه الله رواية أخرى: أنه يستحب قيامه فيه، ولا يقف مقامًا أعلى من مقام المأمومين، فإن فعل فهل تبطل صلاته على وجهين.

وينبغى له إذا سلم من صلاته ألا يلبث فى محرابه، وليقم وليتنح إلى يساره، فليأت بتنفله ناحية من المحراب، لما روى المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ قال: «لا يتطوع الإمام فى مقامه الذى يصلى فيه بالناس المكتوبة»[1] وأما المأموم فجائز له ذلك، وهو مخير إن شاء صلى فى موضعه أو يتأخر قليلاً.

وينبغى أن تكون له سكتتان سكتة عند افتتاح الصلاة وسكتة إذا فرغ من القراءة قبل أن يركع حتى يتنفس ويسكن وهج قراءته، ولا يصل قراءته بتكبيرة الركوع، لأن ذلك مروى عن النبى ﷺ فى حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه.

وينبغى إذا صلى إلى سترة أن يدنو منها، ولا يدع بينه وبينها فرجة بعيدة لئلا يمر بينهما كلب أسود بهيم أو حمار أو امرأة، فإن صلاته تنقطع بذلك عند أحمد إمامنا

(١) البخارى ١/ ٢١٥، وابن عساكر ٦/ ٣٢٤.

رحمه الله. وعنه فى المرأة والحمار رواية أخرى لا بأس بهما.

وينبغى له إذا ركع سبح ثلاث تسبيحات على ما ذكرنا، ولا يسرع فيها ولا يبادر، وليكن بتمام من كلامه، وبتأييد وتمكن، لأنه إذا أسرع بالتسبيح لم يدركه من خلفه، فيؤدى ذلك إلى مسابقة المأموم فتفسد صلاتهم، فيرجع وررهم إليه.

وكذلك ينبغى له إذا رفع رأسه من الركوع وقال: «سمع الله لمن حمده» ثبت قائمًا معتدلاً ويقول: «ربنا ولك الحمد» من غير عجلة فى كلامه حتى يدركه المأمومون، وإن زاد على ذلك فقال: ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شىء بعد، جاز لأن ذلك مروى عن النبى ﷺ[1].

وجاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع يقوم حتى يقال قد نسى»[2].

وكذلك يثبت فى السجود وفى الجلسة بين السجدتين ليدركه من خلفه فى الركن.

ولا نظر إلى قول من يقول: إذا فعل ذلك سبقه المأموم فبطلت صلاته، إذا تكرر ذلك منه، ففى ذلك فساد لأن الناس إذا رأوه يديم ذلك ويواظب عليه علموا أن التثبيت دأبه فثبتوا له ولم يبادروا، ثم يقال للإمام: يستحب لك أن تخوفهم قبل الشروع فى الصلاة وتحذرهم من مسابقتك، على ما نذكره فى الفصل الذى يليه، فلا يؤدى ذلك إلى فساد بل إلى مصلحة عامة وتمام صلاة الجميع، وقد جاء فى الحديث «إن كل مصل راع ومسؤول عن رعيته».

وقيل: إن الإمام راع لمن يصلى بهم، فعلى الإمام النصيحة لمن يصلى خلفه، وينهاهم عن المسابقة فى الركوع والسجود، ويحسن أدبهم إذ هو راع لهم ومسؤول غدًا عنهم، ويتم صلاته ويحكمها ويحسنها حتى يكون له مثل أجر من يصلى خلفه، وإلا عليه مثل أوزارهم إذا أساء وقصر.

(فصل) ويجب على المأموم أن ينوى الائتمام، ويقف على يمين الإمام ولا يقف قدامه ولا عن يساره، فإن كانوا جماعة فالسنة أن يقفوا خلفه، فإن كبّر عن يمينه وجاء آخر فإنه يكبر معه ويحصل معه صفًا ثم يخرجان وراء الإمام، فإن كبّر الثانى أخرجهما الإمام بيده إلى ورائه، ولا يتقدم هو عن موضعه إلا أن يكون وراءه ضيق، وإذا حضر

---

(١) مسلم فى الصلاة: حديث (٢٠٥ و ٢٠٦)، والنسائى ٢/ ١٩٥، والبيهقى ٢/ ٩٤

الجماعة فوجد فى الصف فرجة دخل فيها، وإن لم يجد وقف عن يمين الإمام، ولا يجذب رجلاً فيقوم معه صفًا لأنه يؤدى إلى الهرج والفتنة والبغضاء والعداوة، ولأنه يؤدى ذلك إلى بطلان صلاة المجذوب، لأنه يصير فذًا بذلك، وذلك يبطل الصلاة عندنا، ولكن يجتهد فيحصل كتفيه فى الصف، فيكبر ويحرم بالصلاة، ثم يخرج مع واحد منهم إلى وراء الصف، وإذا دخل المسجد والإمام فى الركوع كبّر تكبيرتين: إحداهما للإحرام، والأخرى للركوع، فإن كبّر واحدة ونواهما جاز، وإذا دخل والإمام فى التشهد الأخير استحب له أن ينوى الصلاة ويكبر ويجلس مع الإمام ليدرك فضل الجماعة، فإذا سلم الإمام بنى على تكبيرته وصلى.

(فصل) وينبغى للمأموم أيضًا ألا يسبق الإمام فى التكبير ولا فى الركوع والسجود ولا فى الرفع عنهما، ويحذرُ ذلك جداً، ويجتهد وسعه ويبذل طاقته أن تكون أفعاله جميعها فى الصلاة عقيب فعل إمامه.

وقد جاء فى ذلك أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

من ذلك ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أما يخاف الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار»(١).

وفى حديث آخر عنه ﷺ أنه قال: «الإمام يركع قبلكم ويسجد قبلكم ويرفع قبلكم»(٢).

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «كنا خلف النبى ﷺ فكان إذا انحط من قيامه للسجود لا يحنى أحد منا ظهره حتى يضع رسول الله ﷺ جبهته على الأرض، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يلبثون خلفه قيامًا حتى ينحط النبى ﷺ ويكبّر ويضع جبهته على الأرض وهم قيام ثم يتبعونه».

وقد جاء عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم قالوا: «لقد كان رسول الله ﷺ يستوى قائمًا وإنا لسُجَّدٌ بعد».

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما يخشى الذى يرفع

(١) أحمد ٢/ ٤٧٢، وبنحوه: البخارى ١/ ١٧٧، ومسلم فى: الصلاة: حديث (١١٤).
(٢) بنحوه. البخارى ١/ ١٧٧، ومسلم فى: الصلاة: حديث (٨٢)، وأحمد ٦/ ٥١.

رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار أو رأس خنزير».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار».

وروى أن ابن مسعود رضى الله عنه نظر إلى من سبق الإمام فقال: لا وحدك صليت ولا بإمامك اقتديت، والذى لم يصل وحده ولم يقتد بإمامه فذلك الذى لا صلاة له.

وكذلك روى أن ابن عمر رضى الله عنهما نظر إلى من سبق الإمام فقال له: ما صليت وحدك ولا صليت مع الإمام، ثم ضربه وأمره أن يعيد الصلاة.

وعن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبّر فكبّروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع رأسه فارفعوا رؤوسكم، وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا جميعًا: اللهم ربنا لك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، ولا تسجدوا قبل أن يسجد، وإذا رفع رأسه فارفعوا رؤوسكم، ولا ترفعوا رؤوسكم قبل أن يرفع وإذا صلى جالسًا فصلوا أجمعون جلوسًا»(١).

وروى إمامنا أبو عبد الله أحمد رحمه الله فى رسالة له بإسناده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه صاحب رسول الله ﷺ أنه قال: «إن رسول الله ﷺ علمنا صلاتنا وعلمنا ما نقول فيها، قال رسول الله ﷺ: «إذا كبّر الإمام فكبروا، وإذا قرأ فانصتوا، وإذا قال: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين...﴾ فقولوا: «آمين»، يجبكم الله، وإذا كبّر فكبّروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع رأسه فقال: سمع الله لمن حمده، فارفعوا رؤوسكم وقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، يسمع الله لكم، وإذا كبّر وسجد فكبّروا واسجدوا، وإذا رفع رأسه وكبّر فارفعوا رؤوسكم وكبّروا، قال رسول الله ﷺ: فتلك بتلك، وإذا كان فى القعدة فليكن من قول أحدكم: التحيات لله والصلوات والطيبات، حتى تفرغوا من التشهد»(٢).

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى رحمه الله، وأماتنا على مذهبه أصلاً وفرعًا، وحشرنا فى زمرته: قول النبى ﷺ: «إذا كبّر فكبّروا» معناه أن ينتظروا الإمام حتى يكبّر ويفرغ من تكبيره وينقطع صوته ثم يكبّرون بعده، والناس

---

(١) البخارى ١/١٠٦، ومسلم فى الصلاة حديث (٧٧)، وأحمد ٢/ ٤٢٠

(٢) أحمد ٢/٤٣٨، والطبرانى ٨/١٩٣.

يغلطون فى هذه الأحاديث ويجهلونها مع ما عليه عامتهم من الاستخفاف بالصلاة والاستهانة بها، فتارة يأخذ الإمام فى التكبير فيأخذون معه فى التكبير، وهذا خطأ لا ينبغى لهم أن يأخذوا فى التكبير حتى يكبّر الإمام ويفرغ من تكبيره وينقطع صوته وهكذا قال النبى ﷺ: «إذا كبّر الإمام فكبروا» والإمام لا يكون مكبراً حتى يقول: الله أكبر، لأن الإمام لو قال الله ثم سكت لم يكن مكبّرًا حتى يقول: الله أكبر فيكبّر الناس بعد قوله: الله أكبر، فأخذهم فى التكبير مع الإمام خطأ، وترك لقول النبى ﷺ، لأنك لو قلت إذا صلى فلان فكلمه كان معناه أن انتظره حتى إذا صلى وفرغ من صلاته كلمته، وليس لك أن تكلمه وهو يصلى، وكذلك معنى قول النبى ﷺ: «إذا كبّر الإمام فكبّروا» وربما طول الإمام فى التكبير إذا لم يكن له فقه، والذى يكبر معه ربما جزم التكبير ففرغ من التكبير قبل أن يفرغ الإمام، فقد صار هذا مكبّرًا قبل الإمام، ومن كبّر قبل الإمام فليست له صلاة، لأنه دخل فى الصلاة قبل الإمام وكبّر قبل الإمام فلا صلاة له.

وقول النبى ﷺ: «إذا كبّر وركع فكبّروا واركعوا» معناه: أن ينتظروا الإمام حتى يكبّر ويركع وينقطع صوته، وهم قيام ثم يتبعونه.

وقول النبى ﷺ: «فإذا رفع رأسه وقال: سمع الله لمن حمده فارفعوا رؤوسكم وقولوا: اللهم ربنا لك الحمد» معناه: أن ينتظروا الإمام ويثبتوا ركوعًا حتى يرفع الإمام رأسه ويقول: سمع الله لمن حمده، وينقطع صوته وهم ركوع، ثم يتبعونه فيرفعون رؤوسهم ويقولون: اللهم ربنا لك الحمد.

وقوله: «فإذا كبّر وسجد فكبروا واسجدوا» معناه: أن يكونوا قيامًا حتى يكبّر وينحط للسجود ويضع جبهته على الأرض وهم قيام، ثم يتبعونه. وكذلك جاء عن البراء بن عازب رضى الله عنهما، وهذا كله موافق لقول النبى ﷺ: «الإمام يركع قبلكم ويسجد قبلكم ويرفع قبلكم».

وقوله: «إذا كبّر ورفع رأسه فارفعوا رؤوسكم وكبّروا» معناه: أن يثبتوا سجودًا حتى يرفع رأسه ويكبر، فإذا انقطع صوته وهم سجود اتبعوه فرفعوا رؤوسهم.

وقول النبى ﷺ: «فتلك بتلك» يعنى: انتظاركم إياه قيامًا حتى يكبر ويركع وأنتم قيام فتتبعونه، وانتظاركم إياه ركوعًا حتى يرفع رأسه ويقول: سمع الله لمن حمده وأنتم

ركوع، فإذا قال: سمع الله لمن حمده وانقطع صوته وأنتم ركوع اتبعتموه فرفعتم رؤوسكم وقلتم ربنا لك الحمد.

وقول النبى ﷺ: «فتلك بتلك» فى كل رفع وخفض، وهذا تمام الصلاة فاعقلوه وأبصروه وأحكموه، واعملوا أن كثيرًا من الناس يوم القيامة ما تكون لهم صلاة لسبق الإمام بالركوع والسجود والرفع والخفض. وقد جاء فى الحديث «أنه يأتى على الناس زمان يصلون ولا يصلون» ويوشك أن يكون زماننا هذا، فإن الغالب عليهم مسابقة الإمام وتضييع أركان الصلاة وواجباتها ومسنوناتها وتمامها.

(فصل) ويجب على من رأى من يقصر فى صلاته ويسقط أركانها وواجباتها وآدابها أن يعظه ويعلمه وينصحه ليصلح فيما بقى ويستغفر عما مضى، فإن لم يفعل كان شريكه فى ذلك وعليه وزره وإثمه. وقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه»[1].

فلولا أن تعليم الجاهل واجب على العالم ولازم له وفرض عليه لما توعده ﷺ بالويل فى السكوت عنه، لأن الوعيد لا يستحقه إلا من ترك الواجب والفرض دون النفل.

وجاء فى الحديث عن بلال بن سعد أنه قال: الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة، وذلك لتركهم ما لزمهم من التغيير والإنكار على من ظهرت الخطيئة منه وسكوتهم عنه، فلما سكتوا تفاقم الأمر والوبال على الجميع، وشارك المحسن المسىء فى إساءته إذا لم ينهه وينصحه.

وقد ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: من رأى من يسىء فى صلاته فلم ينهه شاركه فى وزرها وعارها ويكون موافقًا للشيطان اللعين، لأنه يريد أن يسكت عن الكلام فى ذلك، وأن يترك التعاون على البر والتقوى اللذين أوصى الله تعالى بهما فى قوله عز وجل: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [المائدة ٢] والنصيحة التى هى واجبة عليهم بعضهم لبعض، ويريد أن يضمحل الدين ويذهب الإسلام، ويأثم الخلق كلهم، فلا ينبغى للعاقل أن يطيع الشيطان، قال الله عز وجل: ﴿يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ [الأعراف.٢٧]، وقال جل وعلا: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ [فاطر ٦].

(١) الإتحاف ٢/٣٢٧، وكشف الخفاء ٢/٤٨١

واعلم أن جميع ما يوجد من النقص فى الصلاة والزكاة وسائر العبادات لسكوت أهل العلم والفقه والتصبر عنهم وترك النصيحة والتعليم والتأديب، فينشأ ذلك أولاً من أهل الجهل، ثم يعم أهل العلم وينسب إليهم.

ومن العجب لو أن رجلاً رأى من يسرق حبة واحدة أو رغيفًا من إنسان يهودى أو مسلم لم يتمالك من نفسه حتى يصيح عليه ويزجره ويقبح له ذلك، وإذا رأى من يصلى ويسرق أركان الصلاة ويسقطها مع الواجب ويسابق الإمام سكت عنه ولا ينطق، فينكر عليه ويعلمه ويستهين أمره.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «شر الناس سرقة الذى يسرق من صلاته، قالوا: يا رسول الله، وكيف يسرق من صلاته؟ قال ﷺ: لا يتم ركوعها ولا سجودها»(١).

وعن الحسن البصرى رحمه الله قال: إن النبى ﷺ قال: «ألا أخبركم بشر الناس سرقة؟ قالوا: بلى، من هو يا رسول الله؟ قال ﷺ: الذى لا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها»(٢).

وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه: الصلاة مكيال، فمن وَفَّى وُفِّى له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى فى المطففين.

وعن عبد الله بن على أو على بن شيبان رضى الله عنه، وكان من الوفد الذين وفدوا إلى رسول الله ﷺ قال: قال النبى ﷺ: «لا ينظر الله إلى صلاة عبد لا يقيم صلبه فى ركوعه وسجوده»(٣).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «إن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد فصلى، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فسلم عليه، فرد عليه السلام وقال: ارجع فصل فإنك لم تصل فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم، فقال له رسول الله ﷺ: ارجع فصل فإنك لم تصل، ففعل ذلك ثلاث مرات، فقال: والذى بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمنى، فقال رسول الله ﷺ: إذا قمت إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسر

---

(١) أحمد ٥/ ٣١٠، والطبرانى ٣/ ٢٧٣، والحاكم ١/ ٢٢٩، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبى.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أحمد ٢/ ٥٢٥، ومجمع الزوائد ٢/ ١٢٠ وعزاه إليه، وإلى الطبرانى فى «الكبير»، وقال: رجاله ثقات

معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اصنع ذلك فى صلاتك كلها»[1].

وفى حديث آخر عن رفاعة بن رافع رضى الله عنه قال: «بينما نحن جلوس حول رسول الله ﷺ إذ دخل رجل فاستقبل القبلة فصلى، فلما قضى صلاته جاء فسلم على النبى ﷺ وعلى قومه، فقال له رسول الله ﷺ: ارجع فصل فإنك لم تصل، أمره بذلك مرتين أو ثلاثًا، فقال الرجل: ما ألوتُ قدرتى فلا أدرى ما عنيت من صلاتى، فقال رسول الله ﷺ: لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمر الله تعالى فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح رأسه ويغسل رجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله تعالى ويحمده، ثم يقرأ من القرآن ما أذن له فيه، ثم يكبر فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخى، ثم يقول: سمع الله لمن حمده، ويستوى قائمًا حتى يقيم صلبه، ويأخذ كل عضو مأخذه، ثم يكبر ويسجد ويمكن وجهه حتى تطمئن مفاصله وتسترخى، ثم يكبر ويستوى قاعدًا على مقعده ويقيم صلبه، فوصف صلاته هكذا أربع ركعات، حتى فرغ، ثم قال: لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل كذلك»[2].

فقد أمر النبى ﷺ بإتمام الصلاة والركوع والسجود، وأخبر أن الصلاة لا تقبل إلا هكذا وما وسعه ﷺ السكوت حين رأى الرجل يصلى صلاة ناقصة، فلو جاز تأخير البيان عن وقت الحاجة وترك الإنكار على الجاهل وتعليمه لسكت النبى ﷺ، ووكل ذلك إلى ما قد بين من قبل الصحابة رضى الله عنهم وتجاوز عنه، فلما بالغ فى ذلك الإنكار عليه والتعليم له دل على وجوب ذلك، وتنبيهه ﷺ من حضره من الصحابة رضى الله عنهم أن يفعلوا كذلك إذا رأوا من يفعل فى صلاته مثل ما فعل ذلك الرجل ويعلموا أصحابهم، وأصحابهم لأصحابهم كيفية أحكام الشرع إلى أن تقوم الساعة.

(فصل) ويجب على المؤذن أن يصلح من لسانه ما لا يلحن فى الشهادتين، ويكون عارفًا بالأوقات، وألا يؤذن إلا بعد دخول الوقت إلا فى الفجر خاصة ويحتسب بأذانه وجه الله تعالى، ولا يأخذ على أذانه أجرًا، ويستقبل القبلة بوجهه فى التكبير

---

(١) البخارى ١/١٩٢، ومسلم فى: الصلاة: حديث (٤٥)، وأحمد ٢/٤٣٧

(٢) سبق تخريجه بنحوه.

والشهادتين، ويولى وجهه يمينًا وشمالاً فى الدعاء إلى الصلاة، وإذا أذن لصلاة المغرب جلس بين الأذان والإقامة جلسة خفيفة، ويكره له أن يؤذن وهو جنب أو محدث، ولا ينبغى له أن يشق الصفوف إذا فرغ من الإقامة ليقوم فى الصف الأول.

وينبغى له أن يقيم موضع الأذان، إلا أن يشق عليه مثل أن يكون قد أذن فى منارة، فإنه يقيم مواضع الصلاة، أو حيث تيسر له.

(فصل) فرحم الله من أقبل على صلاته خاشعًا خاضعًا ذليلاً لله عز وجل خائفًا واعيًا راغبًا وجلاً مشفقًا راجيًا، وجعل أكثر همته فى صلاته لربه تعالى، ومناجاته إياه وانتصابه بين يديه قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا، وفرغ لذلك قلبه وثمرة فؤاده، واجتهد فى أداء فرائضه، فإنه لا يدرى هل يصلى صلاة بعد التى هو فيها أو يعاجل عليه بوفاته قبل ذلك، فقام بين يدى ربه عز وجل محزونًا مشفقًا يرجو قبولها، ويخاف ردها، إن قبلها سعد وإن ردها شقى، فما أعظم خطرك يا أيها المؤمن المتحلى بأنوار الإسلام فى هذه الصلاة وفى غيرها من عملك، وما أولاك من الهم والحزن والخوف والوجل فيها وفيما سواها، مما افترض عليك، أنك لا تدرى هل قبلت منك صلاة أو حسنة قط أم لا؟ وهل غفرت لك سيئة أم لا؟ وأنت مع ذلك ضاحك فرح غافل متنفع بالعيش، كيف وقد جاء اليقين من مخبر صادق أمين أنك وارد النار فقال جل وعلا: ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ [مريم:٧١] ولم يأتك اليقين أنك صادر عنها، فمن أحق بطول البكاء وطول الحزن منك حتى يتقبل الله منك، ثم مع هذا لا تدرى لعلك لا تصبح إذا أمسيت ولا تمسى إذا أصبحت، فمبشر بالجنة أم مبشر بالنار، فمحقوق ألا تفرح بأهل ولا ولد ولا مال، وإن العجب كل العجب من طول غفلتك وطول سهوك عن هذا الأمر العظيم وأنت تساق سوقًا حثيثًا فى كل يوم وليلة، وفى كل ساعة وطرفة عين، فتوقع أجلك ولا تغفل عن هذا الخطر العظيم الذى قد أظلك، فإنك لابد ذائق الموت ولاقيه، ولعله ينزل بساحتك فى صباحك أو مسائك أشر ما تكون عليها إقبالاً، فإنك قد أخرجت من ذلك كله وسلبته فإما إلى الجنة وإما إلى نار انقطعت عنها الصفات، وقصرت العبارات والحكايات عن بلوغ حقيقة وصفها ومعرفة قدرها وأنواع عذابها والإحاطة بغاية خبرها.

وقال العبد الصالح رحمه الله: عجبت للنار كيف نام هاربها، وعجبت للجنة كيف نام طالبها، فوالله لئن كنت خارجًا من الهرب والطلب لقد هلكت هلاكًا بينًا وعظم

شقاؤك وطال حزنك وبكاؤك غداً مع الأشقياء المعذبين، ولئن زعمت أنك هارب طالب، فلا تغرنك الأماني والعجب بما أنت متحل به فدونك الجد والاجتهاد، واحذر النفس والشيطان، فإن مثقبهما دقيق وغائلتهما شديدة ومكايدهما خبيثة، واحذر الدنيا لئلا تأخذك بزينتها وتخدعك بأباطيلها وكذبها وخضرتها ونضرتها.

وقد جاء في الحديث عن سيد البشر «إن الدنيا تغر وتمر وتضر». قال الله عز وجل. ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ [لقمان ٣٣، وفاطر ٥] فالغرور هو الشيطان الرجيم، الله الله ثم الله، احذر الهلاك والردى، احفظ الصلاة وما سواها من الأوامر، وانته عن المناهي أجمع، وذر الإثم ما ظهر منه وما بطن. وسلم إلى ربك جميع المقدور فيك وفي غيرك، وانقد لربك بطاعته فيما أمرك ونهاك، ولا تنفر منه بارتكابك ما نهاك عنه، ولا تسخطه عليك باعتراضك عليه في تدبيره فيك وترك رضاك عنه، فيما قسم لك من الأقسام والأرزاق، وفعل فيك من الأفعال، ما طوى عنك مصالحها وأخفى عنك عواقبها، وما سيظهر لك من أطيب ثمارها ومنافعها، قال عز من قائل: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة:٢١٦].

وكن أبدًا طائعًا لمولاك راضيًا بقضائه صابرًا على بلائه شاكرًا لآلائه داعيًا بأسمائه، ذاكرًا لأنعمه وآياته، موافقًا لفعله ومراده، غير متهم له في تدبيره فيك وفي خلقه، حتى تأتيك الوفاة، فتتوفى مع الطيبين، وتحشر مع النبيين، وتدخل جنات النعيم برحمة رب العالمين، ومشيئة إله الأولين والآخرين

(فصل) وأما صلاة الخاصة لإيقاظ الخاشعين المراقبين، حراس القلوب جلساء الرحمن رضوان الله عليهم وسلامه، فصفتها:

ما روى أن يوسف بن عصام مر يومًا في جامع من جوامع خراسان فإذا هو بحلقة عظيمة، فسأل عنها فقيل له: إنها حلقة حاتم، وهو يتكلم في الزهد والورع والخوف والرجاء، فقال لأصحابه: قفوا بنا نسأله عن مسألة عن أمر الصلاة، فإن هو أجابنا عنها جلسنا إليه، فوقف عليه وسلم عليه وقال: رحمك الله لي مسألة، قال له حاتم: سل، قال: أسألك عن أمر الصلاة، فقال له حاتم: تسألني عن معرفتها أو عن أدبها ؟ قال: فصارت مسألتين، وجب لهما جوابان، فقال يوسف: أسألك عن أدبها، فقال حاتم.

هو أن تقوم بالأمر، وتمشى بالاحتساب، وتدخل بالنية، وتكبر بالتعظيم، وتقرأ بالترتيل، وتركع بالخشوع، وتسجد بالتواضع، وتتشهد بالإخلاص، وتسلم بالرحمة.

فقال أصحاب يوسف: سله عن معرفتها، فسأله، فقال حاتم: هو أن تجعل الجنة عن يمينك، والنار عن شمالك، والصراط تحت قدميك، والميزان بين عينيك، والرب عز وجل كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فقال يوسف: يا شاب منذ كم تصلى هذه الصلاة؟ قال: منذ عشرين سنة، فقال يوسف لأصحابه: قوموا بنا حتى نعيد صلاة خمسين سنة، ثم التفت إليه فقال له: من أين لك هذا؟ قال: من كتبك إلى كنت تمليها علينا.

وحديث أبى حازم الأعرج رحمه الله يليق بهذه الجملة فنذكره، وذلك أن أبا حازم رحمه الله قال: لقينى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وأنا على ساحل البحر، فقال لى: يا أبا حازم أتحسن أن تصلى؟ قلت: وكيف لا أحسن أن أصلى وأنا بصير بالفرائض وما استن به رسول الله ﷺ.

فقال لى: يا أبا حازم ما الفرض عليك قبل قيامك إلى الصلاة؟ فقلت: ستة، قال: وما هى؟ قلت: الطهارة، والاستتار، واختيار موضع الصلاة، والقيام إلى الصلاة، والنية، والتوجه إلى القبلة، قال لى: يا أبا حازم فبأى نية تخرج من بيتك إلى المسجد؟ قلت: بنية الزيارة، قال: فبأى نية تدخل المسجد؟ قلت: بنية العبادة، قال: فبأى نية تقوم إلى العبادة؟ قلت: بنية العبودية مقراً له بالربوبية.

قال: فأقبل على وقال: يا أبا حازم بم تستقبل القبلة؟ قلت: بثلاث فرائض وسنة، قال: وما هى؟ قلت: التوجه إلى القبلة فرض، والنية فرض، والتكبيرة الأولى فرض، ورفع اليدين سنة، قال: فكم من التكبير عليك فرض وسنة؟ قلت: أصل التكبير أربع وتسعون تكبيرة، منها خمس فرض، والباقى كلها سنة.

قال: فبم تستفتح الصلاة؟ قلت: بالتكبير: قال: فما برهانها؟ قلت: قراءتها، قال: فما جوهرها؟ قلت: تسبيحها، قال: فما إحياؤها ؟ قلت: خشوعها، قال: فما الخشوع؟ قلت: النظر إلى موضع السجود، قال: فما وقارها؟ قلت: السكون، قال: فما تحريمها؟ قلت: التكبير، قال: فما تحليلها؟ قلت: التسليم، قال: فما شعارها ؟ قلت: التسبيح عند انقضائها.

قال: فما مفتاح ذلك كله يا أبا حازم ؟ قلت: الوضـوء، قال: فما مفتاح الوضوء؟ قلت: التسمية، قال: فـما مفتاح التسمية؟ قلت: النية، قال: فـما مفتاح النية؟ قلت: اليقـين، قال: فمـا مفتـاح اليقين؟ قلت: التـوكل، قال: فمـا مفتـاح التوكل؟ قلت: الخوف، قـال: فما مـفتاح الخوف، قلت: الرجـاء، قال: فمـا مفتـاح الرجاء؟ قلت: الصبر، قال: فما مفتاح الصبر؟ قلت: الرضا، قال: فما مفتاح الرضا؟ قلت: الطاعة، قال: فما مفتاح الطاعة؟ قلت: الاعتراف، قال: فما مفتاح الاعتراف، قلت: الاعتراف بالوحدانية والربوبية.

قال: فـبم استـفدت ذلك كله؟ قلت: بالعـلم، قال: فبم اسـتفـدت العلم؟ قلت: بالتعلم، قال: فـبم استفدت التعلم؟ قلـت: بالعقل، قال: فبم استـفدت العقل؟ قلت: العقل عقلان، عقل تفـرد الله بصنعه دون خلقه، وعقل يستفيده المرء بتأديبـه ومعرفته، فإذا اجتمعا جميعًا قوى كل واحد منهـما صاحبه، قال: فبم استفدت ذلك كله؟ قلت: بالتوفيق، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى.

ثم قال: والله لقد أكملت مفاتيح الجنة، فما الفرض عليك، وما فرض الفرض، وما فرض يؤدى إلى فرض، وما السنة الداخلة فى الفرض، وما سنة يتم بها الفرض؟

قلت: أما الفـرض: فالصـلاة، وأما فرض الفـرض: فالطهـارة، وفرض يؤدى إلى فرض: أخـذك الماء بيمينك إلـى شمالك، وأمـا السنة الداخلة فى الفرض: فـتخليلك الأصابع بالماء، وسنة يتم بها الفرض فهى الختان، فـقال: ما أبقيت على نفسك حجة يا أبا حازم.

فكم فـرض عليك فى أكل الطعام؟ قلت: هل فى أكل الـطعام فرض وسـنة؟ قال: نعم، أربعة فرض، وأربعة سنة، وأربعة مكرمة.

فأما الفرض: فالتسمية، والحمد، والشكر، ومعرفة ما أطعمك الله.

وأما السنة: فاتكاؤك على فخذك الأيسر، والأكل بثلاث أصابع، وشد المضغ، ولعق الأصابع.

وأما المكرمة: فغسل اليـدين، وتصغير اللقم، والأكل مما يليك، وأن تقل النظر إلى جليسك، هكذا كان يفعل رسول الله ﷺ.

* * *

باب
نشير فيه إلى صلاة الجمعة
والعيدين وصلاة الاستسقاء والكسوف
والخوف والقصر والجمع وصلاة الجنازة مختصراً

(فصل) أما صلاة الجمعة:

فالأصل فى وجوبها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ [الجمعة ٩].

وقول النبى ﷺ: «إن الله فرض عليكم الجمعة فى يوم الجمعة»(١).

وقول النبى ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر طبع الله على قلبه»(٢).

فكل من لزمته الصلوات الخمس يلزمه فرض الجمعة إذا كان مستوطنًا مقيمًا ببلد أو قرية جامعة فيها أربعون رجلاً عقلاء بلغاء أحراراً.

وإن كانت قرية ليس فيها أربعون رجلاً، وكان من حيث يسمع النداء من قرية أخرى أو مدينة بينهما فرسخ وجب عليه إتيانها، ولا يسعه التخلف عنها إلاَّ أن يكون له عذر، أو فإنه يعذر فى تركها، وترك الجماعات فى بقية الصلوات الخمس مثل أن يكون مريضًا، أو يكون له مال يخاف ضياعه، أو قريب يخاف موته، أو يدافعه الأخبثان البول والغائط أو أحدهما، أو حضره الطعام وبه حاجة إليه، أو يخاف من سلطان أن يأخذه، أو غريم يلازمه، ولا شىء معه يعطيه، أو يكون مسافراً يخاف فوات القافلة، أو يخاف ضرراً فى ماله، أو يرجو وجوده بتخلفه عن الجمعة والجماعة، أو غلبه النعاس حتى يفوته الوقت، أو يخاف التأذى بالمطر والوحل والريح الشديدة.

وهى ركعتان يصليها بعد الخطبة مع الإمام، فإن فاتته يصلى أربعًا ظهراً إن شاء وحده وإن شاء بجماعة.

ووقتها قبل الزوال فى الوقت الذى تقام فيه صلاة العيد، وقال بعض أصحابنا: فى

(١) الإتحاف ٣/ ٢١٤، والمغنى عن حمل الأسفار ١/ ١٧٨.
(٢) الترمذى (٥٠٠)، وابن ماجه (١١٢٥)، وأحمد ٣/ ٣٣٢.

الساعة الخامسة.

ومن شـرط انعقـادها حضـور أربعين رجـلاً ممن تجب عليهم الجـمعـة، وفى رواية خمسون، وفى رواية ثلاثة.

ويسن الجهر بالقراءة فـيها، وأن تكون سورة الجمعة بعـد الفاتحة فى الأولى، وسورة المنافقين فى الثانية.

وهل يشترط إذنُ الإمام؟ على روايتين ومن شرطهـا الخطبتان. وليـس لها سنة قبلها، وأما بعدها فـأقلها ركعتـان، وأكثرها ست ركعات، مـروى ذلك فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ.

وقد قال بعـض العلماء بالله عز وجل: يستـحب أن يصلى قبل صلاة الجمـعة اثنى عشرة ركعة وبعدها ست ركعات.

ويجتنب البيع والشراء بعد الأذان عند المنبر لقوله تعالى: ﴿**إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع**﴾ [الجمعة:٩] وهذا هو الأذان الذى كان على عهد رسول الله ﷺ، وهو واجب عندنا، ولغير هذه الـصلاة فرض على الكفاية، وروى عنه أنه سنة.

وأما أذان المنارة أمر به عثمان بن عـفان رضى الله عنه فى زمانه لمصلحة عامة، وهى إعلام الغائبين عن الأمصار والقرى فلا يبطل البيع ولا الشراء.

ويستحب أن يصلى إذا دخل الجامع، وكان فى الوقت سعـة أربع ركعات يقرأ فيهن ﴿**قل هو الله أحد...**﴾ مائتى مرة، فى كل ركعة خمسين مرة، فإنه مروى عن النبى ﷺ أنه قال: «من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مـقعده من الجنة أو يرى له»، رواه ابن عمر رضى الله عنهما.

وإذا دخل الجامع فلا يجلس حتى يصلى ركعتـين قبل أن يجلس، وقد ذكرنا فضائل الجمعة وصفة الخروج إلى الجامع وجميع ما يتعلق بذلك فيما تقدم.

* * *

(فصل) وأما صلاة العيدين:

ففـرض على الكفاية إذا قام بهـا جماعة من أهل مـوضع سقطت عن الباقـين، فإن اتفقوا على تركها قاتلهم الإمام حتى يتوبوا.

وأول وقتها إذا ارتفعت الشمس وآخره إذا زالت، ويستحب تقديمها فى عيد الأضحى لأجل الأضحية، وتأخيرها فى عيد الفطر لعدم ذلك.

ومن شرطها: الاستيطان والعدد وإذْنُ الإمام كالجمعة، وعن إمامنا أحمد رحمه الله رواية أخرى أنه لا يشترط جميع ذلك، وهو مذهب الإمام الشافعى رحمه الله.

ويستحب المباكرة إليها ولبس الثياب الفاخرة والتطيب كما قلنا فى فضائل الجمعة من قبل.

والأولى أن تقام فى الصحراء، وتكره فى الجامع إلاَّ لعذر، ولا بأس بحضور النساء. والأولى أن يكون خروجه ماشيًا، وأن يرجع فى طريق آخر، وقد ذكرنا العلة فى ذلك فى فضائل العيد، وينادى لها: الصلاة جامعة.

وهى ركعتان يكبّر فى الأولى بعد تكبيرة الإحرام ودعاء الاستفتاح ست تكبيرات، وفى الثانية بعد قيامه من السجود خمس تكبيرات، يرفع يديه مع كل تكبيرة ويقول: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، وصلوات الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلم تسليمًا.

فإذا فرغ من التكبير استعاذ وقرأ الفاتحة، وقرأ ﴿سبح اسم ربك الأعلى...﴾ [الأعلى.١] وفى الثانية ﴿هل أتاك حديث الغاشية...﴾ [الغاشية:١].

وإن قرأ فى الأولى ﴿ق والقرآن المجيد...﴾ [ق.١] وفى الثانية ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر...﴾ [القمر:١] فهى رواية منقولة عن إمامنا أحمد رحمه الله، وإن قرأ غير ذلك جاز.

وكذلك فى تأخير الاستفتاح إلى حين القراءة روايتان:

إحداهما: يستفتح عقيب تكبيرة الإحرام، والأخرى: يؤخر مع التعوذ إلى حين القراءة.

وإذا صلى العيد لا يشتغل بالنوافل من الصلاة، وكذلك لا يصلى قبلها، بل يرجع إلى أهله ويجمع شملهم بحضوره، ويحسن خلقه مع أهله، ويجتهد فى التوسعة عليهم فى النفقة لأن النبى ﷺ قال: «أيام العيد أيام أكل وشرب وبعال»[1]. وهذا عامٌ فى يومى العيدين وأيام التشريق، وإن صلوها فى المسجد جاز.

(١) أحمد ٣/ ٤٦٠، والطبرانى ١٩/ ٩٧.

فإذا دخل المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين تحية المسجد لقول النبى ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يأتى بركعتين. . .»[1].

وهذا عام فى يومى العيد وغيره.

وإنما نص إمامنا أحمد على منع التنفل إذا كان فى المصلى، لأنه مروى من غير وجه أن النبى ﷺ لم يصل قبل ولا بعد، وهو قول عمر وعبد الله بن عباس وابن عمر رضى الله عنهم.

وصلاة النبى ﷺ كانت فى المصلى فى الجبانة، ولو كانت فى المسجد لما كان ﷺ يترك تحية المسجد.

فإن فاته جميع صلاة العيد استحب له قضاؤها وهو مخير فى ذلك بين أن يصلى أربعًا كصلاة الضحى بغير تكبير، أو بتكبير كهيئتها، فيجمع أهله وأصحابه كل ذلك إليه، وله بذلك فضل كثير.

* * *

(فصل) وأما صلاة الاستسقاء:

فسنة تقام، يخرج لها الإمام كما يخرج للعيدين ضحوة، فهى كصلاة العيدين فى جميع صفاتها وموضعها وأحكامها.

ويستحب له التنظف والتطهر من جميع الأحداث والأوساخ، غير أنه لا يستحب التطيب، لأنها حالة الافتقار والتذلل وطلب الحاجة، ولهذا يستحب الخروج إليها بثياب البذلة مع الخشوع والتضرع والاستكانة والانكسار والحزن، وأن يخرج معهم الشيوخ والعجائز والصبيان وأصحاب العاهات، وأن يخرجوا من المظالم والحقوق من الغصوب وغيرها، ولله عز وجل من الزكوات والنذور والكفارات، ويكثروا الصدقة والصيام، ويجددوا التوبة، ويعزموا على المداومة عليها إلى الممات، ولا يبارزوا الرب سبحانه بكبيرة من الذنوب ولا صغيرة ويستحيوا منه عز وجل فى الخلوات، إذ لا خلوة منه، فلا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، هو عالم بالسر والخفيات.

وكذلك يستحب أن يتوسلوا بالزهاد والصالحين وأهل العلم والفضل والدين، لما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج يستسقى، فأخذ بيد العباس رضى الله عنه

(١) البخارى ١/ ١٢١، ومسلم فى. صلاة المسافرين. حديث (٦٩)، وأحمد ٥/ ٢٩٥)

فاستقبل القبلة به فقال: اللهم هذا عم نبيك جئنا نتوسل به إليك فاسقنا به. قال: فما رجعوا حتى سقوا(١).

لأن منع القطر وحبسه عقوبة ومقابلة عن شؤم معاصى بنى آدم. ولهذا «إذا مات الكافر وقبر وجاءه منكر ونكير وسألاه عن ربه ونبيه ودينه ولم يقدر على الجواب، يضربانه بمرزبة فيصيح صيحة فلا يسمعها الخلائق غير الجن والإنس، فيلعنه كل شىء حتى شاة القصاب والسكين على حلقها، فتقول: لعنه الله هذا الذى كنا نمنع القطر لأجله، وهو قوله عز وجل: ﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ [البقرة ١٥٩] فالآدمى إذا فسد تعدى فساده إلى كل شىء من الحيوانات، وإذا صلح تعدى صلاحه إلى كل شىء، ففساده لمعصيته لربه، وصلاحه لطاعته له عز وجل.

فيصلى الإمام أو نائبه بالناس ركعتين بغير أذان ولا إقامة، يكبر فى الأولى ستًا سوى تكبيرة الإحرام، وفى الثانية خمسًا سوى تكبيرة القيام من السجود، على ما ذكرنا فى العيد، ويذكر الله عز وجل بين كل تكبيرتين كذلك، فإذا صلى خطب بهم، وإن خطب قبل الصلاة جاز فى رواية، وعنه: أنه مخير فى ذلك.

ونقل عنه رحمه الله أنه لا يسن لها الخطبة، وإنما يدعو فحسب، فيفعل الإمام من ذلك ما يتيسر عليه، فإذا خطب افتتحها بالتكبير كما يفعل فى خطبة العيد، ويكثر الصلاة على رسول الله ﷺ، ويقرأ فى خطبته ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ [نوح.١٠ ـ ١١].

فإذا فرغ من الخطبة استقبل القبلة، فحول رداءه فجعل ما كان على منكبه الأيمن على الأيسر، وما على الأيسر على الأيمن ولا ينكسه، وليفعل الناس كذلك، ويتركونه حتى يرجعوا إلى أهلهم، فينزعونه مع ثيابهم، يفعلونه تفاؤلاً لتحول القحط، ولأن السنة بذلك وردت، وهو ما روى عباد بن تميم، عن عمه رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ خرج بالناس يستسقى، فصلى بهم ركعتين، جهر بالقراءة فيهما، وحول رداءه ودعا واستسقى واستقبل القبلة»(٢).

---

(١) البخارى فى. الاستسقاء· ب (٣)، وفضائل أصحاب النبى ب (١١).

(٢) البخارى فى: الاستسقاء· ب (١)، ومسلم فى· الاستسقاء· حديث (١، ٣، ٤)، وأحمد ٣٩/٤.

ثم يرفع يديه فيستقبل القبلة فيدعو بدعاء النبى ﷺ: «اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا مريئًا هنيئًا مريعًا غدقًا مجللاً، وروى مجللاً عامًا طبقًا سحًا دائمًا، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا محق ولا بلاء ولا هدم ولا غرق، اللهم إن بالبلاد والعباد والخلق من اللأواء والبلاء والجهد والضنك ما لا يشكى إلا إليك، اللهم أنبت لنا الزرع، وأدر لنا الضرع، واسقنا من بركة السماء، وأنبت لنا من بركات الأرض، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعرى، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا»(١) ويدعو مثل ذلك: اللهم إنك أمرتنا بدعائك، ووعدتنا إجابتك، فقد دعونا كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا.

وقيل: إنه يستقبل القبلة فى أثناء الخطبة ويتمها مستقبل القبلة، ثم يردفها بالدعاء: والأولى ما قلنا من أنه إذا فرغ من الخطبة استقبل القبلة، لأن الخطبة وعظ وزجر وتخويف، وذلك إنما يحصل إذا واجه الناس واستقبلهم ليبلغ إلى أسماعهم وقلوبهم، وأما إذا استقبل القبلة فقد استدبرهم وقد كان بين أيديهم حين صلى بهم.

* * *

(فصل) وأما صلاة الكسوف:

فهى سنة مؤكدة، ووقتها من حين الكسوف إلى حين التجلى ورد نورهما إليهما، يعنى إذا كسفت الشمس وخسف القمر، فمن حين يبتدىء ظهور السواد والكدر ونقصان الشعاع يدخل وقت الصلاة إلى أن يزول ذلك، فإذا زال، زال وقت الصلاة.

والسنة أن تصلى فى الجامع موضع صلاة الجمعة، وينادى لها الصلاة جامعة، فيصلى بهم الإمام ركعتين، يحرم بالأولى ويستفتح ويستعيذ، ويقرأ الفاتحة، ثم يقرأ سورة البقرة، ثم يركع فيطيل الركوع، يكرر فيه التسبيح بقدر مائة آية، ثم يرفع رأسه قائلاً: سمع الله لمن حمده، ثم يقرأ الفاتحة وآل عمران، ثم يركع دون الركوع الأول، ثم يرفع رأسه كذلك، ثم يسجد سجدتين طويلتين يسبّح فى كل واحدة بقدر مائة آية، ثم يقوم إلى الثانية فيقرأ الفاتحة، ويقرأ سورة النساء، ثم يركع فيطيل، ثم يرفع ويقرأ الفاتحة والمائدة.

(١) أبو داود (١١٦٩)، وابن ماجه (١٢٦٩ و ١٢٧٠)، وأحمد ٤/٢٣٦.

وإن لم يحسن هذه السور قرأ من غيرها من ســور القرآن بعدد آياتها، فإن لم يحسن إلا ﴿قل هو الله أحـد...﴾ قرأها على التفـصيل كذلك. فتكون قراءته فى القـيام الثانى كثلثى قراءته فى القيام الأول، وتكون قراءتـه فى القيام الثالث وهو إذا رفع من السجود إلى القيام كنصف قـراءته فى القيام الأول، وتكون قراءته فى القيـام الأخير وهو الرابع كثلثى القـيام الثالث، وهو الذى قبله، وأمـا التسبيح فـهو كثلثى قراءته فى كـل قيام، ويركع بعده من غير خلف، ثم يسلم، فـتكون أربع ركعات وأربع سجدات، ويزيد فى كل ركعة ركوعًا واحدًا، وإن انجلى والناس فى الصلاة استحب تخفيفها ولا يقطعونها، ومن أراد أن يصليها وحده فى بيته أو مع أهله جاز. والأولى ما ذكرنا.

والأصل فى صـلاة الكسوف على مـا بيّنا ما روى عن عـائشة رضى الله عنهـا أنها قالت: «كسفت الشمس على عـهد رسول الله ﷺ فأتى النبى ﷺ المصلى، فكبّر وكبّر الناس، ثم قرأ فـجهـر بالقراءة، وأطال القيـام، ثم ركع فأطال الركـوع، ثم رفع رأسه فقال: سمع الله لمن حمده، فقرأ وأطال القراءة، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه، ثم سجد، ثم رفع رأسه، ثم سجد، ثم قام، ففعل فى الثانية مثل ذلك، ثم قال ﷺ. إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة»(١).

* * *

(فصل) وأما صلاة الخوف:

فجائز فعلها بشرائط أربع:

احدها: أن يكون العدو مباح القتال.

والثاني: أن يكون فى غير جهة القبلة.

والثالث: ألا يؤمن هجومه.

والرابع: أن يكون فى القوم كـثرة يمكن تفرقتهـم طائفتين، فيحـصل فى كل طائفة ثلاثة فصاعدًا، فيجعل إحدى الطائفتين بأزاء العدو، والأخرى خلفه، فيصلى بها ركعة فإذا قام إلى الثانية فارقته الطائفة وصلت الركـعة لأنفسها ناوية للمفارقة، لأنه لا يجوز للمأموم أن يفارق إمامه إلاً بنية، فتـسلم وتمضى إلى وجه العدو، فتأتى الطائفة الأخرى

(١) البخارى ٢/ ٤٤، ومسلم فى الكسوف: حديث (١ و ٣ و ١٧)، وأحمد ١/ ٢٩٨.

فتحـرم بالصلاة خلف الإمام فـتصلى معه الركـعة، ويجلس الإمام وتقوم هى فـتصلى الركعـة الأولى، وتجلس وتتشهـد ويسلم بهم الإمام، غـير أنه يطيل القراءة فى الركـعة الثانيـة بقدر ما تتم الطائفـة الأولى الركعة الثانيـة وتمضى إلى أصحابهـا، وتأتى الطائفة الأخرى فتحرم مـعه، ويطيل التشهد فى حق الطائفة الثانية حتـى تتم الركعة التى عليها وتدركه فى التشـهد، فيسلم بها، وتحـصل له فضيلة السلام مع الإمـام وللأولى فضيلة التحريم مع الإمام، هكذا صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين فى الغزات بذات الرقاع

وقد قـال ﷺ فى حديث سـهل بن أبى خيثـمة رضى الله عنه «يقـوم الإمام وصف خلفه، وصف بين يديه، فـيصلى بالذين خلفه ركعـة وسجدتين، ثم يقوم قـائمًا حتى يصلوا لأنفسهم ركعة أخرى، ثم يتـقدم أولئك مكان هؤلاء، ثم يجىء أولئك فيقومون مقام هؤلاء، فيصلى بهم ركعة وسجدتين، ثم يقعد حتى يقضوا ركعة أخرى، ثم يسلم بهم»[١].

وقد روى عن إمـامنا رحمه الله مـا يدل على جواز تأخيـر الصلاة فى حالة التـحام القتال والمطاردة إلى حين زوالها ووضع الحرب أوزارها.

فهذا الذى ذكرناه من صفة صلاة الخوف فى صـلاة الفجر، والرباعية إذا قصرت فى السفر.

وأما المغرب فيصلى بالطائفة الأولى ركعـتين، وبالثانية ركعة، ولا ينقص منها شىء لأنها لا تقصر.

فإذا جلس فى الـتشهـد الأول فهل تفارقـه الطائفة أو حـين يقوم إلى الثـالثة؟ على وجهين، وإن خاف بالحضـر صلى بكل طائفة ركعتين، وتقضى لأنفسـها ركعتين، وإن فرقـهم أربع فرق لم تصلح صـلاته وصلاة الفـرقة الثـالثة والرابعة، وهل تـبطل صلاة الأولى والثانية؟ على وجهين.

هذا الذى ذكرناه إذا كان العدو وراء القبلة أو عن يمينهـا وشمالها، وأما إذا كان فى جهة القبلة فيرى بعضهـم بعضًا، ولا يتوهم هناك كمين لهم، جاز أن يصلى بهم صلاة الخوف، فـيجعلهم صفـين أو ثلاثة على قدر كثرتـهم وقلتهم، ويحرم بهم أجمـعين،

(١) البخارى فى: صلاة الخوف: ب (٣:١)، ومسلم فى: صلاة المسافرين. حديث (٣٠٥ و ٣٠٧)، وأحمد ١/ ٢٣٢.

فيصلـى الركعة الأولى، فإذا أراد السجـود وسجد الجمـيع إلاَّ الصف الأول الذى يليه، فإنه يقف فيحرسهم حتى يقوموا إلى الركعة الثانية ثم يسجد فيلحقهم قيامًا، فإذا سجد الإمـام فى الركعـة الثانـية وقف الصف الأول الذى سـجـد معـه فى الركعـة الأولى، فيحرسهم إلى أن يجلس الإمام فى التشهد، ثم يلحقه فى التشهد فيتبعه، فيسلم بالجميع هكذا روى عن النبى ﷺ أنه صلاها بعسفان».

وإن تأخـر فى الركعـة الثـانية الصف الأول وتقـدم الصف الثـانى إلى مكان الأول فيحرس جاز.

وإن اشتد الخوف والتحم القتال صلوا جماعة وفرادى على أى حال أمكنهم، رجالاً، وركبانًا، مسـتقبلى القبلة، ومستدبريهـا، إيماء وغير إيماء، وهل عليهم افـتتاح الصلاة متوجهين إلى القبلة أم لا؟ على روايتين.

فإن حصل الأمن وانكسر العدو بنوا على صلاتهم ونزلوا من دوابهم متوجهين، وإن شرعوا فى الصلاة مطمئنين ثم اشتد الخوف ركبوا وأتموا صلاة خوف، وإن احتاجوا إلى الضرب والطعن والكر والفر.

وتجوز هذه الصلاة لكل خائف من عدو، كالسبع والسيل وقطاع الطريق وغير ذلك.

وكذلك إذا كان طالبًا للعدو ويخاف فوته عند هزيمته يصليها على إحدى الروايتين.

* * *

(فصل) وأما قصر الصلاة:

فجائز إذا جاوز بيوت قريته أو خيام قومه، فيقـصر الرباعية فيصليها ركعتين إذا كان سفره طويلاً، وهو ستة عشر فرسخًا أربعـة برد، وهى ثمانية وأربعون ميلاً بالهاشمى، والبريد الواحد أربعة فراسخ، فيقصر مارًا وجائيًا.

فإن دخل بلدة أو قريـة فنوى الإقامة فيهـا اثنتين وعشرين صـلاة أتم، وكان حكمه حكم المقيم، وإن نوى إحدى وعشرين صلاة فعلى روايتين، ودون ذلك قصر.

وإن نزل بلدة ولم يدر متى يرتحل ولا نية له بل قال اليـوم أخرج، وغدًا أخرج قصر بهمـا، لما روى «أن النبى ﷺ أقام بمكة ثمـانية عشـر يومًا، وقيل: خـمسة عـشر يومًا يقصر»[1].

(١) ابن أبى شيبة ١٤/ ٥٠٠.

وفى حديث عمران بن الحصين رضى الله عنهما: «شهدت الفتح مع رسول الله ﷺ، فكان لا يصلى إلاَّ ركعتين، ثم يقول لأهل البلد: صلوا أربعًا فإنا قوم سفر».

وأقام ﷺ بتبوك عشرين يومًا يقصر، وكذلك الصحابة رضى الله عنهم.

قال أنس بن مالك رضى الله عنه: أقام أصحاب رسول الله ﷺ برامهرمز سبعة أشهر يقصرون الصلاة.

وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما أقام بأذربيجان ستة أشهر يصلى ركعتين.

وإن أحرم بالصلاة وهو مقيم ثم صار مسافرًا بأن كان بمركب إلى جنب بلده فى حدودها داخلاً من حيطانها وسورها، ثم دفع الملاح المركب فخرج من حدودها لزمه الإتمام.

وكذلك لو أحرم فى السفر ثم أقام ببلد أو ائتم بمقيم أو بمن يشك هل هو مقيم أو مسافر، ولم ينو القصر عند شروعه فيها لزمه الإتمام فى جميع ذلك

ولا يجوز القصر إذا كان قاضيًا للصلاة لأنها قد ثبتت فى ذمته كاملة، ولا يؤثر السفر إلا فى الأداء خاصة.

وإذا أحرم بنية القصر ثم نوى الإقامة أتم ، وكذلك إن أحرم وهو مقيم ثم نوى السفر أتم، وكذلك إن كان سفره معصية أو لعبًا ونزهة لا يستبيح رخص السفر، ولا يستبيح ذلك إلا إذا سافر لواجب كالحج والجهاد، أو مباح كتجارة أو طلب غريم وما شاكله، وإذا أبحنا للعاصى رخص السفر فقد أعناه على معصية ربه، وعلى قتل نفسه فإن هلاكه بمعصية ربه وبقاءه وصلاحه بطاعته، فلا نقويه على ذلك، ولا نعينه، بل نمنعه ونكسره.

والقصر عند إمامنا أحمد رحمه الله أفضل من الإتمام، وله الإتمام والقصر كما له الصيام والفطر، وترك التجلد على الله عز وجل فى جميع ذلك واتباع رخصه ورفقه أولى.

ولو لم يكن فى إتمامه للصلاة وصيامه فى السفر غير رؤيته للنفس وعجبه ومباهاته وتعظيمه ذلك، وفى قصره وإفطاره من ذل النفس وانكسارها وخضوعها لترك تمام العبادة والعزيمة، لكان بالحرى أن يقال: إن القصر والفطر أولى، كيف وقد قال ﷺ لما قيل له فى قصر الصلاة: «ما لنا نقصر وقد أمنا، فقال ﷺ: تلك صدقة تصدق الله بها

على عباده فاقبلوا صدقته»(١).

وقال ﷺ: «إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه»(٢).

فالعجب كل العجب ممن يتم الصلاة فى السفر ويصوم فيه، ويترك الرخص، وهو يرتكب الكبائر من أكل الحرام وشرب المسكر ولبس الحرير والزنا واللواطة، واعتقاد السوء فى الأصول وغير ذلك من العظائم.

* * *

(فصل) وأما الجمع بين الصلاتين:

فجائز بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فى السفر، بشرط أن يكون السفر طويلاً، وهو ستة عشر فرسخًا على ما بيّنا. ولا يجوز ذلك فى القصير، وهو ما دون ذلك، وهو مخير بين تأخير الأولى إلى تقديم الثانية، وبين تقديم الثانية إلى وقت الأولى.

والاستحباب فى التأخير وهو أن يؤخر الأولى ويقدم الثانية، فيصليها فى أول وقت الثانية، فإن صلاهما فى وقت الأولى قدم الأولى منهما ثم الثانية، ونوى الجمع عند الإحرام بالأولى، ولا يفرق بينهما إلا بقدر الإقامة والوضوء إن انتقض وضوءه، وإن صلى بينهما سنة الصلاة بطل الجمع فى إحدى الروايتين، والأخرى: لا يبطل، والأولى أن يؤخر السنة إلى بعد الفراغ من الفرض، ولا يفصلها بشىء، وإن جمع فى وقت الثانية فنيته فى وقت الأولى تجزيه، ولا يفتقر إلى تجديد النية عند فعلهما، لأنه ما أخر الأولى إلا ليجمع بينها وبين الثانية ولا فرق بين أن ينوى ذلك فى أول وقت الأولى، أو إذا بقى منه مقدار فعلها، فإن خرج وقت الأولى من غير نية الجمع لم يجز الجمع بينهما، وإذا جمع فى وقت الثانية قدم الأولى ثم الثانية، كما لو صلاهما فى وقت الأولى، وهى يشترط ألا يفرق بينهما بسنة وغيرها على وجهين، ومن أصحابنا من قال إن الجمع والقصر لا يفتقران إلى نية، وهو أبو بكر رحمه الله.

وأما الجمع لأجل المطر فيجوز بين المغرب والعشاء، وهل يجوز بين الظهر والعصر على وجهين.

---

(١) مسلم فى: صلاة المسافرين حديث (٤)، وأبو داود (١١٩٩)، والترمذى (٣٠٣٤)، وأحمد ٢٥/١

(٢) أحمد ١٠٨/٢، والبيهقى ٣/ ١٤٠، والصحيحة (١٩٤).

وكذلك الحكم فى الوحل المجرد من غير مطر أو ريح شديدة باردة، هل يجوز الجمع لأجله؟ على وجهين.

فإذا جمع نظرنا، فإن كان ذلك فى وقت الأولى لأجل المطر اعتبر أن يكون المطر موجودًا عند افتتاح الأولى، وعند الفراغ منها وافتتاح الثانية، وإن كان ذلك فى وقت الثانية جاز، سواء كان المطر قائمًا أو قد انقطع لأنه قد أخر الأولى، بسبب العذر. فلا يؤثر زواله، لأن أول الوقت قد فات وانقضى فلا يمكن تلافيه وإدراكه.

وإنما جوزنا له الجمع لأجل المشقة اللاحقة بالناس من بل الثياب والحذاء والأذية، فيشق على الناس الدخول والخروج، وقد قال النبى ﷺ: «إذا ابتلت النعال فالصلاة فى الرحال» مروى ذلك فى الصحيحين[1].

وكذلك عندنا حكم المريض حكم المسافر فى الجمع، لأن الله تعالى جمع بينهما وذكرهما فى كلام واحد، فقال عز وجل: ﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة ١٨٤] فالعلة فى التخفيف: العجز والمشقة، وذلك فى المريض آكد وأظهر وبه أحق، لأن المسافر قد يكون مرفهًا مدللاً محمولاً متفرجًا قويًا نشيطًا فى سفره أكثر مما كان فى الحضر لغناه وسلطته وقدرته، ومع ذلك تستباح له الرخص. والمريض بخلافه، فكان أولى بالرخص من المسافر.

* * *

(فصل) وأما الصلاة على الجنازة:

فهى فرض على الكفاية، وأولى الناس بها عندنا وصيه ثم السلطان، ثم الأقرب فالأقرب من عصباته، فيقف الإمام حذاء صدر الرجل ووسط المرأة، وإن كانوا جماعة سوى بين رؤوسهم، وإن كانوا أنواعًا قدم أفضلهم مما يلى الإمام، مثل أن يكونوا رجالاً ونساء وعبيدًا وخناثى وصبيانًا، قدم الرجال ثم العبيد ثم الصبيان ثم الخناثى ثم النساء، وروى عنه تقديم الصبيان على العبيد.

ثم ينظر فى الأنواع فيقدم مما يلى الإمام من كل نوع أفضلهم فى العلم والقرآن والدين والورع.

---

(١) البخارى فى: الأذان ب (١٨)، ومسلم فى: صلاة المسافرين حديث (٢٦ و ٢٩ و ٣)، وأحمد ٤/ ٣٤٦.

وقيل: إذا اجتمع رجل وامرأة جعل وسط المرأة حذاء صدر الرجل.

وإذا وقف الإمام التفت يمينًا وشمالاً وسوى الصفوف كفعله فى بقية الصلوات، واستغفر الله تعالى وتاب من ذنوبه وذكر مصرعه والدار الآخرة، ويتحقق أنه كأس لابد من شربه، وأنه سيدور إليه ولا يفوته، فليحضر قلبه وليخشع جوارحه ليكون أسرع لإجابة دعائه، ثم يصلى على الميت.

وصفتها أن يقول: أصلى على هذا الميت فرضًا على الكفاية، ولا يحتاج أن يذكر ذكرًا أو أنثى، فيكبّر أربع تكبيرات يقرأ فى الأولى الفاتحة، لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ بفاتحة الكتاب على الجنازة»[1]. وفى لفظ آخر كان النبى ﷺ يقرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب.

ثم يصلى على النبى ﷺ فى الثانية كما يصلى عليه فى التشهد، لما روى مجاهد رحمه الله قال: سألت ثمانية عشر رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن الصلاة على الجنازة، فكلهم يقول: كبّر ثم اقرأ فاتحة الكتاب ثم كبّر، ثم صلِّ على النبى ﷺ، ثم كبر، وادع للميت فى الثالثة بما تحسنه وتيسر عليك من أنواع الدعاء ولنفسك ولوالديك وللمسلمين.

غير أن المستحب أن يقول: «اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأُنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام والسنة، ومن توفيته منا فتوفه عليهما، إنك تعلم منقلبنا ومثوانا وأنت على كل شىء قدير.

اللهم إنه عبدك وابن عبدك، نزل بك وأنت خير منزول به، ولا نعلم إلا خيراً.

اللهم إن كان محسنًا فجازه بإحسانه، وإن كان مسيئًا فتجاوز عنه.

اللهم إنا جئناك شفعاء له فشفعنا فيه، وقه من فتنة القبر وعذاب النار، واعف عنه وأكرم مثواه، وأبدله داراً خيراً من داره، وجواراً خيراً من جواره، وافعل ذلك بنا وبجميع المسلمين، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنّا بعده»[2].

---

(١) ابن ماجه (١٤٩٦)، من حديث أم شريك، وفيه شهر بن حوشب، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما، وتركه ابن عوف، وضعفه البيهقى، ولينه النسائى وحماد وغيرهما

(٢) أبو داود (٣٢٠١)، والترمذى (١٠٢٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، والنسائى ٤/ ٧٤، وأحمد ٢/ ٣٦٨

ويقول فى الرابعة: ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [البقرة: ٢٠١].

ومن أصحابنا من قال: يقف قليلاً ولا يقول شيئًا، ويسلم تسليمة واحدة عن يمينه، وإن سلم بتسليمتين جاز، وهو مذهب الإمام الشافعى رحمه الله.

والتسليمة الواحدة الاختيار عند إمامنا أحمد رحمه الله، قال رضى الله عنه: يروى عن ستة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم سلموا على الجنازة تسليمة واحدة فهم على ابن أبى طالب، وعبد الله بن عباس، وابن عمر، وابن أبى أوفى، وأبو هريرة، ووائلة ابن الأسقع رضى الله عنهم.

وروى أيضًا عن النبى ﷺ «أنه صلى على جنازة فسلم عن يمينه».

وإن أراد غير هذا الدعاء دعا وقال:

الحمد لله الذى أمات وأحيا، والحمد لله الذى يحيى الموتى، له العظمة والكبرياء والملك والقدرة والثناء، وهو على كل شىء قدير.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت ورحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك، أنت خلقته ورزقته، وأنت أمتّه وأنت تحييه وأنت تعلم بسره، جئناك شفعاء له فشفعنا فيه.

اللهم إنا نستجير بحبل جوارك له، إنك ذو وفاء وذمة.

اللهم قه من فتنة القبر ومن عذاب جهنم.

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم مثواه ووسع مدخله، واغسله بماء وثلج وبرد، ونقّه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأنزله دارًا خيرًا من داره، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأهلاً خيرًا من أهله، وأدخله الجنة ونجه من النار.

اللهم إن كان محسنًا فجازه بإحسانه، وإن كان مسيئًا فتجاوز عنه.

اللهم إنه قد نزل بك وأنت خير منزول به، وهو فقير إلى رحمتك وأنت غنى عن عذابه.

اللهم ثبت عند مسئلته منطقه، ولا تبتله فى قبره بما لا طاقة به.

اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنّا بعده.

وإن كان امرأة قال: اللهم إنها أمتك وابنة عبدك وأمتك، ثم يتم الدعاء.

وأحق الناس عند إمامنا أحمد رحمه الله بالصلاة عليه، من أوصى أن يصلى عليه، ثم الوالى، ثم أقرب العصبة الأب، وإن علا، ثم الابن وإن سفل، ثم أقرب العصبة.

وهل يقدم الزوج على الابن؟ على روايتين.

وقد أوصت الصحابة رضى الله عنهم بالصلاة عليهم، فروى أن أبا بكر رضى الله عنه وصى أن يصلى عليه عمر، وعمر رضى الله عنه وصى أن يصلى عليه صهيب رضى الله عنه، وكان ابنه عبد الله رضى الله عنه موجودًا، وأوصى أبو شريحة أن يصلى عليه زيد بن أرقم، وأوصى أبو ميسرة أن يصلى عليه شريح، ووصت عائشة رضى الله عنها إلى أبى هريرة رضى الله عنه، ووصت أم سلمة رضى الله عنها أن يصلى عليها سعيد بن جبير.

وأما دعا الطفل فيقول:

اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك، أنت خلقته ورزقته، وأنت أمتّه وأنت تحييه.

اللهم اجعله لوالديه سلفًا وذخرًا وفرطًا وأجرًا، وثقل به موازينهما وعظم به أجورهما، ولا تحرمنا وإياهما أجره، ولا تفتنّا وإياهما بعده.

اللهم ألحقه بصالح سلف المؤمنين فى كفالة إبراهيم، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وعافه من عذاب جهنم.

اللهم اغفر لأفراطنا وأسلافنا ومن سبقنا بالإيمان، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، واغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

وإنما يصلى على السقط ويغسل إذا كان قد تبين فيه خلق الإنسان، وأما إذا كان قطعة لحم لم يتبين فيها شيى من الخلقة فلا يغسل ولا يصلى عليها، بل يدفن.

والذى يشرع غسله من ذلك لا فرق بين أن يغسله رجل أو امرأة، لما روى أن إبراهيم ابن النبى ﷺ توفى وهو ابن ثمانية عشر شهرًا فغسلته النساء.

* * *

فصول
فيما يفعل بمن حضره الموت وكيفية غسله وتكفينه وتحنيطه ودفنه

(فصل) يستحب لكل مؤمن موقن بالموت عاقل محصل أن يكثر ذكر الموت.

ويستعد له، ويكون على أهبة وترقب بتجديد التوبة كل ساعة، ومحاسبة نفسه والخروج من المظالم والديون، وكتب وصية معدة، ولا يكون غافلاً عن هذا الأمر المتيقن العام الشامل فى حق جميع الأنام، الذى لابد من مجيئه وقدومه، وهو كأس لابد من شربه.

وإنما قلنا يستحب له ذلك لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أكثروا من ذكر هادم اللذات»(١).

وفى لفظ آخر «أكثروا ذكر الموت فإنكم إن ذكرتموه فى غنى كدره عليكم، وإن ذكرتموه فى ضيق وسعه عليكم»(٢).

وقال ﷺ: «أتدرون أى الناس أكيس وأحزم؟ أكيسهم أكثرهم ذكرًا للموت، وأحزمهم أكثرهم استعدادًا له، قالوا: يا رسول الله وما علامة ذلك؟، قال: التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود»(٣).

وقال لقمان عليه السلام لابنه: يا بنى لا تؤخر التوبة إلى غد، فإن الموت يأتيك بغتة.

وقال النبى ﷺ: «ما حق امرىء له مال أن يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»(٤).

وجاء فى الحديث «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا»(٥).

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اعمل

---

(١) الترمذى (٢٣٠٧)، والنسائى ٤/ ٤، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وأحمد ٢/ ٢٩٣.

(٢) ابن المبارك ٢/ ٢٧، والإتحاف ٩/ ١١.

(٣) الإتحاف ٩/ ٣٢٧، والدر المنثور ٣/ ٤٤، وابن كثير ٣/ ٣٢٨، والقرطبى ٢/ ١٠٤

(٤) البخارى ٤/ ٢، ومسلم فى الوصية: حديث (١، ٤)، وأحمد ٢/ ٨٠.

(٥) سبق تخريجه.

لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»(١).

فليجتهد العاقل المؤمن فى خلاص نفسه من الحقوق اللازمة عليه قبل الموت من الذنوب والمظالم والديون، فإن لم يفعل فليقطع وليتيقن أنه سيكون مرتهنًا بها ومؤاخذًا ومعاقبًا غدًا فى قبره حين تنقطع القوى وتبطل الحيل والحواس ويهجره الأهل والجيران، ويتظافر على ماله الأعداء والخلان من الرجال والنساء والولدان، فلا ينجيه من تبعتها إلا الأداء فى الدنيا والاستحلال والتوبة والإذعان، أو تغمد الرحيم برأفته ورحمته إذ هو أرحم الراحمين، فيعوض أصحابها بما يشاء فى دار الخلود والجنان.

روى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه أنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فصلى على جنازة، فلما انصرف قال: هل هاهنا من آل فلان أحد؟ فقال رجل: أنا، فقال له عليه الصلاة والسلام: إن فلانًا مأسور بدينه، قال: فلقد رأيت أهله ومن يتحرق عليه قاموا يقضون عنه حتى ما بقى أحد يطلبه بشىء» وفى لفظ آخر قال: «إن فلانًا محبوس بباب الجنة بدين عليه»(٢).

وعن على رضى الله عنه أنه قال: «مات رجل من أهل الصفة فقيل: يا رسول الله ترك دينارًا ودرهمًا، فقال ﷺ: كيتان، صلوا على صاحبكم وكان دينًا عليه»(٣).

وفى حديث آخر «شهد رسول الله ﷺ جنازة رجل من الأنصار فقال: أعليه دين؟ فقالوا: نعم، فرجع، فقال على رضى الله عنه: أنا ضامن ما عليه، فرجع فصلى عليه، فقال ﷺ: يا على فك الله رقبتك كما فككت عن أخيك المسلم، ما من رجل يفك عن رجل دينه إلا فكه الله به يوم القيامة»(٤).

وقال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يؤخذ للشاة الجماء من الشاة القرناء»(٥).

وقال ﷺ: «إياكم والظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش فإن الله لا

(١) الضعيفة ٢/ ٢٢٦.

(٢) أحمد ٥/ ٢

(٣) أحمد ١/ ١٣٧ ـ ١٣٨، والطبرانى ٨/ ١٤٨، ومجمع الزوائد ٣/ ٢٥، وعزاه إلى الطبرانى فى «الكبير» وقال. بعض طرق رجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب وهو ثقة، وفيه كلام.

(٤) ابن عساكر ٦/ ٦٦.

(٥) مسلم فى البر والصلة. حديث (٦٠)، والترمذى (٢٤٢٠)، وأحمد ٢/ ٢٣٥

يحب الفحش، وإياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، ثم أمرهم بالظلم فظلموا»(١).

(فصل) فإذا مرض المؤمن استحبت عيادته.

فإذا عاده أخوه المسلم نظر فى حاله فإن رجا خلاصه من مرضه دعا له وانصرف، وإن خاف موته رغبه فى التوبة من الذنوب والوصية بثلث ماله لمن لم يرثه من الأقارب الفقراء منهم، فإن كانوا أغنياء فللفقراء والمساكين وأهل العلم والفضل والدين المنقطعين عن الأسباب الذى قطعهم عنها القدر، وضيق الورع عليهم التحرك فيها، فانقلبت الأسباب عندهم أربابًا، فتركوها ونزهوا الرب سبحانه عن أن يكون له شريك، يرجعون إليه فى الرزق، فصار مالهم الثقة بالحق عز وجل، واليأس مما فى أيدى الناس، فسلم توحيدهم وانساقت أقسامهم إليهم صفواً عفواً من غير تبعة فى الدنيا ولا عقوبة فى الأخرى، فيا طوبى لمن أنالهم بنوال، أو حذاهم بحذايا، أو واصلهم بفضل، أو خدمهم يومًا من الأيام، أو أَمَّنَ على دعائهم ساعة من الساعات، أو أحسن القول فيهم حالة من الأحوال، طوبى له طوبى له، وذلك لأنهم أهل الله وخاصته، فهل يدخل على الملك إلا خاصته، وهل يحذى من السلطان إلا بطريق حواشيه وخدمه من صادق الحواشى والخدم وأحسن إليهم وخدم، يوشك أن يوقفوه على الملك الأعظم، ثم كل منهم يذكر ما عنده من خير خصاله ومآثره، ثم ينعم الملك عليه بما يراه من نعمه وفضائله.

فإذا ظهرت إمارة الموت استحب لأهله أن يلزموه أرفقهم به وأعرفهم بأخلاقه وسياسته، وأتقاهم لربه، ليذكره بالله عز وجل، ويحثه على ما ذكرنا من طاعته، ويتعاهد بل حلقه بأن يقطر فيه ماء أو شرابًا ويندى شفتيه بقطنة، ويلقنه قول لا إله إلا الله مرة، ولا يزيد على ثلاث لئلا يضجر ويسأم، فتخرج روحه وهو متكره لذلك، فإن لقنه ثم تكلم بشىء غيره، أعاد تلقينه ليكون آخر كلامه.

قال النبى ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٢).

ويكون تلقينه بلطف ومداراة.

(١) الدارمى ٢/ ٢٤٠، وأحمد ٢/١٠٦، والحاكم ١/١١.

(٢) أبو داود (٣١١٦)، وأحمد ٥/٢٣٣.

وينبغى أن يقرأ عنده سورة يس لتكون عونًا على خروج روحه وتسهيله عليه.

فإذا خرجت روحه وجهه إلى القبلة على ظهره طولاً، بحيث إذا أقعد كان وجهه إليها، ثم يبادر فيغمض عينيه لما روى شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا حضرتم موتاكم فأغمضوهم، فإن البصر يتبع الروح وقولوا خيراً، فإنه يؤمن على ما قال أهل البيت ثم يشد لحييه»[1].

وصفته ما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابنه عبد الله رضى الله عنه حين حضرته الوفاة ادن منى، فإذا رأيت روحى قد بلغت لهاتى فضع كفك اليمنى على جبهتى واليسرى تحت ذقنى واغمضنى، ثم يلين مفاصله بأن يرد ذراعيه حتى يلصقهما بعضديه، ثم يردهما ويرد ساقيه إلى فخذيه، وفخذيه إلى بطنه، ثم يردهما ويخلع ثيابه ويسجيه بثوب يستر جميعه، لأنه يصير جميعه عورة بالموت، ولهذا يجب ستر جميعه بالكفن، ويجعل على بطنه مرآة أو سيفًا، لأن الميت إذا خرجت روحه يعلو وينتفخ، ثم يوضع على سرير غسله متوجهًا منحدراً نحو رجليه، ثم يسارع إلى قضاء دينه وإبراء ذمته من الديون والوصايا حتى يلقى ربه برىء الذمة من المظالم، مخلصًا من الحقوق والجواذب.

(فصل) ثم يسارع فى غسله وتجهيزه وتكفينه ودفنه.

إلا أن يكون موته فجأة، فيتوقف عن ذلك حتى يتيقن موته، فتنفصل كفاه وتسترخى رجلاه، ويسيل أنفه، وتنخسف صدغاه، ثم يسرع فى ذلك.

أما صفة الغسل فيبدأ الغاسل فيجرد الميت ويستره من سرته إلى ركبتيه، لأنه أمكن له وأعون على مبالغة غسله، ويغض بصره مهما أمكن لا سيما من عورته.

وقيل: إن الأفضل أن يغسله فى قميص خفيف واسع، وإن كان ضيقًا فتق رأس الدخاريص، ثم يلين مفاصله برفق إن سهلت عليه، وإلا فليدعها لأنه ربما آل ذلك إلى كسرها، وقد قال النبى ﷺ: «كسر عظم الميت ككسره حيًا»[2] ثم يحنيه قليلاً إلى أن يبلغ به قريبًا من الجلوس، ثم يعصر بطنه عصراً رفيقًا، ثم يلف على يده خرقة وينحيه كى لا يباشر عورته بيده، ولأن الخرقة أبلغ فى إزالة النجاسة لخشونتها، فكذلك

(١) ابن ماجه (١٤٥٥)، وأحمد ٤/ ١٢٥، والطبرانى ٧/ ٣٤٩.

(٢) أبو داود (٣٢٠٧)، وابن ماجه (١٦١٦)، وأحمد ٦/ ١٠٥، والبيهقى ٤/ ٥٨.

يستحب ألا يباشر بقية بدنه إلا بخرقة، ويتابع فى صب الماء على يده، ثم يرمى بالخرقة ويأخذ غيرها نظيفة، كذلك إلى ثلاث، ثم يلقى الخرقة ويغسل يده ثم يوضئه وضوءه للصلاة مرتبًا، فينوى ويسمى ويدخل أصبعيه مبلولتين بالماء بين شفتيه، فيمسح أسنانه، وكذلك فى منخريه فينظفهما، ويصب الماء على فيه وأنفه كالمضمضة والاستنشاق، من غير أن يدخل الماء فى فيه وأنفه إلى آخر الأعضاء.

فإذا فرغ من ذلك غسل رأسه بماء وسدر، ثم لحيته، ولا يسرح شعره، ثم يصب عليه الماء القراح من رأسه إلى رجليه، ويغسل شقه الأيمن، ثم يقلبه شمالاً فيغسل شقه الأيسر، وكذلك يغسل سائر جسده بالماء والسدر فى الغسلات كلها، ولكن ينظفه عقيب كل غسلة بالسدر وبالماء القراح، فإن احتاج إلى أشنان لغسل وسخ وخلال لتنقية ما تحت الأظافير استعملها، ويلف القطن على الخلال فيزيل ما بأنفه وصماخيه من الأذى وينظفهما، ثم يرجع فينحيه، ثم يعيد وضوءه ثانية على ما ذكرنا ثم يغسله الأخيرة بماء فيه كافور، ثم ينشفه بثوب.

وأقل ما يغسل الميت ثلاث مرات، وأكثره سبع مرات، فإذا لم ينق بثلاث زاد إلى سبع، ولا يقطع إلا على وتر، ثلاث أو خمس أو سبع.

وإن خرج منه شيء بعد ذلك أعيد عليه الغسل إلى سبع مرات، فإن لم يمنع ذلك خروجه حشى بالقطن وألجم به وبالطين الحر.

وقال بعض أصحابنا: لا يحشى لأن الإمام أحمد رحمه الله كرهه.

وقيل: إنه إذا خرج شيء منه بعد تمام الغسل لم يعد إلى الغسل، بل يغسل موضع النجاسة ثم يوضأ وضوءه للصلاة وكفن وحمل.

والأولى أن يغسل المرة الأولى بماء وسدر، وبقية الغسلات بالماء القراح كغسل الجنابة، ويكون الكافور فى الآخرة، ثم ينشف ويكفن.

وأما تكفينه فإنه يكفن فى ثلاثة أثواب، يدرج فيها إدراجًا، وتكون لفائف بيض لا يكون فيها قميص ولا مئزر ولا سراويل ولا شيء مخيط، إلا اللفائف فتخاط لضيق عرض الثوب وصغره، فيبسط بعضها فوق بعض بعد أن تجمر بالعود والند والكافور، ويجعل الطيب بين كل لفافتين.

وقيل: إنه يكفن فى قميص ومئزر ولفافة، ويكون المئزر مما يلى جلده، ولم يزر

القميص عليه، وثلاثة أثواب أفضل لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كفن فى ثلاث أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة»[1] وقد صحح الإمام أحمد رحمه الله حديث عائشة رضى الله عنها وبنى مذهبه عليه.

ثم يجعل الطيب وهو الحنوط والكافور فى قطن فيجعل منه بين إليتيه ويشد فوقه خرقة، ويجعل باقيه فى مواضع سجوده ومغابنه كالفخذين وتحت إبطيه ومنافذ وجهه وصماخيه وجبينه وركبتيه وكفيه وظاهر عينيه، ولا يدخله فى عينيه، وإن خاف الانتقاض وخروج ما فى الباطن إلى الظاهر حشا داخل أنفه وصماخيه بالقطن والكافور، وإن طيب جميع جسده بالكافور والصندل كان أحسن.

وروى نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يتبع مغابن الميت ومرافقه بالمسك، ثم يأتى بالميت ويطرحه على اللفائف ويثنى طرف اللفافة العليا على شقه الأيمن ثم يرد طرفها الآخر على شقه الأيسر ويدرجه فيه إدراجًا ثم يفعل بالثانية والثالثة كذلك، فيجعل ما عند رأسه أكثر مما عند رجليه، ثم يجمع ذلك جمع طرف العمامة فيعيده على وجهه ورجليه، إلا أن يخاف انتشارها فيعقدها، ثم إذا وضع فى القبر حلها ولم يخرق الكفن.

وأما المرأة فإنها تكفن فى خمسة أثواب: إزار، ودرع، وخمار، ولفافتين، تدرج فيها إدراجًا، والإزار يعمها.

قال بعض أصحابنا: يستحب أن يعمل لها خامة تشد بها فخذاها، فيكون ذلك بدل إحدى اللفافتين، ويضفر شعرها ثلاثة قرون، ويسدل من خلفها ويفعل بها وبالرجل كما يفعل بالعروس.

فإن تعذر فى حقهما جميع ما ذكرنا، اجتزىء بثوب واحد، وأما المحرم فيغسل بماء وسدر، ولا يقرب طيبًا ولا يخمر رأسه ولا رجلاه، ولا يلبس مخيطًا، ويكفن فى ثوبيه، لما روى أن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «بينما رسول الله ﷺ واقف بعرفة ورجل واقف إذ وقع من راحلته فوقصته، فقال رسول الله ﷺ: اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبيه ولا تخمروا رأسه، فإن الله يحشره يوم القيامة ملبيًا»[2].

(١) البخارى فى: الجنائز: ب (١٩، ٢٥)، ومسلم فى: الجنائز: حديث (٤٥)، وأحمد ٦/ ٤.
(٢) البخارى ٣/ ٢٠، ومسلم فى: الحج: حديث (١٤)، وأحمد ١/ ٢١٥.

وأما السقط إذا ولد لأكثر من أربعة أشهر غسل وصلى عليه، وإن لم يتبين أذكر هو أم أنثى، سمى اسمًا يصلح للذكر والأنثى، ولا فرق فى غسله بين الرجل والمرأة، لأن النساء غسلن إبراهيم ابن النبى ﷺ وكان عمره ثمانية عشر شهرًا، مذكور ذلك فى حديث ام عطية رضى الله عنها.

ويغسل الرجل الرجل والمرأة والمرأة، فإن غسلت المرأة زوجها جاز بلا خلاف فى المذهب.

وهل يغسل الرجل امرأته؟ على روايتين، وكذلك الحكم فى أم الولد، وقد غسل على فاطمة الزهراء رضى الله عنهما.

وكفن الرجل مقدم على الدين والوصية، فإن لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته، فإن لم يكن فمن بيت المال، وكذلك كفن المرأة، ولا يجب على زوجها، والأولى أن يتولى دفنه من يتولى غسله.

ويعمق القبر قدر قامة وبسطة، ويكون طوله ثلاثة أذرع وشبرًا فى عرض ذراع وشبر كما قال النبى ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: «يا عمر كيف أنت إذا أعد لك من الأرض ثلاثة أذرع وشبر فى عرض ذراع وشبر، ثم قام إليك أهلك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك حتى يغيبوك فيه، ثم يهيلوا عليك التراب، ثم انصرفوا عنك...» الحديث.

ويستحب أن يسل الميت من قبل رأسه سلاً وإن عسر ذلك فمن جنب القبر أو أسهل الجهات، وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله.

وأما المرأة فيتولى دفنها النساء كما ولين غسلها، فإن تعذر فذو أرحامها من الرجال، فإن تعذر فالشيوخ من الأجانب.

ويستحب أن يسجى قبرها خلاف الرجل، لأنها عورة، وقد مر على رضى الله عنه بقوم وقد بسطوا على قبر رجل ثوبًا، فجذبه وقال: إنما يصنع هذا بالنساء، فإذا حصل فى القبر مستقبل القبلة حثى عليه التراب ثلاث حثيات، بذلك جاءت السنة، ثم يهال عليه التراب، ويرفع القبر من الأرض قدر شبر ويرش عليه الماء ويضع عليه الحصى وإن طين جاز وإن جصص كره.

ويسن تسنيم القبر دون تسطيحه، لما روى عن الحسن رحمه الله قال: رأيت قبر النبى

ﷺ وصاحبيه مسنمًا.

فإذا فرغ من تقبيره سن تلقينه لما روى أبو أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة ثانيًا، فإنه يستوى قاعدًا، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون، فيقول: اذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإنك رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، وبالقرآن إمامًا، فإن منكرًا ونكيرًا يقولان ما يقعدنا عند هذا، وقد لقن حجته، فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه؟ قال: فلينسبه إلى حواء»[1] وإن شاء أن يزيدوا: بالمؤمنين إخوانًا وبالكعبة قبلة وغير ذلك من أعلام الإسلام جاز.

* * *

(١) ابن عساكر ٦/ ٤٢٤، والطبرانى ٨/ ٢٩٨، ومجمع الزوائد ٣/ ٤٥ وعزاه إلى الطبرانى فى «الكبير» من طريق جماعة لم يعرفهم

(فصل)
فى ذكر فضائل الصلوات فى أيام الإسبوع ولياليه

أما ما جاء فى صلوات النهار، فمن ذلك ما روى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء، وإذا دخلت إلى منزلك فصلى ركعتين يمنعانك مدخل السوء»(١).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال فى صلاة الصبح: «من توضأ ثم توجه إلى المسجد ثم يصلى فيه الصلاة، كان له بكل خطوة حسنة، ومحى عنه سيئة، والحسنة بعشر أمثالها، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب الله تعالى له بكل شعرة فى جسده حسنة، وانقلب بحجة مبرورة، فإن جلس حتى يركع كتب الله تعالى له بكل جلسة ألفى ألف حسنة، ومن صلى العتمة فله مثل ذلك، وانقلب بعمرة مبرورة»(٢).

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام شطر الليل، ومن صلى الفجر فى جماعة فكأنما صلى الليل كله»(٣).

وعن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صلاة أثقل على المنافقين من صلاة العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما حَبْواً، ولقد هممت أن آمر فتيانى فيأخذوا الحطب فأحرق على رجال لم يشهدوا معنا فى بيوتهم»(٤).

وعن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون

---

(١) اللآلىء ٢/ ٤٢، والتذكرة (٤٨).

(٢) الإتحاف ٥/ ١٢٦، وابن عساكر ٦/ ١٢٦، وكنز العمال (٢٠٣١٦).

(٣) مسلم فى: المساجد حديث (٢٦٠)، وأبو داود فى. الصلاة: ب (٤٨)، وأحمد ١/ ٥٨ و ٦٨.

(٤) البخارى ١/ ١٤٧، وأحمد ٢/ ٢٤٢.

ألف ملك يستغفرون له حتى الليل»(١).

ولم يكن رسول الله ﷺ يدع أربعًا بعد الزوال يطيلهن ويقول: «إن أبواب السماء تفتح فى هذه الساعة، فأحب أن يرفع لى عمل فيها، قيل: يا رسول الله فيهن سلام فاصل، قال ﷺ: لا»(٢).

وروى عنه ﷺ أنه قال: «رحم الله عبدًا صلى أربعًا قبل العصر»(٣).

* * *

(فصل: فى ذكر صلاة يوم الأحد)

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب، و ﴿آمن الرسول...﴾ مرة، كتب الله تعالى له بعدد كل نصرانى ونصرانية حسنات، وأعطاه ثواب نبى، وكتب له حجة وعمرة، وكتب له بكل ركعة ألف صلاة، ثم أعطاه الله تعالى فى الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر»(٤).

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «وحدوا الله تعالى بكثرة الصلاة فى يوم الأحد، فإنه واحد لا شريك له، فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ فى الركعة الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة، وفى الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك، ثم يتشهد ويسلم، ثم يقوم فيصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة، ويسأل حاجته، كان حقًا على الله تعالى أن يقضى حاجته ويبرئه مما كانت النصارى عليه»(٥).

* * *

(فصل: فى ذكر صلاة يوم الإثنين)

عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) الإتحاف ٣/ ٣٣٦، والمغنى عن حمل الأسفار ١/ ١٩٤.
(٢) أحمد ٣/ ٤١١، وابن ماجه (١١٥٧)، والطبرانى ٤/ ٢٠٠.
(٣) الإتحاف ٣/ ٣٤٨.
(٤) الإتحاف ٣/ ٣٧٢.
(٥) الإتحاف ٣/ ٣٧٣، والمغنى عن حمل الأسفار ١/ ١٩٨

«من صلى يوم الإثنين عند ارتفاع النهـار ركعتين يقـرأ فى كل ركعة فاتحـة الكتاب مرة وآية الكرسى مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ مرة، والمعوذتين مرة مرة، فـإذا سلم استغفر الله عشر مرات، وصلى على النبى ﷺ عشر مرات، غفر الله له ذنوبه كلها»[١].

وعن ثابت البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قـال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم الإثنين اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركـعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة، ينادى به يوم القيـامة أين فلان ابن فـلان، ليقم فليـأخذ ثوابه من الله تعالى، فـأول ما يعطى من الثـواب ألف حلة، ويتوج بتاج ويقـال له ادخل الجنة، فيـستقـبله مائة ألف ملك، مع كل ملك هدية، ويشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ»[٢].

* * *

(فصل: فى ذكر صلاة يوم الثلاثاء)

عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار»[٣].

وفى حديث آخـر: «عند ارتفاع النهـار، يقرأ فى كل ركعـة فاتحة الكتـاب مرة وآية الكرسى مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ ثلاث مرات، لم تكتب عليه خطيئـة إلى سبعين يومًا، فإن مات إلى سبعين يومًا مات شهيدًا، وغفر له ذنوب سبعين سنة»[٤].

* * *

(فصل: فى ذكر صلاة يوم الأربعاء)

عن أبى إدريس الخولانـى، عن معاذ بن جـبل رضى الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم الأربعاء اثنتى عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات، نادى به ملك عند العرش: يا عبد الله استأنف العـمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك،

---

(١) الإتحاف ٣/ ٣٧٣، والمغنى عن حمل الأسفار ١/ ١٩٨.

(٢) الإتحاف ٣/ ٣٧٤.

(٣) الإتحاف ٣/ ٣٧٥، واللآلىء ٢/ ٢٦، والفوائد المجموعة (٤٦).

(٤) سبق تخريجه

ورفع الله عنه عذاب القبر وضيقته وظلمته، ورفع عنه شدائد القيامة، ورفع له من يومه عمل نبى»(١).

* * *

(فصل: فى ذكر صلاة يوم الخميس)

عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم الخميس ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ فى الركعة الأولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسى مائة مرة، وفى الثانية الفاتحة مرة، ومائة مرة ﴿قل هو الله أحد...﴾، وبعد الفراغ يصلى علىَّ مائة مرة، أعطاه الله تعالى ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان، وكان له من الثواب مثل حاج البيت، وكتب له بعدد كل من آمن بالله تعالى وتوكل عليه حسنات»(٢).

* * *

(فصل: فى ذكر صلاة يوم الجمعة)

عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده رضوان الله عليهم قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «يوم الجمعة كله صلاة، ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ فأسبغ الوضوء، وصلى سبحة الضحى ركعتين إيمانًا واحتسابًا، كتب الله تعالى له مائتى حسنة، ومحا عنه مائتى سيئة، ومن صلى أربع ركعات، رفع الله تعالى له فى الجنة أربعمائة درجة، ومن صلى ثمان ركعات، رفع الله تعالى له فى الجنان ثمانمائة درجة، وغفر له ذنوبه كلها، ومن صلى اثنتى عشرة ركعة، كتب الله له ألفًا ومائتى حسنة، ومحا عنه ألفًا ومائتى سيئة، ورفع له فى الجنة ألفًا ومائتى درجة»(٣).

وعن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الصبح، فى يوم الجمعة فى جماعة ثم جلس فى المسجد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، كان له فى الفردوس سبعون درجة، بعد ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمر

(١) الإتحاف ٣/ ٣٧٥، واللآلىء ٢/ ٢٦، والفوائد (٤٦).
(٢) الإتحاف ٣/ ٢٧٦، والفوائد (٤٦).
(٣) الموضوعات ٢/ ١١٨ ـ ١١٩.

سبعين سنة، ومن صلى صلاة الجمعة فى جماعة كان له فى الفردوس خمسون درجة حضر الفرس الجواد خمسين سنة، ومن صلى العصر فى جماعة فكأنما أعتق ثمانية من ولد إسماعيل كلهم رقيق، ومن صلى المغرب فى جماعة فكأنما حج حجة مبرورة وعمرة متقبلة»(١).

وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ. «من صلى يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسى مرة وخمسًا وعشرين مرة ﴿قل أعوذ برب الفلق...﴾، وفى الركعة الثانية يقرأ فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ مرة و ﴿قل أعوذ برب الناس...﴾ عشرين مرة، فإذا سلم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله خمسين مرة، فلا يخرج من الدنيا حتى يرى ربه عز وجل فى المنام، ويرى مكانه فى الجنة، أو يرى له»(٢).

وروى أن أعرابيًا قام إلى النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله إنا نكون فى البادية بعيدًا من المدينة ولا نقدر أن نأتيك فى كل جمعة، فدلنى على عمل إذا رجعت إلى قومى أخبرهم فى سبب الجمعة، فقال النبى ﷺ: يا أعرابى إذا كان يوم الجمعة فصل ركعتين عند ارتفاع النهار، فاقرأ فى أول ركعة فاتحة الكتاب و ﴿قل أعوذ برب الفلق...﴾، وفى الثانية فاتحة الكتاب و ﴿قل أعوذ برب الناس...﴾، ثم تشهد وسلم، واقرأ سبع مرات آية الكرسى جالسًا، ثم صل ثمان ركعات أربعًا أربعًا، واقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب و ﴿إذا جاء نصر الله...﴾ مرة واحدة، وخمسًا وعشرين مرة ﴿قل هو الله أحد...﴾، فإذا فرغت من صلاتك فقل سبعين مرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فوالذى نفس محمد بيده ما من مؤمن ولا مؤمنة صلى يوم الجمعة هذه الصلاة كما أقول إلاَّ وأنا ضامن له الجنة، ولا يقوم من مقامه حتى يغفر الله له ولوالديه إن كانا مسلمين، وينادى مناد من تحت العرش: يا عبد الله استأنف العمل، فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر»(٣).

وذكر لها فضائل كثيرة يطول شرحها، وقد ذكرنا فيما تقدم فضائل أخرى فى صلاة

(١) المغنى عن حمل الأسفار ١/٢٠٧، وقال: ليس يصح فى أيام الأسبوع شىء.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) المغنى ١/٢٠٧.

أخرى بثمانى عشرة مرة ﴿قل هو الله أحد...﴾ فى يوم الجمعة فمن شاء أن يصلها فليصلها.

* * *

(فصل: فى ذكر صلاة يوم السبت)

روى سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾ ثلاث مرات، فإذا فرغ من صلاته وسلم قرأ آية الكرسى كتب الله تعالى له بكل حرف حجة وعمرة، ورفع له لكل حرف أجر سنة صيام نهارها، وقيام ليلها، وأعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد، وكان تحت ظل عرشه مع النبيين والشهداء»[1].

* * *

(١) الموضوعات ٢/١١٣، وتنزيه الشريعة ٢/٨٤، والفوائد المجموعة (٤٤)، واللآلىء ٢/٢١.

باب
في ذكر صلاة الليالي

(فصل: في ذكر فضل صلاة ليلة الأحد)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة ﴿الحمد لله...﴾ مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة، واستغفر الله سبحانه مائة مرة، واستغفر الله لنفسه ولوالدية مائة مرة، وصلى على النبي ﷺ مائة مرة، وتبرأ من حوله وقوته، والتجأ إلى حول الله وقوته، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته، وإبراهيم خليل الله عز وجل، وموسى كليم الله تعالى، وعيسى روح الله سبحانه، ومحمد حبيب الله عز وجل، كان له من الأجر والثواب بعدد من ادعى لله عز وجل ولدًا، ومن لم يدع له ولدًا، وبعثه الله تعالى يوم القيامة مع الآمنين، وكان حقًا على الله أن يدخله الجنة مع النبيين»[١].

* * *

(فصل: في ذكر فضل صلاة ليلة الإثنين)

روى عن الأعمش عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى في ليلة الإثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى ﴿الحمد لله...﴾ مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ عشر مرات، وفي الركعة الثانية ﴿الحمد لله...﴾ مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ عشرين مرة، وفي الركعة الثالثة ﴿الحمد لله...﴾ مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ ثلاثين مرة، وفي الركعة الرابعة ﴿الحمد لله...﴾ مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ أربعين مرة، ثم تشهد وسلم وقرأ ﴿قل هو الله أحد...﴾ خمسًا وسبعين مرة، واستغفر الله تعالى لنفسه ولوالديه خمسًا وسبعين مرة، وصلى على النبي ﷺ خمسًا وسبعين مرة، ثم سأل حاجته كان حقًا على الله تعالى أن يعطيه سؤله» وهي تسمى صلاة الحاجة[٢].

(١) تنزيه الشريعة ٢/ ٨٥، والفوائد المجموعة (٤٤)، والموضوعات ٢/ ١١٥ ـ ١١٦.
(٢) الإتحاف ٣/ ٣٧٩، والأسرار (٤٢٢).

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ليلة الإثنين ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة، وقل أعوذ برب الفلق خمس عشر مرة، وقل أعوذ برب الناس خمس عشرة مرة، ويقرأ بعد التسليم خمس عشر مرة آية الكرسى، ويستغفر الله سبحانه وتعالى خمس عشرة مرة، جعل الله تعالى اسمه فى أصحاب الجنة وإن كان من أصحاب النار، وغفر له ذنوب السر والعلانية، وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة، وإن مات ما بين الإثنين إلى الإثنين مات شهيدًا»(١).

* * *

(فصل: فى ذكر فضل صلاة ليلة الثلاثاء)

عن النبى ﷺ قال: «من صلى ليلة الثلاثاء اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و ﴿إذا جاء نصر الله...﴾ خمس مرات بنى الله تعالى له فى الجنة بيتًا، عرضه وطوله وسع الدنيا سبع مرات»(٢).

* * *

(فصل: فى ذكر فضل صلاة ليلة الأربعاء)

عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى ليلة الأربعاء ركعتين، يقرأ فى أول ركعة فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل أعوذ برب الفلق...﴾ عشر مرات، وفى الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل أعوذ برب الناس...﴾ عشر مرات، ينزل من كل سماء سبعون ألف ملك، يكتبون له الثواب إلى يوم القيامة»(٣).

* * *

(فصل: فى ذكر فضل صلاة ليلة الخميس)

عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية

---

(١) الإتحاف ٣/ ٣٧٩

(٢) الموضوعات ٢/ ١١٨.

(٣) الفوائد المجموعة (٤٦).

الكرسى خمس مرات و ﴿قل هو الله أحد...﴾ خمس مرات، والمعوذتين خمس مرات، فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة، وجعل ثوابها لوالديه، فقد أدى حقهما وإن كان عاقًا لهما، وأعطاه الله سبحانه وتعالى ما يعطى الصدّيقين والشهداء»(١).

* * *

(فصل: فى ذكر صلاة ليلة الجمعة)

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ عشر مرات، فكأنما عبد الله تعالى اثنتى عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها»(٢).

وروى عن كثير بن سلمة عن سلمة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة فى جماعة وصلى بعدها ركعتى السنة، ثم صلى بعدها عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة ﴿الحمد لله...﴾ مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ مرة والمعوذتين مرة مرة، ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن ووجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر»(٣).

وقال النبى ﷺ: «أكثروا من الصلاة علىَّ فى الليلة الغراء واليوم الأزهر، ليلة الجمعة ويوم الجمعة»(٤).

* * *

(فصل: فى ذكر فضل صلاة ليلة السبت)

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة، بنى الله تعالى له قصراً فى الجنة، وكأنما تصدق على

---

(١) الفوائد المجموعة (٤٦).

(٢) الموضوعات ٢/ ١١٩، والإتحاف ٣/ ٣٨١.

(٣) المغنى عن حمل الأسفار ١/ ٢٠٧.

(٤) سبق تخريجه.

كل مؤمن ومؤمنة، وتبرأ من اليهودية وكان حقًا على الله أن يغفر له»[١].

(فصل) وقد ذكرنا فى مجلس التوبة فيما تقدم فى أثناء الكتاب، وإنما يشتغل بالنوافل من الصلاة والصيام والصدقة وأنواع العبادات بعد أحكام الفرائض والسنن وأما قبل أحكامها فلا يشتغل بسواها، بل ينوى بجميع عباداته فرائض ما عليه من كل جنس منها، فينوى بجميع هذه الصلوات التى ذكرناها فى هذه الليالى والأيام قضاء يسقط عنه الفرض، ويحصل له الفضل، يجمع الله تعالى بينهما بمنه ورحمته وكرمه، فإذا تحقق براءة ساحته من الفرائض، فحينئذ ينوى بجميع ذلك نافلة.

* * *

(فصل: فى ذكر فضل صلاة التسبيح)

حدثنا الشيخ أبو نصر عن والده، قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبى الفوارس، وأبو محمد الحسن بن محمد الخلال، قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد الواعظ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد البغوى، قال: حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل، قال: حدثنا موسى بن عبد العزيز، قال: حدثنا الحكم بن أبان، قال: حدثنى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه: «يا عباس يا عماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك، ألا أجعل لك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سره وعلانيته؟ أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً، ثم تهوى ساجداً فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً، ثم تسجد فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك فتقولها عشراً، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة، تفعل ذلك فى أربع ركعات، فإن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففى كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففى عمرك مرة»[٢].

---

(١) الإتحاف ٣/ ٣٨٢

(٢) أبو داود (١٢٩٧)، وابن ماجه (١٣٨٧)، والبيهقى ٣/ ٥١.

وفى لفظ آخر «يقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب و ﴿سبح اسم ربك الأعلى...﴾، وفى الثانية بفاتحة الكتاب و ﴿إذا زلزلت...﴾، وفى الثالثة بفاتحة الكتاب و ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾، وفى الرابعة بفاتحة الكتاب و ﴿قل هو الله أحد...﴾».

وحدثنا أبو نصر عن والده، بإسناده «أن النبى ﷺ قال لجعفر بن أبى طالب رضى الله عنه: ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أعطيك؟ . . . » وساق الحديث إلى آخره.

وروى أنه ﷺ قال ذلك لعمرو بن العاص رضى الله عنه، وفيه زيادة عشرة فى حال القيام، وفى غيره إسقاطها، وفى بعض الألفاظ «فذلك ثلثمائة» يعنى به التسبيح فى الأربع. وفى لفظ آخر «فذلك ألف ومائتان» يعنى أنواع التسبيح، وهى أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإذا ضربت فى ثلثمائة كانت ألفًا ومائتين.

وقال بعض العلماء بالله عز وجل: يستحب فعلها فى الجمعة مرتين مرة ليلاً ومرة نهارًا.

* * *

(فصل: فى صلاة الاستخارة ودعائها للسفر وغيره)

عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: إذا همَّ أحدكم بأمر أو بإرادة خروج، فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: اللهم إنى استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ـ وتسميه بعينه ـ خير لى فى دينى ودنياى وآخرتى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله، فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وإلا فاصرفه عنى ويسر لى الخير حيث كان ما كنت، ورضنى بقضائك يا أرحم الراحمين»(١).

فينبغى لكل أحد إذا تحقق عزمه على الخروج إلى وجه من سفر التجارة أو حج أو زيارة أن يقول عقيب الركعتين: اللهم إنى أريد الخروج فى وجهى هذا بلا ثقة منى

(١) البخارى ٢/ ٧٠، وأبو داود (١٥٣٨)، والترمذى (٤٠٨).

بغيرك، ولا رجاء إلا بك، ولا قوة أتوكل عليها، ولا حيلة ألجأ إليها إلا طلب فضلك، والتعرض لمعروفك ورحمتك، والسكون إلى حسن عبادتك، وأنت أعلم بما قد سبق لى فى علمك فى وجهى هذا مما أحب وأكره، اللهم فاصرف عنى بقدرتك مقادير كل بلاء، ونفّس عنى كل كرب وداء، وابسط على كنفًا من رحمتك ولطفًا من عونك، وحرزًا من حفظك وجميع معافاتك، ثم يرفع الأحمال ويأخذ فى السير ويقول: يا رب قضاؤك علىّ حقيقة أحسن أملى، وادفع عنى ما أحذر مما أنت أعلم به منى، واجعل ذلك خيرًا لى فى دنياى وآخرتى. أسألك يا رب أن تخلفنى فيما خلفت ورائى من أهلى وولدى وقرابتى بأحسن ما خلفت به غائبًا من المؤمنين فى تحصين كل عورة، وحفظًا من كل مضرة، وكفاية كل مهم، وصرف كل مكروه، وكمال ما تجمع لى به من الرضا والسرور فى الدنيا والآخرة، ثم ارزقنى فى ذلك كله شكرك، وذكرك وحسن عبادتك، حتى ترضى عنى وتدخلنى جنتك، برحمتك بعد الرضا يا أرحم الراحمين.

وينبغى أن يكثر فى سفره من هذا الدعاء، فإن النبى ﷺ كان يقوله كثيرًا وهو: الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئًا مذكورًا، اللهم أعنى على أهاويل الدنيا وبوائق الدهور ومصائب الليالى والأيام، واكفنى شر ما يعمل الظالمون، اللهم فى سفرى فاصحبنى، وفى أهلى فاخلفنى، وفيما رزقتنى فبارك لى، وفى نفسى فذللنى، وفى أعين الناس فعظمنى، وفى خُلُقى فقومنى، وإليك يا رب فحببنى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت به السموات وكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين ألا تحل على غضبك، ولا تنزل بى سخطك، لك العتبى فيما استطعت، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، اللهم اطو لنا الأرض وهون علينا السفر، أسألك بلاغًا يبلغ خيرًا ومغفرة ورضوانًا، أسألك الخير كله إنك على كل شىء قدير.

وينبغى أن يقول عند خروجه من منزله: «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله»، فإنه قيل فى الخبر إنه يقال له: «وقيت وكفيت»[1].

وينبغى له إذا ركب راحلته أن يكبّر ثلاثًا ويحمد ثلاثًا ويقول: «سبحان الذى سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين، سبحانك لا إله إلاّ أنت ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر

---

(١) أبو داود (٥٠٩٥)، وأحمد ٣٠٦/٦.

الذنوب إلاَّ أنت» لأنه مروى عن رسول الله ﷺ(١).

وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما «أن النبى ﷺ كان إذا سافر وركب يقول: اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا التقى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا السفر، واطو لنا بعد الأرض، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم اصحبنا فى سفرنا، واخلفنا فى أهلنا»(٢).

وزاد ابن جريج فقال: «اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وسوء المنقلب، وكآبة المنظر فى الأهل والمال».

وينبغى له إذا أراد دخول قرية أو مدينة أن يقول كما روى عن النبى ﷺ: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، أسألك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أسألك مودة خيارهم، وأن تجنبنى من شر أشرارهم»(٣).

* * *

(فصل: فى حرز المسافر من كل سارق وسبع ومؤذٍ)

«اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام، واكنفنا بركنك الذى لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا نهلك وأنت رجاؤنا إن شاء الله وحده»(٤).

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال فى أول ليله: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات، لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسى ومن قالها حين يمسى لم يصبه بلاء حتى يصبح»(٥).

وعن أبى يوسف الخراسانى عن أبى سعيد بن أبى الروحاء قال: ضللت بطريق مكة فى بعض الليالى، فسمعت حسًا خلفى، فاستوحشت فسمعته يقرأ القرآن، فلحقنى

(١) أبو داود (٢٥٩٩)، وأحمد ١/ ٩٧.

(٢) أبو داود (٢٥٩٩)، والترمذى (٣٤٤٧)، وأحمد ٢/ ١٤٤

(٣) الترمذى (٣٥٢٣)، والطبرانى ٨/ ٣٩، ودلائل النبوة ٤/ ٢٠٤

(٤) الإتحاف ٦/ ٤٠٩، وكنز العمال (٣٤٤١)، وابن عساكر ٥/ ٣١٢.

(٥) أبو داود (٥٠٨٨)، وأحمد ١/ ٦٢.

فقال: أحسبك ضالاً؟ فقلت. نعم، فقال: ألا أعلمك شيئًا إذا أنت قلته وأنت ضال اهتديت، أو مستوحش استأنست، أو أرق نمت؟ قلت: نعم، قال: قل: بسم الله ذى الشأن، عظيم البرهان، شديد السلطان، كل يوم هو فى شأن، أعوذ بالله من الشيطان، ما شاء الله كان، لا حول ولا قوة إلا بالله، فقلتها فإذا أصحابى قريب، فطلبت الرجل فلم أصبه. قال أبو بلال: فضللت بمنى من أهلى، فقلت هذا، فالتفت كذا فإذا أنا بأهلى.

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال كل يوم سبع مرات: إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، كفاه الله تعالى ما أهمه صادقًا كان أو كاذبًا إن شاء الله تعالى».

وفى الحديث عن النبى ﷺ قال: «من قال عند الكرب: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، كشف عنه بإذن الله تعالى»[1].

* * *

(فصل: فى ذكر صلاة الكفاية)

وهى ركعتان يصليهما أى وقت كان، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ عشر مرات و ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ [البقرة:١٣٧] خمسين مرة، ثم يسلم، ويدعو بهذا الدعاء وهو: يا الله يا رحمن يا منّان يا حنّان، يا مسبحًا بكل لسان، يا من يداه بالخير مبسوطتان، يا كافى محمدًا ﷺ الأحزاب، ويا كافى إبراهيم عليه السلام النيران، يا كافى موسى فرعون، ويا كافى عيسى عليه السلام الجبابرة، ويا كافى نوحًا عليه السلام الغرق، يا كافى لوطًا عليه السلام فحش قومه، ويا كافى من كل شىء ولا يكفى منه شىء، يا كافى عائشة رضى الله عنها وآسية اكفنى عظيم البلاء من كل شىء، حتى لا أخاف ولا أخشى مع اسمك العظيم الأعظم شيئًا، فإنه يكفى ويجمع همه وشره عند صلاته.

* * *

(١) أحمد ١/ ٩٤.

(فصل: فى ذكر صلاة الخصماء)

وهى أربع ركعات بتسليمة واحـدة، يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ عشر مرات، وفى الثـانية الفاتحة و ﴿قل هو الله أحد...﴾ عشر مرات وثلاث مرات ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾، وفى الثالثة الفاتحة وعشر مرات ﴿قل هو الله أحد...﴾ و ﴿ألهاكم التكاثر...﴾، مرة وفـى الرابعة الفـاتحة وخـمس عشـرة مرة ﴿قل هـو الله أحد...﴾ وآية الكرسى مرة، ثم يجعل ثوابها لخصمائه. يكفيه الله أمرهم يوم القيامة إن شاء الله تعالى، يصلى هذه الصلاة فى سـبعة أوقات أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وآخر جمعة من رمضان، ويومى العيدين، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء.

* * *

(فصل: فى صلاة العتقاء فى شوال)

حدثنا أبو نصر بن البناء عن والده قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عمر العلاف، قال: أخبرنا أبو القاسم القاضى، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن صديق، قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن جعفر المروزى، قال: حدثنا على ابن معروف، قال: حدثنى محمد بن محمود، قال: أخبرنا يحيى بن شبيب، قال: حدثنا حمـيد عن أنس رضى الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «من صلى فى شـوال ثمان ركعات ليلاً كان أو نهاراً، يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وخمس عشرة مرة ﴿قل هو الله أحد...﴾ فإذا فرغ من صلاته سبّح سبعين مرة، وصلى على النبى ﷺ سبعين مرة، قال النبى ﷺ: والذى بعثنى بالحق ما من عـبد يصلى هذه الصلاة إلا أنبع الله له ينابيع الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسـانه وأراه داء الدنيا ودواءها، والذى بعثنى بالحق من صلى هذه الصلاة كما وصفت لا يرفع رأسه من آخر سجدة حتى يغفر الله له، وإن مات مات شهيـداً مغفوراً له، وما من عبـد صلى هذه الصلاة فى السفر إلاً سهّل الله عليـه السير والذهاب إلى موضع مراده، وإن كـان مديونًا قضى الله دينه، وإن كان ذا حـاجة قضى الله حوائجـه، والذى بعثنى بالحق ما من عـبد يصلى هذه الصـلاة إلاً أعطاه الله تعالى بكل حـرف وبكل آية مخـرفة فى الجنة، قـيل: وما المخـرفة يا رسـول الله؟ قال ﷺ: بساتين فى الجنة يسير الراكب فى ظل شجرة من أشجارها مائة سنة ثم لا يقطعها».

* * *

(فصل: فى فضل الصلاة لرفع عذاب القبر)

عن عبد الله بن الحسين عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ركعتين يقرأ فى إحديهما آخر الفرقان من ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجًا...﴾ [الفرقان: ٦١] حتى يختم السورة، ثم يأخذ فى الثانية فيقرأ فيها بعد الفاتحة من أول سورة المؤمنين حتى يبلغ ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] فإنه يأمن شر الجن والإنس ويعطى كتابه بيمينه يوم القيامة، ويأمن من عذاب القبر، ومن الفزع الأكبر، ويعلمه الكتاب، وإن لم يكن حريصًا، وينزع منه الفقر، ويؤتيه الله الحكم، ويبصره فى كتابه الذى أنزله على نبيه ﷺ، ويلقنه حجته يوم القيامة، ويجعل النور فى قلبه، ولا يحزن إذا حزن الناس، ولا يخاف إذا خافوا، ويجعل النور فى بصره، وينزع حب الدنيا من قلبه، ويكتب عند الله من الصدّيقين»[1].

* * *

(فصل: فى صلاة الحاجة)

عن أبى هاشم الأيلى، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «من كان له إلى الله حاجة مهمة، فليسبغ الوضوء وليصل ركعتين، يقرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسى، وفى الثانية بفاتحة الكتاب و ﴿آمن الرسول...﴾ إلى آخره، ثم يتشهد ويسلم، ويدعو بهذا الدعاء فإنها تقضى.

والدعاء: اللهم يا مؤنس كل وحيد، ويا صاحب كل فريد، ويا قريبًا غير بعيد، ويا شاهدًا غير غائب، ويا غالبًا غير مغلوب، أسألك باسمك ببسم الله الرحمن الرحيم، الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم، الحى القيوم، الذى عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، ووجلت منه القلوب، أن تصلى على محمد وعلى آل محمد، وأن تجعل لى من أمرى فرجًا ومخرجًا وتقضى حاجتى»[2].

* * *

(١) الموضوعات ١/ ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) كنز العمال (٣ ٥١)، وتذكرة الموضوعات (٥٠).

(فصل: فى الدعاء لدفع الظلم والاحتراز منه)

روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما «أن رسول الله ﷺ علم عليًا وفاطمة رضى الله عنهما هذا الدعاء: وقال لهما: إذا نزلت بكما مصيبة، أو خفتما جور سلطان، أو ضلت لكما ضالة، فأحسنا الوضوء وصليا ركعتين وارفعا أيديكما إلى السماء وقولا: يا عالم الغيب والسرائر، يا مطاع يا عزيز يا عليم، يا الله يا الله يا الله، يا هازم الأحزاب لمحمد ﷺ، يا كائد فرعون لموسى عليه السلام، يا منجى عيسى عليه السلام من يد ظلمته، يا مخلص قوم نوح من الغرق، يا راحم عبرة يعقوب عليه السلام، يا كاشف ضر أيوب عليه السلام، يا منجى ذى النون عليه السلام من الظلمات الثلاث، يا فاعل كل خير، يا هاديًا إلى كل خير، يا دالاً على كل خير، يا أهل كل خير، يا خالق الخير، ويا أهل الخيرات، أنت الله، رغبت إليك فيما قد علمت، وأنت علاّم الغيوب، أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد، ثم سلا حاجتكما تجابا إن شاء الله تعالى».

(دعاء آخر):

وهو دعاء النبى ﷺ يوم الأحزاب، رواه ابن عمر رضى الله عنهما عنه ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بنور قدسك، وعظمة طهارتك، وتزكية جلالك من كل آفة، وعاهة وطارق الجن والإنس، إلا طارقًا يطرق منك بخير، إنك أنت عياذى فبك أعوذ، وأنت ملاذى فبك ألوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة، وجمعت له مقاليد الرعاية، أعوذ بجلال وجهك، وكرم جلالك من خزيك وكشف سترك، ونسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك، أنا فى كنفك فى ليلى ونهارى، ونومى وقرارى، وظعنى وأسفارى، ذكرك شعارى وثناؤك دثارى، لا إله إلا أنت تنزيهًا لاسمك، وتكريمًا لسبحات وجهك، أجرنى من خزيك ومن شر عذابك وعبادك، وأضرب على سرادقات حفظك، وأدخلنى فى حفظ عنايتك، وقنى سيئات عذابك، وأغننى بخير منك برحمتك يا أرحم الراحمين»[1].

* * *

(١) كنز العمال (٣٠٠٩٦)

(فصل: فى الدعاء لذهاب الهموم وقضاء الديون)

عن أبى صالح رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من أصابه هم أو حزن، فليدع بهؤلاء الكلمات: اللهم أنا عبدك وابن عبدك، ناصيتى بيدك، ماض فىّ حكمك، عدل فىّ قضاؤك، اللهم إنى أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى، فقال قائل: يا رسول الله إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات، قال ﷺ: أجل فقلهن وعلمهن، فإنه من قالهن التماس ما فيهن، أذهب الله عز وجل حزنه وأطال فرحه»(١).

ويروى عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه دخل عليها فقال: هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء كان يعلمناه، وذكر أن عيسى ابن مريم عليه السلام كان يعلمه أصحابه ويقول: لو كان على أحدكم مثل جبل دينًا قضاه الله عز وجل عنه؟ فقالت: كان يقول: اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما،أسألك أن ترحمنى رحمة من عندك تغنينى بها عن رحمة من سواك»(٢).

(دعاء آخر فى ذلك):

وهو ما روى عن الحسن البصرى رحمه الله أنه جاءه صديق له يكرم عليه، فقال له: يا أبا سعيد على دين، وأحب أن تعلمنى اسم الله تعالى الأعظم، فقال: إن شئت ذلك فقم وتوضأ، فقام وتوضأ وقال له: قل: يا الله يا الله أنت الله ، بلى والله أنت الله ، لا إله إلا أنت، الله الله الله، والله إنه لا إله إلا الله، اقض عنى هذا الدين وارزقنى بعد الدين، فأصبح الرجل فرأى مائتى ألف درهم صحاحًا فى مسجده دراهم مختلفة فى جراب، على رأى الجراب مكتوب: لو سألت أكثر من هذا لأعطيناك، فيكف لم تسأل الجنة؟ فجاء الرجل إلى الحسن رحمه الله فأخبره بذلك، فانطلق معه إلى منزله، فنظر إلى الدراهم، فقال الرجل: إنى ندمت حيث لم أسأل الله الجنة، فقال الحسن: إن الذى

(١) أحمد ١/ ٣٩١، وابن السنى (٣٣٥)، والطبرانى ١٠/ ٢١٠.

(٢) الحاكم ١/ ٥١٥ من طريق الحكم بن عبد الله الأيلى. قال الذهبى: ليس بثقة. وابن أبى شيبة ١٠/ ٤٤١.

علمك هذا الاسم لم يعلمك إلا الخير يريدك به، فاكتم على هذا الاسم لا يسمع به الحجاج فلا ينجو منه أحد.

(دعاء آخر):

علمه جبريل عليه السلام لنبينا محمد ﷺ حين خرج من مكة المشرفة يريد جبل حراء، خوفًا من قريش، روى أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه «أن جبريل عليه السلام قال: يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام، وقد علمنى دعاء تدعو به فيجعل الله بينك وبينهم سترًا، فقال النبى ﷺ: نعم يا جبريل، فقال: قل. يا كبير كل كبير يا سميع يا بصير، يا من لا شريك له ولا وزير، يا خالق الشمس والقمر المنير، يا عصمة البائس الخائف المستجير، يا رازق الطفل الصغير، يا جابر العظم الكسير، يا قاصم كل جبار عنيد، أسألك وأدعوك دعاء البائس الفقير، دعاء المضطر الضرير، أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومفاتيح الرحمة من كتابك، وبالأسماء الثمانية المكتوبة على قرن الشمس، أن تفعل بى كذا وكذا»[١].

* * *

(١) ذيل اللآلىء المصنوعة ص (١٥٢).

باب
الأدعية التى يدعى بها عقيب الصلوات الفرض
ودعاء الختمة وغير ذلك

أما دعاء صلاة الغداة وصلاة العصر، فهو أن يقول: اللهم لك الحمد شكرًا، ولك المنّ فضلاً، بنعمتك تتم الصالحات، نسألك اللهم فرجًا قريبًا، فإنك لم تزل مجيبًا، وصبرًا جميلاً، وعافية من جميع البلايا، والسلامة من طريق الرزايا، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم اجعل اجتماعنا اجتماعًا مرحومًا، وتفرقنا تفرقًا معصومًا، ولا تجعل فينا شقيًا، ولا محرومًا، ولا تردنا بالفاقة إلى غيرك، ولا تحرمنا سعة خيرك، وحقيقة التوكل عليك، وخالص الرغبة فيما لديك، واملأ قلوبنا منك الغنى، واكس وجوهنا منك الحياء، وارزقنا خير الآخرة والدنيا، برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب.

اللهم ارزقنا خير الصباح وخير المساء، وخير القضاء وخير القدر، واصرف عنا شر الصباح وشر المساء، وشر القضاء وشر القدر..

اللهم وما أنزلت فى هذا اليوم من خير وعافية وسلامة وغنيمة وسعة رزق، فاجعل لنا فيه أوفر الحظ والنصيب، اللهم وما أنزلت من سوء وبلاء وشر وداء وفتنة، فاصرفه عنا وعن جميع المسلمين والمسلمات برحمتك يا أرحم الراحمين.

(دعاء آخر):

الحمد لله الذى أحاط بكل شىء علمًا، وأحصى كل شىء عددًا، لا إله إلا هو أهل الكبرياء والعظمة، ومنتهى الجبروت والعزة، وولى الغيث والرحمة، مالك الدنيا والآخرة، عظيم الملكوت شديد الجبروت، لطيف لما يشاء فعّال لما يريد، أول كل شىء، وخالق كل شىء ورازقه، سبحانه لا إله إلا هو، اللهم اجعل صباحنا صباحًا صالحًا، لا مخزيًا ولا فاضحًا، اللهم اكفنا شر نوائب الزمان ومكروهه، ومصارع السوء ومصايد الشيطان، وموارد صولة السلطان، ووفقنا فى يومنا هذا وفى سائر الأيام، لاستعمال الخيرات وهجران السيئات، اللهم أصلحنا وأصلح قلوبنا، وأصلح أخلاقنا وأصلح أفعالنا، وأصلح آباءنا وأبناءنا وأجدادنا وجداتنا ودنيانا وأخرانا، اللهم كما أمضيت الليلة بالسلامة والعافية فامض علينا النهار بالسلامة والعافية برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين، آمين اللهم آمين يا الله يا رب العالمين.

(دعاء آخر):

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، سبحانه وتعالى عما يشركون، اللهم اغفر لنا ذنوبنا ما أظهرنا وما أسررنا، وما أخفينا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، اللهم أعطنا رضاك فى الدنيا والآخرة، واختم لنا بالسعادة والشهادة والمغفرة، اللهم اجعل آخر أعمارنا خيراً، وخواتيم أعمارنا خيراً، وخير أيامنا يوم نلقاك فيه.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، ومن فجأة نقمتك، ومن تحويل عافيتك، اللهم إنا نعوذ بك من درك الشقاء، وجهد البلاء، وشماتة الأعداء، وتغير النعماء، وسوء القضاء، نعوذ بك من جميع المكاره والأسواء، ونسألك اللهم خير العطاء، اللهم إنا نسألك أن تكشف سقمنا، وتبرىء مرضانا، وترحم موتانا، وتصح أبداننا، ونخلص لك اللهم أدياننا، وأن تحفظ عبادتنا، وتشرح صدورنا، وتدبر أمورنا، وتجبر أولادنا، وتستر جرمنا، وترد غيابنا، وأن تثبتنا على ديننا، ونسألك خيراً ورشداً، اللهم ربنا إنا نسألك أن تؤتينا حسنة فى الدنيا وحسنة فى الآخرة، وأن تتوفنا مسلمين برحمتك، وقنا عذاب النار وعذاب القبر يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

فالدعاء مأمور به، وهو عند الله بمكان، وقد بيّنا ذلك فى أثناء الكتاب.

فلا ينبغى للإمام والمأموم أن يخرجا من المسجد من غير دعاء، قال الله تعالى: ﴿**فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب**﴾ [الشرح ٧ ـ ٨] أى إذا فرغت من العبادة فانصب للدعاء وارغب فيما عند الله واطلبه منه، وقد جاء فى الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا قام الإمام فى محرابه وتواترت الصفوف، نزلت الرحمة، فأول ذلك تصيب الإمام، ثم من عن يمينه، ثم من عن يساره، ثم تتفرق الرحمة على الجماعة، ثم ينادى ملك ربح فلان وخسر فلان، فالرابح من يرفع يديه بالدعاء إلى الله تعالى إذا فرغ من صلاته المكتوبة، والخاسر هو الذى خرج من المسجد بلا دعاء، فإذا خرج بلا دعاء قالت الملائكة: يا فلان استغنيت عن الله تعالى ما لك عند الله حاجة.

(فصل) فأما دعاء ختمة القرآن فهو:

صدق الله العظيم الذى خلق الخلق فأبدعه، وسن الدين وشرعه، ونور النور وشعشعه، وقدر الرزق ووسعه، وضر خلقه ونفعه، وأجرى الماء وأنبعه، وجعل السماء سقفًا محفوظًا مرفوعًا رفعه، والأرض بساطًا وضعه، وسير القمر فأطلعه، سبحانه ما أعلى مكانه وأرفعه، وأعز سلطانه وأردعه، لا راد لما صنعه، ولا مغير لما اخترعه، ولا مذل لمن رفعه، ولا معز لمن وضعه، ولا مفرق لما جمعه، ولا شريك له، ولا إله معه، صدق الله الذى دبر الدهور، وقدر المقدور، وصرف الأمور، وعلم هواجس الصدور، وتعاقب الديجور، وسهل المعسور، ويسر الميسور، وسخر البحر المسجور، وأنزل الفرقان والنور، والتوراة والإنجيل والزبور، وأقسم بالفرقان والطور، والكتاب المسطور فى رق منشور، والبيت المعمور، والبعث والنشور، وجاعل الظلمات والنور، والولدان والحور، والجنان والقصور **﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور﴾** [فاطر٢٢] صدق الله العظيم، الذى عز فارتفع، وعلا فامتنع، وذل كل شىء لعظمته وخضع، وسمك السماء ورفع، وفرش الأرض وأوسع، وفجر الأنهار فأنبع، ومرج البحار وأترع، وسخر النجوم فأطلع، وأرسل السحاب فارتفع، ونور النور فلمع، وأنزل الغيث فهمع، وكلم موسى عليه السلام فأسمع، وتجلى للجبل فتقطع، ووهب ونزع، وضر ونفع، وأعطى ومنع، وسن وشرع، وفرق وجمع، **﴿وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع﴾** [الأنعام:٩٨].

صدق الله العظيم التواب الغفور، الوهاب، الذى خضعت لعظمته الرقاب، وذلت لجبروته الصعاب، ولانت له الشداد الصلاب، واستدلت بصنعته الألباب، ويسبّح بحمده الرعد والسحاب، والبرق والسراب، والشجر والدواب، رب الأرباب، ومسبب الأسباب، ومنزل الكتاب، وخالق خلقه من التراب، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب، صدق من لم يزل جليلاً دليلاً، صدق من حسبى به كفيلاً، صدق من اتخذته وكيلاً، صدق الهادى إليه سبيلاً، صدق الله ومن أصدق من الله قيلاً، صدق الله وصدق أنباؤه، وصدق الله وصدقت أنبياؤه، صدق الله وجلت آلاؤه، صدق الله وصدقت أرضه وسماؤه، صدق الله الواحد القديم، الماجد الكريم، الشاهد العليم، الغفور الرحيم الشكور الحليم، **﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة**

إبراهيم﴾ [آل عمران ٩٥].

صدق الله العظيم الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الحى الحليم، الحى الكريم، الحى الباقى، الحى الذى لا يموت أبدًا، ذو الجلال والجمال والإكرام، والأسماء العظام، والمنن الجسام، وبلغت الرسل الكرام بالحق صلى الله على سيدنا محمد وسلم وعليه السلام، ونحن على ما قال الله ربنا وسيدنا ومولانا من الشاهدين، وما أوجب وألزم غير جاحدين، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا وسندنا محمد خاتم النبيين، وعلى أبويه المكرمين سيدنا آدم والخليل إبراهيم، وعلى جميع إخوانه من النبيين، وعلى أهل بيته الطاهرين، وعلى أصحابه المنتخبين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

صدق الله ذو الجلال والإكرام، والعظمة والسلطان، جار لا يرام، عزيز لا يضام، قيوم لا ينام، له الأفعال الكرام، والمواهب العظام، والأيادى الجسام، والأفضال والأنعام، والكمال والتمام، تسبّح له الملائكة الكرام، والبهائم والهوام، والرياح والغمام، والضياء والظلام، وهو الله الملك القدوس السلام، ونحن على ما قال الله ربنا جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وجلت آلاؤه، وشهدت أرضه وسماؤه، ونطقت به رسله وأنبياؤه شاهدون ﴿لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم * إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران ١٨ - ١٩] ونحن مما شهد الله ربنا والملائكة وأولوا العلم من خلقه من الشاهدين، شهادة شهد بها العزيز الحميد، ودان بها المؤمن الغفور الودود، وأخلص بالشهادة لذى العرش المجيد، يرفعها بالعمل الصالح الرشيد، يعطى قائلها الخلود فى جنة ذات سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، يرافق فيها النبيين الشهود، والركع السجود، والباذلين فى طاعته غاية المجهود.

اللهم اجعلنا بهذا التصديق صادقين، وبهذا الصدق شاهدين، وبهذه الشهادة مؤمنين، وبهذا الإيمان موحدين، وبهذا التوحيد مخلصين، وبهذا الإخلاص موقنين، وبهذا الإيقان عارفين، وبهذه المعرفة معترفين، وبهذا الاعتراف منيبين، وبهذه الإنابة فائزين، وفيما لديك راغبين، ولما عندك طالبين. وباه بنا الملائكة الكرام الكاتبين،

واحشرنا مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، ولا تجعلنا ممن استهوته الشياطين، فشغلته بالدنيا عن الدين، فأصبح من النادمين، وفى الآخرة من الخاسرين، وأوجب لنا الخلود فى جنات النعيم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم لك الحمد وأنت للحمد أهل، وأنت الحقيق بالمنّة ثم الفضل، لك الحمد على تتابع إحسانك، ولك الحمد على تواتر إنعامك، ولك الحمد على ترادف امتنانك.

اللهم عطفت علينا قلوب الآباء والأمهات صغارًا، وضاعفت علينا نعمك كبارًا، ووالیت إلينا برك مدرارًا، وجهلنا وما عاجلتنا مرارًا، فلك الحمد، اللهم فإنا نحمدك سرًا وجهارًا، ونشكرك محبة واختيارًا، فلك الحمد إذ ألهمتنا من الخطأ استغفارًا، ولك الحمد فارزقنا جنة واحجب عنا بعفوك نارًا، ولا تهلكنا يوم البعث فتجعلنا بين المعاشر عارًا، ولا تفضحنا بسوء أفعالنا يوم لقائك، فتكسنا ذلة وانكسارًا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم لك الحمد وأنت للحمد أهل، وأنت الحقيق بالمنّة والفضل، اللهم لك الحمد كما هديتنا للإسلام وعلمتنا الحكمة والقرآن، اللهم أنت علمتنا قبل رغبتنا فى تعليمه، ومننت به علينا قبل علمنا بمعرفته، وخصصتنا به قبل معرفتنا بفضله، اللهم فإذا كان ذلك من فضلك لطفًا بنا وامتنانًا علينا من غير حيلتنا ولا قوتنا، فهب لنا اللهم رعاية حقه، وحفظ آياته، وعملاً بمحكمه، وإيمانًا بمتشابهه، وهدى فى تدبره، وتفكرًا فى أمثاله ومعجزته، وبصرة فى نوره وحكمه، لا تعارضنا الشكوك فى تصديقه، ولا يختلجنا الزيغ فى قصد طريقه.

اللهم انفعنا بالقرآن العظيم، وبارك لنا فى الآيات والذكر الحكيم، وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الوهاب الرحيم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، وشفاء صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، وسائقنا وقائدنا ودليلنا إليك وإلى جناتك جنات النعيم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل القرآن لقلوبنا ضياء، ولأبصارنا جلاء، ولأسقامنا دواء، ولذنوبنا ممحصًا، ومن النار مخلصًا، اللهم اكسنا به الحلل، وأسكنا به الظلل، وأسبغ علينا به

النعم، وادفع به عنا النقم، واجعلنا به عند الجزاء من الفائزين، وعند النعماء من الشاكرين، وعند البلاء من الصابرين، ولا تجعلنا ممن استهوته الشياطين، فشغلته بالدنيا عن الدين، فأصبح من الخاسرين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم لا تجعل القرآن بنا ماحلاً، ولا الصراط بنا زائلاً، ولا بنبينا وسيدنا وسندنا محمداً ﷺ فى القيامة عنا معرضًا ولا موليًا، اجعله لنا شافعًا مشفعًا، وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربًا رويًا هنيًا لا نظمأ بعده أبدًا، غير خزايا ولا ناكثين، ولا جاحدين ولا مغضوب علينا، ولا ضالين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم انفعنا بالقرآن الذى رفعت مكانه وثبت أركانه، وأيدت سلطانه وبينت بركاته، وجعلت اللغة العربية الفصيحة لسانه، وقلت يا عز من قائل سبحانه. **﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾** [القيامة.١٨ ١٩]. أحسن كتبك نظامًا، وأوضحها كلامًا وأبينها حلالاً وحرامًا، محكم البيان، ظاهر البرهان محروس من الزيادة والنقصان، فيه وعد ووعيد وتخويف وتهديد **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾** [فصلت:٤٢].

اللهم فأوجب لنا به الشرف والمزيد، وألحقنا بكل بر سعيد، واستعملنا فى العمل الصالح الرشيد، إنك أنت القريب المجيب، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم فكما جعلتنا به مصدقين، ولما فيه محققين، فاجعلنا بتلاوته منتفعين، وإلى لذيذ خطابه مستمعين، وبما فيه معتبرين، ولأحكامه جامعين، ولأوامره ونواهيه خاضعين، وعند ختمه من الفائزين، ولثوابه حائزين، ولك فى جميع شهودنا ذاكرين، وإليك فى جميع أمورنا راجعين، واغفر لنا فى ليلتنا هذه أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعلنا من الذين حفظوا للقرآن حرمته لما حفظوه، وعظموا منزلته لما سمعوه، وتأدبوا بآدابه لما حضروه، والتزموا حكمه لما فارقوه، وأحسنوا جواره لما جاوروه، وأرادوا بتلاوته وجهك الكريم والدار الآخرة، فوصلوا به إلى المقامات الفاخرة، واجعلنا به ممن فى درج الجنان يرتقى، وبنبيه ﷺ يوم عرضه راض عنه يلتقى، فالمتشفع إليك بالقرآن غير شقى برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعلها ختمة مباركة على من قرأها وحضرها وسمعها وأمَّن على دعائها،

وأنزل اللهم من بركاتها على أهل الدور فى دورهم، وعلى أهل القصور فى قصورهم، وعلى أهل الثغور فى ثغورهم، وعلى أهل الحرمين فى حرميهم من المؤمنين، اللهم وأهل القبور من أهل ملتنا أنزل عليهم فى قبورهم الضياء والفسحة، وجازهم بالإحسان إحسانًا، وبالسيئات غفرانًا، وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا سائق القوت، ويا سامع الصوت، ويا كاسى العظام بعد الموت، صل على محمد وعلى آل محمد، ولا تدع لنا فى هذه الليلة الشريفة المباركة ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، ولا كربًا إلا نفسته، ولا غمًا إلا كشفته، ولا سوءًا إلا صرفته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا مبتليًا إلا عافيته، ولا ذا إساءة إلا أقلته، ولا حقًا إلا استخرجته، ولا غائبًا إلا رددته، ولا عاصيًا إلا هديته، ولا ولدًا إلا جبرته، ولا ميتًا إلا رحمته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاح إلا أعنتنا على قضائها بيسر منك وعافية مع المغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم عافنا واعف عنا بعفوك العظيم، وسترك الجميل، وإحسانك القديم، يا دائم المعروف، يا كثير الخير، وصل على سيدنا وسندنا محمد وعلى إخوانه الأنبياء وعلى آله والملائكة وسلم تسليمًا، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدًا، ووفقنا لعمل صالح يرضيك عنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم صلِّ على محمد كما هديتنا به من الضلالة، اللهم صلِّ على محمد كما استنقذتنا به من الجهالة، اللهم صلِّ على محمد كما بلَّغ الرسالة، اللهم صلِّ على محمد شمس البلاد وقمر المهاد وزين الورَّاد وشفيع المذنبين يوم التناد، اللهم صلِّ على محمد وذريته وجميع صحابته، الذين قاموا بنصرته وجروا على سنته برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم صلِّ على محمد الذى بالحق بعثته، وبالصدق نعته، وبالحلم وسمته، وبأحمد سميته، وفى القيامة فى أمته شفَّعته، اللهم صلِّ على محمد ما أزهرت النجوم، وصلِّ على محمد ما تلاحمت الغيوم، وصلِّ على محمد يا حى يا قيوم.

اللهم صلِّ على محمد ما ذكره الأبرار، وصلِّ على محمد ما اختلف الليل والنهار، وصلِّ على محمد وعلى المهاجرين والأنصار برحمتك يا أرحم الراحمين.

(الوصية)

اعلمـوا رحمكم الله أن ليلتكم هذه ليلة الـوداع لشهركـم الذى شرفه الله وعـظمه، ورفع قدره وكرمه، شـهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، ونزول الرحـمة فيه عليكم من الله والرضوان، جعله الله مصباح العام وواسطـة النظام، وأشرف قواعد الإسلام المشرقة بأنوار الصيام والقيام، أنزل الله تعالى فيه كتابه وفتح فيه للتائبين أبوابه، فلا دعاء فيه إلا مسـموع، ولا خيـر إلا مجمـوع، ولا ضر إلا مدفـوع، ولا عمل إلا مرفـوع، الظافر الميمـون من اغتنم أوقاته، والخاسـر المغبون من أهمله فـفاته، شهـر جعله الله لذنوبكم تطهيرًا، ولسيـئاتكم تكفيرًا، ولمن أحسن منكم صحبتـه ذخيرة ونورًا، ولمن وفّى بشرطه ورعى حرمته فرحًا وسـرورًا، شهر تورع فيه أهل الفسق والفساد، وزاد فـيه من الرغبة إلى الله أهل الجد والاجـتهـاد، شهر عـمارات القلوب وكفـارات الذنوب واختـصاص المساجد بالازدحام والتحاشد، وهبوط الأملاك بصكاك العتق والفكاك، شهر فيه المساجد تعمر، والمصابيح تزهر والآيـات تذكر، والقلوب تجبر والدنوب تغفر، شهـر فيه تشرق المساجد بالأنوار، وتكثر الملائكة لصـوامه من الاستغفار، ويعتق فـيه الجبار فى كل ليلة عند الإفطار ستمـائة ألف عتيق من النار، وتنزل فيـه البركات، وتعظم فيـه الصدقات، وتكفر فيـه السيئات، وتقال فيـه العثرات، وتدفع فيه النكبات، وترفع فـيه الدرجات، وترحم فيه العبرات، وتنادى فيه الحور الحسان من الجنات: هنيئًا لكم يا معشر الصائمين والصـائمات، والقـائمين والقـائمات، بمـا أعد الله لكم من الخـيرات، لقـد غمـرتكم البركات، واسـتبشر بكم أهل الأرض والسموات، فـرحم الله امرأ مهد فيه لنفـسه قبل حلول رمسـه، واشتغل بيومـه عن غداه وأمسـه، وتزود من بقية زاده، ففى نفـاده نفاد عمره، وأظهر لفـراق شهره جزعه، وسلم على شهـره ودعه، وقال: السلام عليك يا شهر رمضان، السلام عليك يا شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، السلام عليك يا شهر التجاوز والغفران، السلام عليك يا شهر البركة والإحسان، السلام عليك يا شهر التحف والرضـوان، السلام عليك يا شـهر النسـك والتعـبد، السـلام عليك يا شهـر الصيـام والتهـجد، السـلام عليك يا شهـر التراويح، السـلام على يا شهر الأنوار والمـصابيح، السلام عليك يا أنس العارفـين، السلام عليك يا فخر الواصـفين، السلام عليك يا نور

الواقعين، السلام عليك يا روضة العابدين، فيا شهرنا غير مودع ودعناك، وغير مقلى فارقناك، كان نهارك صدقة وصيامًا، وليلك قراءة وقيامًا، فعليك منا تحية وسلامًا.

أنراك تعود بعدها علينا أو تدركنا المنون فلا تؤول إلينا، مصابيحنا فيك مشهورة، ومساجدنا فيك معمورة، فالآن تنطفىء المصابيح، وتنقطع التراويح، ونرجع إلى العادة، ونفارق شهر العبادة.

فيا ليت شعرى من المقبول منا فنهنيه بحسن عمله، أم ليت شعرى، من المطرود منا فنعزيه بسوء عمله، فيا أيها المقبول هنيئًا لك بثواب الله عز وجل ورضوانه ورحمته وغفرانه وقبوله وإحسانه وعفوه وامتنانه وخلوده فى دار أمانه، ويا أيها المطرود بإصراره وطغيانه وظلمه وعدوانه وغفلته وخسرانه وتماديه وعصيانه، لقد عظمت مصيبتك بغضب الله وهوانه، فأين مقلتك الباكية، وأين دمعتك الجارية، وأين زفرتك الرائحة الغادية، لأى يوم أخرت توبتك، ولأى عام أدخرت عدتك، إلى عام قابل وحول حائل، كلا فما إليك مدة الأعمار، ولا معرفة المقدار، فكم من مؤمل أمل بلوغه فلم يبلغه، وكم من مدرك له ولم يختمه، وكم من أعد طيبًا لعيده جعل فى تلحيده، وثيابًا لتزيينه صارت لتكفينه، ومتأهبًا لفطره صار مرتهنًا فى قبره، وكم من لا يصوم بعده سواه وهو يطمع فى غيره أن يراه، فاحمدوا الله عباد الله على بلوغ اختتامه، وسلوه قبول صيامه وقيامه، وراقبوه بأداء حقوقه، واعتصموا بحبل الله وتوفيقه، واعلموا رحمكم الله أنكم فارقتم شهرًا عظيمًا مفضلاً كريمًا، أين الصوام القوام الموافقون لكم فى سالف الأعوام، وأين من كان معكم ليالى شهر رمضان شاهدين، وفى كل حق الله معاملين من الآباء والأمهات والإخوة والأخوات والجيرة والقرابات، أتاهم والله هادم اللذات وقاطع الشهوات ومفرق الجماعات، فأخلى منهم المشاهد، وعطل منهم المساجد، تراهم فى بطون الألحاد صرعى، لا يجدون لما هم فيه دفعًا، ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، ينتظرون يومًا الأمم فيه إلى ربها تدعى، والخلائق تحشر إلى الموقف وتسعى، والفرائص ترعد من هول ذلك اليوم جمعًا، والقلوب تتصدع من الحساب صدعًا ﴿ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعًا﴾ [الكهف ٩٩].

عباد الله من كان منع نفسه من الحرام فى شهر رمضان فليمنعها فيما بعده من الشهور والأعوام، فإن إله الشهرين واحد، وهو على الزمانين مطلع شاهد، جزانا الله وإياكم

على فراق شهر البركة، وأجزل أقسامنا وأقسامكم من رحمته المشتركة، وبارك لنا ولكم في بقيته، وسلك بنا ربكم طريق هدايته برحمته وفضله ومنّه.

اللهم وما قسمت في هذه الليلة من عتق وغفران، ورحمة ورضوان، وعفو وامتنان، وكرم وإحسان، ونجاة من النيران، وخلود في نعيم الجنان، فاجعل لنا منه أوفر الحظ وأجزل الأقسام برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم فكما بلغتنا شهر الصيام، فاجعل عامه علينا من أبرك الأعوام، وأيامه من أسعد الأيام، وتقبل منا ما قدمناه فيه من الصيام والقيام، واغفر لنا ما اقترفنا فيه من الآثام، وخلصنا من مظالم الأنام يوم لا يرجى فيه سواك يا علام يا أرحم الراحمين

اللهم إنا قد تولينا صيام شهرنا وقيامه على تقصير، وأدينا فيه من حقك قليلاً من كثير، وقد أنخنا ببابك سائلين، ولمعروفك طالبين، فلا تردنا خائبين، ولا من رحمتك آيسين، فنحن الفقراء إليك، الأسرى بين يديك، إليك توجهنا، ولمعروفك تعرضنا، ولبابك قرعنا، ومن فضلك سألنا، فارحم خضوعنا، واقبل خشوعنا، واجبر قلوبنا، واستر عيوبنا، واغفر ذنوبنا، وأقر برؤيتك في القيامة عيوننا، ولا تصرف وجهك الكريم عنا، واجعل عملنا مقبولاً، وسعينا مشكوراً، وحظنا في هذه الليلة موفوراً.

اللهم إن كان في سابق علمك أن تجمعنا في مثله فبارك لنا فيه، وإن قضيت بقطع آجالنا وما يحول بيننا وبينه فأحسن الخلافة على باقينا، وأوسع الرحمة على ماضينا، وعمنا جميعًا برحمتك وغفرانك، واجعل الموعد بحبوحة جنتك ورضوانك، مع الذين أنعمت عليهم **﴿من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا﴾** [النساء:٦٩] برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم وأهل القبور رهائن ذنوب لا يطلقون، وأسارى وحشة لا يفكون، وغرباء سفر لا ينتظرون، محت دارسات الثرى محاسن وجوههم، وجاورتهم الهوام في ملاحد قبورهم، فهم جمود لا يتكلمون، وجيران قرب لا يتزاورون، وسكان لحد إلى الحشر لا يظعنون، وفيهم محسنون ومسيؤون، ومقصرون ومجتهدون.

اللهم فمن كان منهم مسروراً فزده كرامة وحبوراً، ومن كان منهم ملهوفًا فبدل حزنه فرحًا وسروراً، اللهم وتعطف على كافة أموات المسلمين الراحلين، والمقيمين المستسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل قبورهم مفايض صلواتك ومقار هباتك وطرق إحسانك ومجارى عفوك وغفرانك، حتى يكونوا إلى بطون الألحاد مطمئنين، وبجودك وكرمك واثقين، وإلى أعلى درجاتك سابقين، واخصص بذلك الآباء والبنين والإخوة والأقربين، قبل أن يشتمل الهدم على البناء، والكدر على الصفاء، وينقطع من الحياة حبل الرجاء، وتصير المنازل تحت أطباق الثرى، وقبل أن يصير الريح ويلاً، والقطر سيلاً، والصبح ليلاً، ويسحب الموت على أهل السموات والأرض ذيلاً، وقبل أن يقول الشيخ الكبير: واشيبتاه، ويقول الكهل الخطير: واخجلتاه، ويقول المذنب المسيء: واخيبتاه، ويقول الحدث النضير: واحسرتاه، واخجلوا منه وأشفقوا وغشيتهم من الندامة، وختم على أفواههم فلم ينطقوا، ووقفوا على عمل نكس الرؤوس فأطرقوا، وعاينوا من الأهوال ما ودوا معه أنهم لم يخلقوا.

اللهم يا سائق القوت، ويا سامع الصوت، ويا كاسى العظام بعد الموت، صلِّ على محمد وعلى آل محمد، ولا تدع لنا فى هذه الليلة المباركة الشريفة ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، ولا كربًا إلا كشفته، ولا مبتليًا إلا عافيته ولا ذا إساءة إلا نقلته، ولا حقًا إلا استخلصته، ولا غائبًا إلا رددته، ولا عاصيًا إلا قطعته، ولا ميتًا إلا رحمته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاح إلا أعنتنا على قضائها بتيسير وعافية، مع المغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا ولآبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا وذرياتنا وقراباتنا وأصدقائنا ومعلمينا، ومن قرأنا عليه وقرأ علينا، وتعلمنا منه وتعلم منا، ومن سألنا الدعاء وسألناه الدعاء، ومن أحبنا فيك، ومن تولانا فيك ومن توليناه فيك، ومن كان منهم حيًا ومن كان منهم ميتًا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا عالم الخفيات، ويا دافع البليات، ويا مجيب الدعوات، ويا كاشف الكربات، صلِّ على محمد أفضل البريات، وانفعنا بما صرفت فى كتابك من الآيات، وكفِّر عنا بتلاوته السيئات، وارفع لنا بصيام شهر رمضان وقيامه عندك الدرجات، برحمتك يا عالم الخفيات، صلِّ على محمد وعلى آل محمد، واغفر بالقرآن خطايانا، واجزل به عطايانا، واشف به مرضانا، وارحم به موتانا، وأصلح به أمور ديننا ودنيانا، واحطط به عنا ثقل الأوزار، وهب لنا حسن شمائل الأبرار، واغفر لنا الزلل والعثار،

وطهر لنا القلوب والأسرار، وطيب لنا به الأذكار، وصفٍّ لنا به الأفكار، وأرخص لنا الأسعار، واصرف عنا شر الأشرار وكيد الفجار، وأحينا على حب الصحابة الأخيار، واجمع بيننا وبينهم فى دار القرار، واجعلنا من عتقائك من النار، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، الحمد لله على سوابغ نعمائه وصلواته على محمد خاتم أنبيائه، وعلى آله وعلى أصحابه وأزواجه وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *

القسم الخامس

في

التصوف

كتاب آداب المريدين
من الفقراء الصادقين سالكي طريق الصوفية
الذين صفوا عن الأهوية المضلة، وأمسكوا عن الأخلاق الردية فأدخلوا في زمرة الأبدال وأهل الولاية واتصفوا بالعينية، على وجه الاختصار والإقلال، خشية السآمة والملال

(فصل: في الإرادة والمريد والمراد)

أما الإرادة: فترك ما عليه العادة، وتحقيقها نهوض القلب في طلب الحق سبحانه وترك ما سواه، فإذا ترك العبد العبادة التي هي حظوظ الدنيا والأخرى فتجردت حينئذ إرادته، فالإرادة مقدمة على كل أمر، ثم يعقبها القصد، ثم الفعل، فهي بدء طريق كل سالك واسم أول منزلة كل قاصد، قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام: ٥٢] فنهى نبيه ﷺ عن طردهم وإبعادهم، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف: ٢٨] فأمره ﷺ بالصبر معهم وملازمتهم وتصبر النفس في صحبتهم، ووصفهم بأنهم يريدون وجهه، ثم قال: ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ فبان بذلك أن حقيقة الإرادة إرادة وجه الله فحسب، دون زينة الحياة الدنيا والأخرى.

فأما المريد والمراد، فالمريد: من كانت فيه هذه الجملة واتصف بهذه الصفة، فهو أبداً مقبل على الله عز وجل وطاعته، مُوَلٍّ عن غيره وإجابته، يسمع من ربه عز وجل فيعمل بما في الكتاب والسنة، ويصم عما سوى ذلك، ويبصر بنور الله عز وجل فلا يرى إلا فعله فيه، وفي غيره من سائر الخلائق، ويعمى غيره فلا يرى فاعلاً على الحقيقة غيره عز وجل، بل يرى آلة وسبباً محركاً مدبراً مسخراً قال النبي ﷺ: «حبك الشيء يعمي ويصم»(١) أي يعميك عن غير محبوبك، ويصمك عنه لاشتغالك بمحبوبك، فما أحب حتى أراد، وما أراد حتى تجردت إرادته، وما تجردت إرادته حتى قذفت في قلبه

(١) أبو داود (٥١٣٠)، وأحمد ٥/ ١٩٤.

جمرة الخشية فأحرقت كل ما هنالك. قال الله عز وجل: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ [النمل:٣٤] كما قيل: إنها لوعة تهون كل روعة فنومه غلبة وأكله فاقة، وكلامه ضرورة، ينصح نفسه أبدًا فلا يجيبها إلى محبوبها ولذاتها، وينصح عباد الله ويأنس بالخلوة مع الله، ويصبر عن معاصى الله تعالى ويرضى بقضاء الله ويختار أمر الله، ويستحى من نظر الله، ويبذل مجهوده فى محاب الله تعالى، ويتعرض أبدًا لكل سبب يوصله إلى الله عز وجل، ويقنع بالخمول والاختفاء، فلا يختار حمد عباد الله، ويتحبب إلى ربه بكثرة النوافل، مخلصًا لله حتى يصل إلى الله عز وجل، ويحصل فى زمرة أحباب الله تعالى ومراديه، فحينئذ يسمى مرادًا، فتحط عنه أثقال سالكى طريق الله، ويغسل بماء رحمة الله ورأفته ولطفه، فيبنى له بيت فى جوار الله، وتخلع عليه أنواع الخلع، وهى المعرفة بالله والأنس به، والسكون والطمأنينة إليه، وينطق بحكمة الله وأسرار الله بعد الإذن الصريح، بل الخبر من الله عز وجل، ويلقب بألقاب يتميز بها بين أحباب الله تعالى، فيدخل فى خواص الله، ويسمى بأسماء لا يعلمها إلا الله، ويطلع على أسرار تخصه، فلا يبوح بها عند غير الله عز وجل، فيسمع من الله، ويبصر بالله وينطق بالله ويبطش بقوة الله، ويسمى فى طاعة الله، ويسكن إلى الله، وينام مع طاعة الله، وذكر الله فى كلاءة الله وحرز الله، فيكون من أمناء الله وشهدائه، وأوتاد أرضه ومنجى عباده وبلاده وأحبائه وأخلائه، قال النبى ﷺ حاكيًا عن الله تعالى: «لا يزال عبدى المؤمن يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده، فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يعقل وبى يبطش»(١) الحديث.

فهذا عبد حمل عقله العقل الأكبر، وسكنت حركاته الشهوانية لقبضة الحق عز وجل، فصار قلبه خزانة الله عز وجل، فهذا هو مراد الله تعالى إن أردت أن تعرفه يا عبد الله.

وقد قال من تقدم من عباد الله: إن المريد والمراد واحد، إذ لو لم يكن مراد الله عز وجل بأن يريده لم يكن مريدًا، إذ لا يكون إلا ما أراد، لأنه إذا أراده الحق بالخصوصية وفقه بالإرادة، كما قال الله تعالى: ﴿وما تشاؤن إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان: ٣٠].

(١) البخارى فى: الرقاق، ب (٣٨)، وأحمد ٦/ ٢٥٦.

وقال آخرون: المريد: المبتدى، والمراد: المنتهى، المريد: الذى نصب بعين التعب وألقى فى مقاساة المشاق، والمراد: الذى لقى الأمر من غير مشقة، المريد: متعب، والمراد: مرفوق به مرفه، فالأغلب فى حق القاصدين المبتدئين فى سنة الله تعالى ما قد تم وجرى من توفيق الله تعالى للمجاهدات، ثم إيصالهم إليه وحط الأثقال عنهم، والتخفيف عنهم فى كثير من النوافل وترك الشهوات، والاقتصار على القيام بالفرائض والسنن من جميع العبادات، وحفظ القلوب ومحافظة الحدود والمقام، والانقطاع عما سوى الحق عز وجل بالقلوب، فيكون ظواهرهم مع خلق الله تعالى، وبواطنهم مع الله عز وجل، ألسنتهم بحكم الله، وقلوبهم بعلم الله، فألسنتهم لنصح عباد الله، وأسرارهم لحفظ ودائع الله، فعليهم سلام الله وتحياته وبركاته ورحمته وتحيته ما دامت أرضه وسماؤه، وقام العباد بطاعته وحقه، وحفظ حدوده.

وسئل الجنيد رحمه الله عن المريد والمراد، فقال: المريد: تتولاه سياسة العلم، والمراد: تتولاه رعاية الحق، لأن المريد يسير، والمراد يطير، فمتى يلحق السائر الطائر؟.

وينكشف ذلك بموسى ونبينا محمد ﷺ، كان موسى عليه السلام مريدًا، ونبينا ﷺ مرادًا، انتهى سير موسى عليه السلام إلى جبل طور سيناء، وطيران نبينا ﷺ إلى العرش واللوح المسطور.

فالمريد طالب، والمراد مطلوب، عبادة المريد مجاهدة، وعبادة المراد موهبة، المريد موجود، والمراد فان، المريد يعمل للعوض، والمراد لا يرى العمل بل يرى التوفيق والمنن، المريد يعمل فى سلوك السبيل، والمراد قائم على مجمع كل سبيل، المريد ينظر بنور الله والمراد ينظر بالله، المريد قائم بأمر الله، والمراد قائم بفعل الله، المريد يخالف هواه، والمراد يتبرأ من إرادته ومناه، المريد يتقرب، والمراد يقرب به، والمريد يحمى، والمراد يدلل وينعم ويغذى ويشهى، المريد محفوظ، والمراد يحفظ به المريد فى الترقى، والمراد قد أوصل وبلغ إلى الرب الذى هو المرقى، ونال عنده كل طريف ونفيس ولطيف ونقى، فجاز على كل طائع عابد متقرب بار تقى.

* * *

(فصل: ما المتوصف ومن الصوفى؟)

أما المتصوف: فهو الذى يتكلف أن يكون صوفيًا ويتوصل بجهده إلى أن يكون صوفيًا، فإذا تكلف وتقمص بطريق القوم وأخذ به يسمى متصوفًا كما يقال لمن لبس القميص تقمص، ولمن لبس الدراعة تدرع، ويقال: متقمص ومتدرع، وكذلك يقال لمن دخل فى الزهد: متزهد، فإذا انتهى فى زهده وبلغ وبغضت الأشياء إليه وفنى عنها، فترك كل واحد منهما صاحبه، سمى حينئذ زاهدًا، ثم تأتيه الأشياء وهو لا يريدها ولا يبغضها، بل يمتثل أمر الله فيها، وينتظر فعل الله فيها، فيقال لهذا متصوف وصوفى إذا اتصف بهذا المعنى، فهو فى الأصل صوفى على وزن فوعل، مأخوذ من المصافاة، يعنى عبدًا صافاه الحق عز وجل، ولهذا قيل: الصوفى من كان صافيًا من آفات النفس، خاليًا من مذموماتها، سالكًا لحميد مذاهبه، ملازمًا للحقائق غير ساكن بقلبه إلى أحد من الخلائق.

وقيل: إن التصوف: الصدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخلق.

وأما الفرق بين المتصوف والصوفى: فالمتصوف المبتدى، والصوفى المنتهى، المتصوف الشارع فى طريق الوصل، والصوفى من قطع الطريق ووصل إلى من إليه القطع والوصل.

المتصوف محمل، والصوفى محمول، حمل المتصوف كل ثقيل وخفيف، فحمل حتى ذابت نفسه، وزال هواه، وتلاشت إرادته وأمانيه فصار صافيًا فسمى صوفيًا، فحمل فصار محمول القدر كرة المشيئة، مربى النفس، منبع العلوم والحكم، بيت الأمن والنور، كهف الأولياء والأبدال وموئلهم ومرجعهم ومتنفسهم ومستراحهم ومسرتهم، إذ هو عين القلادة درة التاج منظر الرب.

والمريد المتصوف مكابد لنفسه وهواه وشيطانه وخلق ربه ودنياه وأخراه، متعبد لربه عز وجل بمفارقة الجهات الست والأشياء وترك العمل لها وموافقتها، والقبول منها وتصفية باطنه من الميل إليها والاشتغال بها، فيخالف شيطانه، ويترك دنياه، ويفارق أقرانه وسائر خلق ربه بحكمه عز وجل لطلب أخراه، ثم يجاهد نفسه وهواه بأمر الله عز وجل فيفارق أخراه، وما أعد عز وجل لأوليائه فيها من جنة لرغبته فى مولاه، فيخرج من الأكوان فيصفى من الأحداث ويتجوهر لرب الأنام، فتنقطع منه العلائق

والأسباب والأهل والأولاد، فتنسد عنه الجهات، وتنفتح فى وجهه جهة الجهات، وباب الأبواب، وهو الرضا بقضاء رب الأنام، ورب الأرباب، ويفعل فيه فعل العالم بما كان وما هو آت، والخبير بالسرائر والخفيات، وما تتحرك به الجوارح، وما تضمره القلوب والنيات، ثم يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القربة إلى المليك الديان، ثم يرفع منه إلى مجالس الأنس، ثم يجلس على كرسى التوحيد، ثم يرفع عنه الحجب ويدخل دار الفردانية، ويكشف عنه الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا هو، فانيًا عن نفسه وصفاته، عن حوله وقوته وحركته وإرادته ومناه ودنياه وأخراه، فيصير كإناء بلور مملوء ماء صافيًا، تتبين فيه الأشباح، فلا يحكم عليه غير القدر، ولا يوجده غير الأمر فهو فانٍ عنه وعن حظه، موجود لمولاه وأمره، لا يطلب خلوة لأن الخلوة للموجود، فهو كالطفل لا يأكل حتى يطعم، ولا يلبس حتى يلبس، فهو مسترسل مفوض **﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾** [الكهف ١٨]. هو كائن بين الخليقة بالجسمان، بائن عنهم بالأفعال والأعمال والسرائر والضمائر والنيات، فحينئذ يسمى صوفيًا، على معنى أنه يصفى من التكدر بالخليقة والبريات، وإن شئت سميته بدلاً من الأبدال، وعينًا من الأعيان، عارفًا بنفسه وربه، الذى هو محيى الأموات، المخرج أولياءه من ظلمات النفوس والطباع والأهوية والضلالات إلى ساحة الذكر والمعارف والعلوم والأسرار ونور القربة، ثم إلى نوره عز وجل: **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة﴾** [النور ٣٥] **﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾** [البقرة:٢٥٧] فالله تعالى تولى إخراجهم من الظلمات، وهو عز وجل أطلعهم على ما أضمرت قلوب العباد، وانطوت عليه النيات، إذ جعلهم ربى جواسيس القلوب والأمناء على السرائر والخفيات، وحرسهم من الأعداء فى الخلوات والجلوات، لا شيطان مضل ولا هوى متبع يميل بهم إلى الضلالات، قال الله عز وجل: **﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾** [الحجر ٤٢، والإسراء ٦٥] ولا فى نفس أمارة بالسوء، ولا شهوة غالبة متبعة تدعوه إلى اللذات المردية فى الدركات المخرجة من أهل السنة والجماعات.

قال الله عز من قائل: **﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾** [يوسف٢٤] فحرسهم ربى، وقمع رعونات نفوسهم وضراوتها بسلطان الجبروت، فثبتهم فى مراتبهم ووفقهم للوفاء بشرطه، بعد أن وفقهم للوفاء بالصدق فى سيرهم، وبالصبر فى محل انقطاعهم واضطرارهم، فأدوا الفرائض وحفظوا الحدود

والأوامر، وألزموا المراتب حتى قوموا وهذبوا ونقوا وأدبوا وطهروا وطيبوا ووسعوا وزكوا وشجعوا وعوذوا، فتمت لهم ولاية الله وتوليته ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ [الأعراف.١٩٦] فنقلوا من مراتبهم إلى مالك الملك، فرتب لهم ذلك بين يديه، فصار نجواهم كفاحًا يناجونه بقلوبهم وأسرارهم، فاشتغلوا به عمن سواه، ونهوا عن نفوسهم وعن كل شيء، هو رب كل شيء ومولاه، فصيرهم فى قبضته، وقيدهم بعقولهم وجعلهم أمناء، فهم فى قبضته وحصنه وحراسته، يتشممون روح القرب، ويعيشون فى فسحة التوحيد والرحمة، فلا يشتغلون بشيء إلا بما أذن لهم من الأعمال، فإذا جاء وقت عمل أبدانهم دون قلوبهم، مضوا مع الحرس فى تلك الأعمال، كيلا تضرهم شياطينهم ونفوسهم وأهويتهم، فتسلم أعمالهم من خط الشياطين ، وهنات النفوس من الرياء والنفاق والعجب وطلب الأعراض، والشرك بشيء من الأشياء، والحول والقوة، بل يرون جميع ذلك فضلاً من الله وتوفيقًا من الله خلقًا، ومنهم بتوفيقه كسبًا، كيلا يخرجوا بهذه العقيدة من سنن الهدى، ثم يردون بعد أداء تلك الأوامر، وفراغ تلك الأعمال إلى مراتبهم التى ألزموها، فوقفوا معها وحفظوها بالقلوب والضمائر، وقد ينقلون إلى حالة بعد أن جعلوا الأمناء، وخوطب كل واحد منهم بالانفراد فى حالته ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ [يوسف:٥٤] فلا يحتاجون فيها إلى إذن، لأنهم صاروا كالمفوض إليهم أمرهم، فهم فى قبضته حيثما ذهبوا فى شيء من أمورهم يحققه قول النبى ﷺ فيما يحكيه عن جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل أنه قال: «ما تقرب إلى عبدى بمثل أداء فرائضى، وإنه ليتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده، فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يعقل وبى يبطش»(١) فهذا الخبر قد ذكرناه فى مواضع من هذا الكتاب، لأنه أصل فى هذا المقام، فيمتلىء قلب هذا العبد بحب ربه عز وجل ونوره وعلمه والمعرفة به، فلا يصح غير ذلك.

ألا ترى إلى قوله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنه» فظاهره متحرك متصرف بفعل الله تعالى، وباطنه مملوء بالله عز وجل.

(١) سبق تخريجه.

وقد قال موسى عليه السلام: «يا رب أين أبغيك قال: يا موسى فى أى بيت يسعنى، وأى مكان يحملنى؟ فإن أردت أن تعلم أين أنا فإنى فى قلب التارك الوادع العفيف».

فالتارك هو الذى يترك بجهد وفيه بقية، ثم منّ عليه ربه فودعه موتًا عنه ثم عفا، فلا يلتفت إلى شىء سوى مولاه، فما تلك المنّة التى منّ بها ربه عليه؟ وذلك أنه عز وجل أقامه المرتبة على شرطية اللزوم لها ليقوم بها، فلما وفّى له بالشرط ولم يبغ عملاً وحركة غير ذلك وحفظه ولم يتجاوز نقله منها إلى ملك الجبروت ليقوم، فجبر نفسه ثم قمعها بسلطان الجبروت حتى ذلت وخشعت، ثم نقله منها إلى الملك السلطان ليهذب، فذابت تلك الغدد التى فى نفسه، وهى أصول تلك الشهوات التى قد صارت غدة ثابتة فيها، ثم نقله منها إلى ملك الجلال فأدب، ثم نقله منها إلى ملك الجمال فنقى، ثم نقله إلى ملك العظمة فطهر، ثم إلى ملكْ البهاء فطيب، ثم إلى ملك البهجة فوسع، ثم إلى ملك الهيبة فربى، ثم إلى ملك الرحمة فرطب وقوى وشجع، ثم إلى ملك الفردية فعود.

فاللطف يعذبه، والرأفة تجمعه وتكتنفه، والمحبة تقويه، والشوق يدنيه، والمشيئة تؤديه إليه، والجواد العزيز يقلبه فيقربه، ثم يدنيه ثم يمهله ثم يؤدبه ثم يناجيه ثم يبسطه بمنه ثم يقبض عليه.

فأينما صار وفى كل مكان خال وفى كل حال لربه دان فهو فى قبضته، وأمين من أمنائه على أسراره، وما يؤديه من ربه إلى خلقه، فإذا صار إلى هذا المحل فقد انقطعت الصفات وانقطع الكلام والعبارات، فهذا هو منتهى العقول والقلوب، وغاية ما تبلغ حالات الأولياء إليه وتؤول، وما وراء ذلك مختص بالأنبياء والرسل عليهم السلام، لأن نهاية الولى بداية النبى على الجميع صلوات الله وتحياته ورأفته ورحمته.

والفرق بين النبوة والولاية أن النبوة كلام ينفصل من الله تعالى ووحى، معه روح من الله يقضى الوحى، ويختمه بالروح، منه تعالى قبوله فيقبله، هذا هو الذى يلزم تصديقه، ومن رده فهو كافر، لأنه راد لكلام الله عز وجل.

وأما الولاية فهى لمن تولى الله عز وجل حديثه على طريق الإلهام فأوصله إليه فله الحديث، فينفصل ذلك الحديث من الله على لسان الحق معه السكينة، فتلقاه السكينة

التى فى قلب المجذوب فيقبله ويسكن إليه.

فالكلام للأنبيـاء، والحديث للأولياء، فمن رد الكلام كفـر، لأنه رد على الله كلامه ووحيـه، ومن رد الحديث لم يكفر، بل يخيب ويـصير وبالاً عليه ويبـهت قلبه لأنه رد على الحق ما جاء به محبة الله تعالى ممن عـلم الله فى نفسه فأودعه الحق، وجعله مؤديًا إلى القلب، لأن الحديث ما ظهر من علمه الذى برز فى وقت المشيئة، فيصير حديثًا فى النفس كالسـر، إنما يقع ذلك الحديث بمحبة من الله لهـذا العبد، فيـمضى مع الحق إلى قلبه فيقبله القلب بالسكينة.

* * *

باب
فيما يجب على المبتدى فى هذه الطريقة أولاً
وما يجب عليه من الأدب مع الشيخ ثانيًا
وما يجب على الشيخ فى تأديب المريد

فالذى يجب على المريد المبتدى فى هذه الطريقة:

الاعتقاد الصحيح الذى هو الأساس، فيكون على عقيدة السلف الصالح أهل السنة القديمة سنة الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، والأولياء والصدّيقين على ما تقدم ذكره وشرحه فى أثناء الكتاب.

فعليه بالتمسك بالكتاب والسنة والعمل بها أمرًا ونهيًا، أصلاً وفرعًا، فيجعلهما جناحيه يطير بهما فى الطريق الواصل إلى الله عز وجل، ثم الصدق فى الاجتهاد، حتى يجد الهداية، والإرشاد إليه والدليل، وقائدًا يقوده، ثم مؤنسًا يؤنسه، ومستراحًا يستريح إليه فى حالة إعيائه ونصبه وظلمته عند ثوران شهواته ولذاته وهنات نفسه وهواه المضل، وطبعه المجبول على التشبط والتوقف عن السير فى الطريق قال الله عز وجل: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ [العنكبوت.٦٩] وقال الحكيم: من طلب وجدَّ وَجَدَ.

فبالاعتقاد يحصل له علم الحقيقة، وبالاجتهاد يتفق له سلوك الطريقة.

ثم يجب عليه أن يخلص مع الله عز وجل عهدًا بأن لا يرفع قدمًا فى طريقه إليه، ولا يضعها إلا بالله ما لم يصل إلى الله، فلا ينصرف عن قصده بملامة مليم لأن الصادق لا يرجع، ولا بوجود كرامة فلا يقف معها ويرضى بها عن الله عز وجل عوضًا، إذ هى حجابه عن ربه ما لم يصل إليه عز وجل، فإذا حصل الوصول لا تضره الكرامات، إذ هى من باب القدرة وثمراتها وعلاماتها، ووصوله إلى الحق عز وجل من القدرة، فلا ينقض الشىء نفسه، وكيف وقد يصير هو حينئذ قدوة فى الأرض وخرق عادة، وكلامه حكمة بالغة من بعد جهل وعجمة وبلادة وقصور، وحركاته وسكناته وتصاريفه عبرة لمن اعتبرها، وأفعال الله تجرى فيه وعليه مما يبهر العقول، ثم قد يؤمر حينئذ بطلب الكرامة ويجبر عليه، وتحقق عنده أن دماره وهلاكه فى ترك الطلب

ومخالفة هذا الأمر، وثباته وبقاءه وعبادته وقربته ومرضاة ربه ودنوه منه وزيادة محبة ربه له فى طلبها وامتثال أمره فيها، فكيف تضره الكرامة حينئذ غير أن يكون ذلك بينه وبين ربه عز وجل ولا يظهره لأحد من العوام إلا أن يغلب عليه ظهوره، لأن من شرط الولاية كتمان الكرامات، ومن شروط النبوة والرسالة إظهار المعجزات، ليقع بذلك الفرق بين النبوة والولاية.

ولا ينبغى له أن يعرج فى أوطان التقصير، ولا يخالط المقصرين والبطالين أبناء قيل وقال، أعداء الأعمال والتكاليف، المدعين للإسلام والإيمان، الذين قال الله عز وجل فى حقهم: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾** [الصف.٢ ـ ٣] وقال فى أختها: **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾** [البقرة: ٤٤].

وينبغى له ألا يظن ببذل الميسور، ولا يبخل بالموجود خوفًا ألا ينال مثله للإفطار والسحور، ويقطع فى نفسه وبقلبه علمًا بأن الله لم يخلق وليًا له فى سالف الدهور بخيلاً ببذل الميسور.

وينبغى له أن يرضى بالذل الدائم وحرمان النصيب، والجوع الدائم والخمول، وذم الناس له، وتقديم أضرابه وأشكاله وأقرانه عليه فى الإكرام والعطاء، والتقريب عند الشيوخ ومجالس العلماء، فيجوع هو والجماعة يشبعون، والكل أعزاء، ونصيبه الذل، ومن لم يرض بهذا ويوطن نفسه عليه فلا يكاد أن يفلح ويجىء منه شىء، فالنجاح الكلى والفلاح فيما ذكرنا.

وينبغى له ألا ينتظر من الله مطلوبًا سوى المغفرة لما سلف من الذنوب، والعصمة فيما يأتى من الدهور، والتوفيق لما يحبه من الطاعات، ويوصله إليه من القربات، والرضا عنه فى الحركات والسكنات والتحبب إلى الشيوخ من الأولياء والأبدال إذ ذاك سبب لدخوله فى زمرة الأحباب ذوى العقول والألباب، الذين عقلوا من رب الأرباب، واطلعوا على العبر والآيات، فصفت حينئذ القلوب والضمائر والنيات، فهذا الذى ذكرته صفة المريد، وما لم يتجرد قلبه عن جميع الطلبات والمآرب، وينتفى عن غيرها ما ذكرنا من الحوائج والمطالب، لا يكون مريدًا على نعت الاستحقاق.

* * *

(فصل) وأما آدابه مع الشيخ:

فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في صحبته في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن، فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه، وصاحب الاعتراض بسره متعرض لعطبه، بل يكون خصمًا على نفسه لشيخه أبدًا، يكف نفسه ويزجرها عن مخالفته ظاهرًا وباطنًا، ويكثر قراءة قوله عز وجل: ﴿**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾ [الحشر. ١٠].

وإذا ظهر له من الشيخ ما يكره في الشرع استخير عن ذلك بضرب المثل والإشارة، ولا يصرح به لئلا ينفر به عليه، وإن رأى فيه عيبًا من العيوب ستره عليه، ويعود بالتهمة على نفسه، ويتأول للشيخ في الشرع، فإن لم يجد له عذرًا في الشرع استغفر للشيخ ودعا له بالتوفيق والعلم والتيقظ والعصمة والحمية، ولا يعتقد فيه العصمة، ولا يخبر أحدًا به، وإذا رجع إليه يومًا آخر أو ساعة أخرى يعتقد أن ذلك قد زال، وأن الشيخ قد نقل إلى ما هو أعلى رتبة ولم يقر عليه، وإنما كان ذلك غفلة وحدثًا وفصلاً بين الحالين، لأن لكل حالين فصلاً ورجوعًا إلى رخص الشرع وإباحته وترك العزيمة والأشد، كالدهليز بين الدارين، والمنزلة بين المنزلتين، انتهاء للحالة الأولى، وقيامًا على عتبة الحالة الثانية، وانتقالاً من ولاية إلى أخرى، وخلع خلعة ولاية، ولبس خلعة ولاية أخرى، التي هي الأعلى والأشرف لأنهم كل يوم في مزيد قرب من الله عز وجل.

وإذا غضب الشيخ وعبس في وجهه أو ظهر منه نوع إعراض عنه لم ينقطع عنه، بل يفتش باطنه وما جرى منه من سوء الأدب في حق الشيخ أو التفريط فيما يعود إلى أمر الله عز وجل، من ترك امتثال الأمر وارتكاب النهي، فليستغفر ربه عز وجل وليتب إليه، ويعزم على ترك المعاودة إليه، ثم يعتذر إلى الشيخ ويتذلل له ويتملقه، ويتحبب إليه بترك المخالفة له في المستقبل، ويدوام على المرافقة له، ويواظب عليها، فيجعله وسيلة وواسطة بينه وبين ربه عز وجل، وطريقًا وسببًا يتوصل به إليه، كمن يريد الدخول على ملك ولا معرفة له به، فإنه لا بد له من أن يصادف حاجبًا من حجابه، أو واحدًا من حواشيه وخواصه، ليبصره بسياسة الملك ودأبه وعادته، ويتعلم الأدب بين يديه والمخاطبة له، وما يصلح له من الهدايا والطرائف مما ليس مثلها في خزانته، ومما يؤثر الاستكثار، فليأت البيت من بابه ولا يتسلق من ورائه من غير بابه، فيلام ويهان،

ولا يبلغ الغرض من الملك ولا المقصود منه، ولكل داخل دهشة لابد له من مذكر ومنه، ومن يأخذ بيده فيقعده موضع مثله، أو يشير إليه بذلك لئلا تتطرق إليه المهانة، ولا يشار إليه بسوء الأدب والحماقة، وليتحقق بأن الله عز وجل أجرى العادة بأن يكون فى الأرض شيخ ومريد صاحب ومصحوب، تابع ومتبوع من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة.

ألا ترى إلى آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى علمه الأسماء كلها، وافتتح الأمر به، فجعله كالتلميذ مع الأستاذ، والمريد مع الشيخ، وقال له: يا آدم هذا فرس وهذا بغل وهذا حمار، حتى علمه قصعة وقصيعة، ثم لما فرغ من تعليمه وتهذيبه جعله أستاذًا معلمًا شيخًا حكيمًا، وكساه بأنواع الحلل والحلى، وتوجه منطقة وأجلسه على كرسى فى الجنة، وأقام الملائكة حوله صفوفًا فقال: ﴿**يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ [البقرة:٣٣] بعد أن ظهر عجزهم وعدم علمهم بذلك، وقولهم: ﴿**سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا**﴾ [البقرة:٣٢] فصارت الملائكة تلاميذ لآدم وآدم شيخهم، فأنبأهم بأسماء الأشياء كلها على ما شهد به القرآن، فظهر فضله عليه السلام عليهم، فصار أفضلهم وأعلمهم وأشرفهم عند الله وعندهم، فصار متبوعهم وهم تابعون مقتدون صلوات الله عليهم.

فلما جرى ما جرى من أكل الشجرة والخروج من الجنة، والانتقال إلى حالة أخرى ومنزل غيره، لم يعط علمه ولم يستوطنه بعد، ولا جرى ذلك فى خلده، ولا ظن أنه سيسار به إليه، فلما وصل إلى المنزل وجال فى الأرض، استوحش منها ورأى فيها ما لم يكن رآه من قبل، فألقى عليه الجوع والعطش والحرقة والقبض ما لم يعهده من قبل، احتاج إلى معلم ومرشد وأستاذ ودليل ومؤدب ومنبه، فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فآنسه، وعرفه ما أشكل عليه من أمر المنزل، وأعطاه الحنطة فأمره فبذرها ثم أمره فحصدها، ثم أمره فذراها، فطحنها وهيأ له أسبابها، ثم أمره بالخبز فخبز، ثم أمره بالأكل فأكل، ثم لما طلب الطعام الخروج من المعدة تحير ولم يعلم بالصنع احتاج إلى معلم أيضًا، فعلمه كيف يتغوط وكيف يتطهر، وكيف يعبد الله تعالى فى المنزل، وعلمه كيف يتوصل إلى بياض جسده الذى قد حال لونه من البياض والإشراق إلى السواد والظلمة، فأمره بصيام أيام البيض من الشهر ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر، فعاد لونه إلى البياض، وعلمه غير ذلك من العلوم والآداب، فصار آدم عليه السلام تلميذًا لجبريل، وجبريل عليه السلام أستاذه وشيخه، بعد أن كان آدم شيخه والملائكة أجمع ومتبوعهم، وأعلمهم كل ذلك لتغير الحال به، والانتقال من منزل إلى آخر، ثم هلم

جراً، تعلم شـيث بن آدم من أبيه آدم، ثم أولاده منه، وكذلك نوح النبى عليـه السلام علم أولاده، وإبراهيم عليه السـلام علم أولاده، قال الله تعالى: **﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾** [البقرة ١٣٢] أى أمرهم وعلمهم، وكذلك موسـى وهارون عليهما السلام علما أولادهما وبنى إسرائيل، وعيسى عليـه السلام علم الحواريين، ثم إن جبريل عليه السلام علم نبينا ﷺ الوضوء والصلاة ووصـاه بالسواك وهو قوله ﷺ: «وصانى جبريل بالسواك حتى كاد أن يفرضه، وصلى بى جبـريل عليه السلام عند البيت مرتين، فصلى بى الظهر حـتى زالت الشمس. . . »[1] الحـديث إلى آخره وقـد تقدم ذكـره ثم تعلمت الصحـابة رضى الله عنهم منه ﷺ ثم التابعون منهم، ثم تابعـو التابعين منهم قـرنًا بعد قرن وعصراً بعـد عصر، فما من نبى إلاّ وله صاحب يهتدى بهـداه ويقفو أثره وينتحل مذهبه ويهدى هديه، ثم يخلفـه مكانه ويقوم مقامه، كموسى بن عـمران وغلامه وابن أخته يوشع بن نون عليهم السلام، والحواريون مع عيسى عليه السلام، وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما مع النبى ﷺ، وكذلك عثمان وعلىّ وسائر الصحابة رضى الله عنهم، وما زالت الأولياء والصـدّيقون والأبدال كذلك من بين أستـاذ وتلميذ كالحـسن البصرى وتلميذه عـتبة الغلام وسرى السقطى وغـلامه وابن أخته أبى القاسم الجنيـد وغيرهم مما يطول شرحه.

فالمشايخ هم الطريق إلى الله عز وجل والأدلاء علـيه والباب الذى يدخل منه عليه، فلابد لكل مريد لله عز وجل من شيخ على مـا بيّنا، إلاّ على النذور والشذوذ، فيجوز أن يصطفى الله عبـدًا من عباده، فيـتولى تربيتـه وحراسته عـن الشيطان وهنات النفس والهوى، كإبراهيم النبى ونبينا محمـد صلوات الله وسلامه عليهما، وأويس القرنى من الأوليـاء وغيرهـم رحمهـم الله فلا ينكر، إلاّ أنا بيّنا مـا هو الأغلب والأكثـر والأسلم والأحسن.

فلا ينبـغى له أن ينقطع عن الشيخ حتـى يستغنى عنه بالوصـول إلى ربه عز وجل، فيتـولى تبارك وتعالى تربيتـه وتهذيبه، ويوقفه على مـعانى أشياء خفـيت على الشيخ، ويستـعمله مما يشاء من الأعـمال ويأمره وينهـاه ويبسطه ويقبـضه ويغنيه ويفـقره ويلقّنه ويطلعه على أقسامه ومـا سيؤول أمره إليه، فيستغنى بربه عن غيـره، بل لا يتفرغ لغيره

(١) سبق تخريجه.

ولا يسعه مراعاة الأدب لغيره، ومحافظة خدمته وحرمته وتوقيره، فحينئذ يقطع عن الشيخ قطعًا وربما حرم عليه المرور إلى الشيخ، إلاَّ عن أمر صريح وخبر بيّن، إلاَّ ما يتفق مجيء الشيخ إليه، أو الملاقاة له فى طريق أو جامع قدرًا لا قصدًا، كل ذلك حفظًا للحال، واستغناء بالرب وغيرةً على الحال وملازمة لها وخيفة من الزلة والمفارقة لها والعقوبة بذلك، وذلك أن الحكم يجمع المريد والشيخ ويسعهما والأحوال تفرق بينهما لأنها قدر والقدر غيب، فهى فعل الرب عز وجل، والله تعالى فى كل يوم هو فى شأن فى تقديم وتأخير، وتبديل وتغيير، وولاية وعزل، وإغناء وإفقار، وإعزاز وإذلال، يسوق المقادير إلى المواقيت، لا يدرك ذلك ولا ينضبط لأحد من الخلق، ليل مظلم وبحر لجى، وبر شاسع لا يحيط بشيء من ذلك إلا الله عز وجل، ومن يطلعه الله تعالى عليه من رسله وأنبيائه وخواص أوليائه، فالاثنان من الأولياء لا يتفقان فى طريق بعد دخولهم فى الحالات التى هى القدر والفعل.

فما يصنع المريد بالشيخ وطريقهما مختلفة، فالشيخ يسير به إلى جهة، والمريد إلى أخرى، فقد خولف بين ظهورهما ووجوههما، فأنى لهما والصحبة والاجتماع والاتباع يبعد ذلك جدًا، فإن اتفق فهو نادر شاذ لا التفات إليه ولا معول عليه، إذ الأغلب ما قد انكشف وظهر وبان، فصلوات الله على الشيخ، وعلى المريد الصادق الذى إذا بلغ به إلى حالة استغنى فيها بربه تبارك وتعالى عن الشيخ.

ومن آداب المريد:

ألا يتكلم بين يدى شيخه إلاَّ فى حالة الضرورة، وألا يظهر شيئًا من مناقب نفسه بين يديه.

ولا ينبغى له أن يبسط سجادته بين يدى الشيخ إلاَّ فى وقت أداء الصلاة، فإذا فرغ من صلاته طوى سجادته فى الحال، ويكون متهيئًا لخدمة شيخه ومن هو قاعد على بساطه، مبسوطًا مستوطنًا مستريحًا، لا كلفة عليه لغيره، وهذه حالة الشيوخ لا حالة المريدين.

ويجتهد فى اجتناب بسط سجادته وفوق سجادته من هو فوقه فى الرتبة، وإدناء سجادته من سجادته إلاَّ بأمره، فإن ذلك عندهم سوء أدب.

وينبغى للمريد إذا جرت مسألة بين يدى الشيخ أن يسكت، وإن كان عنده فضل

وإشباع جواب فيها، بل يغتنم ما يفتح الله على لسان شيخه فيقبله ويعمل به، وإن رأى فى جوابه نقصانًا وقصوراً فلا يرد عليه، بل يشكر الله تعالى على ما خصه من فضل وعلم ونور، ويخفى جميع ذلك فى نفسه، ولا يكثر حديثه فيقول أخطأ الشيخ فى المسألة، ولا يناقض كلامه إلا أن يغلب عليه ذلك، فيبتدر منه الكلمة فليتداركه بالسكوت والتوبة، والعزم على ترك المعاودة على ما قدمنا ذكره فى أثناء الكتاب، من فعله فى توبته عن معاصى الله عز وجل، فالخير كله فى حق المريد فى سكوته فيما هذا سبيله.

وينبغى للمريد ألا يتحرك فى حال السماع بين يدى الشيخ إلاَّ بإشارة منه عليه، ولا يرى من نفسه ألبتة حالاً إلاَّ أن ترد غلبة تأخذه عن التمييز والاختيار، فإذا سكنت فورته فليعد إلى حال سكونه وأدبه ووقاره وكتمان ما أولاه الله عز وجل من سره، وقد ذكرنا هذا وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصب والرقص، وقد قدمنا كراهته فيما تقدم، إلاَّ أنا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج به أهل زماننا فى أربطتهم ومجامعهم، ولا ينكر أن يكون فيمن يفعل ذلك صادق، فيكون معنى ما قد سمع مهيجًا لنائرة صدقه ومثيراً لها، فيشتغل بنائرته ويغيب فيها، فتتحرك أعضاؤه وجوارحه بين القوم وهو فى معزل عما القول فيه من لذة الطباع والأهوية، وتذكار كل واحد قرب معشوقه ممن قد مات وطال به عهده، ومن هو حى غائب عنه فاشتد شوقه.

والمريد الصادق نائرته غير خامدة، وشعلته غير هامدة، ومحبوبه غير غائب، وأنيسه غير مستوحش، فهو أبدًا فى زيادة دنو وقرب، ولذة ونعيم، فلا يغيره ويهيجه عن حالته غير كلام مراده، وحديثه الذى هو ربه عز وجل.

ففى ذلك عنده مندوحة عن الأشعار والقيانة والأصوات وصراخ المدعين شركاء الشياطين، ركاب الأهوية مطايا النفوس والطباع، أتباع كل ناعق وزاعق.

وينبغى للمريد أن لا يعارض أحدًا فى حال سماعه، ولا يزاحم أحدًا فى وقته فى التقاضى على الذى ينشد الزهديات المرققات المشوقات إلى الجنان والحور، ورؤية الحق تعالى فى الآخرة، المزهدات فى الدنيا ولذاتها وشهواتها وأبنائها ونسوانها، المشجعات على الصبر على آفاتها ومحنها وبلائها، وأدبارها على أبناء الآخرة، وإقبالها على أبنائها وغير ذلك، فليكل جميع ذلك إلى الشيخ الحاضر، فإن القوم فى ولاية الشيخ، اللهم

إلاَّ أن يكون المستمع حينئذ من المحققين الصادقين، فيحفظ الأدب فى الظاهر، ويسكن عن تكلفه فى الباطن، فلا شك أن الله عز وجل يقيض من يتقاضى عنه، أو يلهم القائل بذلك التكرار والترداد، ليقضى الصادق المستمع نهمته ووطره من ذلك.

(فصل آخر: فى أدبه مع شيخه):

وينبغى له إذا أراد أن يتأدب بشيخ أن يكون له إيمان وتصديق واعتقاد أن ليس فى تلك الديار أولى منه، حتى ينتفع به فيما هو مرامه، وأن يقبله الله عز وجل ويحفظ سره فى خدمته مع الله تعالى فإن صدق فيما بينه وبين الله تعالى فى عقد إرادته، بحفظه حتى لا يجرى على لسان شيخه إلا ما هو الأولى بشأنه، ويحذر مخالفته جداً، لأن مخالفة الشيوخ سم قاتل فيها مضرة عامة، فلا يخالفه بتصريح ولا بتأويل، ويجتهد ألا يكتم من شيخه شيئًا من أحواله وأسراره، ولا يطلع أحدًا سواه على ما يأمره شيخه.

ولا ينبغى له أن يحتج إلى طلب الرخصة أو يرجع إلى شىء تركه لله عز وجل، فإنه من الكبائر وفسخ الإرادة عند أهل الطريقة.

وقد جاء فى الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «العائد فى هبته كالكلب يقىء ثم يعود فيه»[١].

وعليه الانقياد لالتزام ما يأمر به شيخه من التأديب على مقتضى سوء أدبه، فإن وقع منه تقصير فى القيام بما أشار إليه شيخه، فالواجب عليه تعريف ذلك لشيخه ليرى فيه رأيه، ويدعو له بالتوفيق والتيسير والفلاح.

* * *

(فصل) وأما الذى يجب على الشيخ فى تأديب المريد:

فهو أن يقبله لله عز وجل لا لنفسه فيعاشره بحكم النصيحة، ويلاحظه بعين الشفقة، ويلاينه بالرفق عند عجزه عن احتمال الرياضة فيربيه تربية الوالدة لولدها، والوالد الشفيق الحكيم اللبيب لولده وغلامه، فيأخذه بالأسهل ولا يحمله ما لا طاقه له به، ثم بالأشد فيأمره أولاً بترك متابعة الطبع فى جميع أموره، واتباع رخص الشرع حتى يخرج

---

(١) البخارى ٣/٢٠٧، ومسلم فى الهبات: حديث (٨)، وأحمد ١/٣٢٧.

بذلك عن قيد الطبع وحكمه، ويحصل فى قيد الشرع ورقه، ثم ينقله من الرخص إلى العزيمة شيئًا بعد شيء، فيمحو خصلة من الرخص، ويثبت مكانها خصلة من العزيمة، فإن وجد فى ابتداء أمره فيه صدق المجاهدة والعزيمة وتفرس فيه ذلك بنور الله عز وجل ومكاشفته، وعلم من قبل الله عز وجل على ما قد مضت سنة الله فى عباده المؤمنين من الأولياء والأحباب الأمناء العلماء به، فحينئذ لا يسامحه فى شيء من ذلك، بل يأخذه بالأشد من الرياضات التى يعلم أنه لا تتقاصر قوة إرادته عنها، إذ ثبت عنده أنه مخلوق لذلك وجدير به، وهو من شأنه فلا يخونه فى التهوين عليه.

ولا ينبغى له أن يرتفق من المريد بحال لا بالانتفاع بماله ولا بخدمته، ولا يأمل من الله عز وجل عوضًا فى تأديبه، ولا شيئًا، بل يؤدبه ويربيه موافقة لله عز وجل أداء لأمره وقبولاً لهديته وطرفته، فإن المريد الذى جاء من غير تخيير من الشيخ ولا استجلاب، بل قدر محض بإرشاد الله تعالى له وهدايته وإنقاذه إليه، فإنه هدية من الله، فعليه قبوله والإحسان إليه بحسن تأديبه وتربيته، فلا يرتفق به ولا بماله إلا بأمر من الله تعالى، وخير فى استعماله وقبول ما يأتى به من ماله الذى قد جعل الله تعالى صلاح المريد ونجاته به، وقسم للشيخ فيه، فحينئذ لا سبيل إلى الإعراض عنه ورده.

ويحذر جدًا أن يختار من المريد من يقع له ، بل ينتظر فى ذلك فعل الله وقدره ، فمن جاء الله تعالى به من غير تكلف منه وتخيير قبله ورباه ، فحينئذ يوفق فى تربيته ويسرع فلاح المريد ونجحه ، فليحذر أن يكون هو فيه فيعدم التوفيق والحفظ فى حق المريد.

وعليه أن يربيه بهمته وينوب عنه فى سره إذا وجد منه خللاً أو فترة.

وعليه أن يحفظ سر المريدين فلا يطلع غيره على ما يحصل له من الإشراف على أحواله، إما بطريق علم لدنى من مواهب الله عز وجل، أو بإفشاء المريد له، واستكتامه إياه، فلا ينبغى له أن يفشيه لغيره، لأنه أمانة عنده وقد قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار، فينبغى له أن يكون مستراحًا للمريدين، وخزانة لهم وحرزًا لأسرارهم، وملجأ لهم وكهفًا ومشجعًا ومقويًا ومعينًا لهم، ومثبتًا لهم فى الطريق، ولا ينفرهم عن الطريق ومصاحبتهم والقصد إلى الله عز وجل.

وإذا رأى شيئًا مما يكره فى الشرع من المريد وعظه فى السر وأدبه، ونهاه عن المعاودة

إلى ذلك إن كان ذلك فى الأصول أو الفروع أو ادعاء حالة ليست له أو إعجاب بعمله ورؤيته، فيصونه عن محل الإعجاب، ويصغر فى عينه أحواله وأعماله، لئلا يهلك، فإن العجب يسقط العبد من عين الله عز وجل، وإن أراد أن يعم الجماعة بالنصح فليجمعهم وليتكلم عليهم فيقول: بلغنى أن فيكم من يدعى كذا ويقول كذا ويرتكب كذا، ويذكر ما يتعلق بذلك من المفاسد والمصالح، ويذكرهم ويحذرهم، ولا يعين أحداً منهم على ذلك لما فى ذلك من التنفير، فإن أخشن الخلق والقول معه، وأفشى أسرارهم واغتابهم وثلبهم وذكر مساويهم، نفرت قلوبهم عن قصده ومصاحبته، وصار ذلك تهمة عندهم فى أهل الطريقة، وفيما قد غرس فى قلوبهم من حب أولياء الله تعالى، فليحذر من ذلك جداً، فإن غلب هذا عليه ولا يمكنه تداركه فليعزل نفسه عن هذه النصبة والولاية، ولينفرد عن المريدين، ويشتغل بمجاهدة نفسه ورياضتها، وطلب شيخ يؤدبه ويقومه ويهذبه، فلا يصلح أن يكون شيخًا مع هذه الدواهى، فلا يقطع على المريدين طريقتهم إلى الله عز وجل.

* * *

باب
فى صحبة الإخوان والصحبة مع الأجانب
وكيف الصحبة مع الأغنياء والفقراء

أما الصحبة مع الإخوان:

فبالإيثار والفتوة والصفح عنهم والقيام معهم بشرط الخدمة، لا يرى لنفسه على أحد حقًا، ولا يطالب أحدًا بحق، ويرى لكل أحد عليه حقًا، ولا يقصر فى القيام بحقهم.

ومن الصحبة معهم إظهار الموافقة لهم فى جميع ما يقولون أو يفعلون، ويكون أبدًا معهم على نفسه ويتأول لهم ويعتذر عنهم، ويترك مخالفتهم ومنافرتهم ومجادلتهم ومماراتهم ومشاددتهم، ويتعامى عن عيوبهم، فإن خالفه أحد منهم فى شىء سلم له ما يقول فى الظاهر، وإن كان الأمر عنده بخلاف ما يقوله.

وينبغى أن يحفظ أبدًا قلوب الإخوان، ويجتنب فعل ما يكرهونه وإن علم فيه صلاحهم، فلا ينطوى لأحد منهم على حقد وإن خامر قلب واحد منهم كراهة له تخلق معه بشىء حتى يزول ذلك، فإن لم يزل زاد فى الإحسان والتخلق حتى يزول، وإن وجد هو فى قلبه من أحد منهم استيحاشًا وأذية بغيبة أو غيرها فلا يظهر ذلك من نفسه ويرى من نفسه خلاف ذلك له.

* * *

(فصل) وأما الصحبة مع الأجانب:

فيحفظ السر عنهم، وينظر إليهم بعين الشفقة والرحمة، وأن يسلم أحوالهم إليهم، ويستر عليهم أحكام الطريقة، ويصبر على سوء أخلاقهم وترك معاشرتهم ما أمكنه، وألا يعتقد لنفسه عليهم فضيلة ويقول: إنهم من أهل السلامة فيتجاوز الله عنهم، ويقول لنفسه: أنت من أهل المضايقة، فتطالبين بالنقير والقطمير والحقير والكبير، وتحاسبين على الكبير والصغير، وأن الله تعالى يتجاوز للجاهل ما لا يتجاوز بمثله من العالم، والعوام لا يبالى بهم والخواص على الخطر.

* * *

(فصل) وأما الصحبة مع الأغنياء:

فالتعزز عليهم، وترك الطمع فيهم، وقطع الأمل مما فى أيديهم، وإخراج جميعهم من قلبك، وحفظ دينك من التضعضع لهم لنوالهم، كما جاء فى الحديث وهو قوله ﷺ: «من تضعضع لغنى لأجل ما فى يديه ذهب ثلثا دينه»[1] فنعوذ بالله من فعل ينقص به الدين، وصحبة أقوام يتثلم بهم الدين، وتنقطع عراه، ويطفىء نور الإيمان شعاع أموالهم وبريق دنياهم كما جاء فى الحديث.

غير أنك إذا ابتليت بصحبتهم فى سير أو سفر أو مسجد أو رباط أو مجمع فحسن الخلق أولى ما يستعمل، وهو حكم عام شامل فى صحبة الأغنياء والفقراء فلا ينبغى لك أن تعتقد لنفسك فضيلة عليهم، بل تعتقد أن جميع الخلق خير منك لتتخلص من الكبر، ولا تطلب لنفسك فضيلة الفقر ولا تعتقد لها خطرًا فى الدنيا ولا فى الآخرة، ولا ترى لها قدراً ولا وزنًا كما قيل: من جعل لنفسه قدراً فلا قدر له ومن جعل له وزنًا فلا وزن له، فأدب الغنى بالإحسان إلى الفقير، وهو إخراج المال من كيسه إليه، ويكون فراغًا من ماله مستخلفًا فيه غير متملك له.

وأدب الفقير إخراج الغنى من قلبه، ويكون قلبه فارغًا من الغنى وماله، بل من الدنيا والآخرة أجمع، ولا يجعل لشىء من الأشياء فى قلبه موطنًا ومحلاً ومدخلاً، بل يتصفى من ذلك كله ويخلو منه، ثم يترقب امتلاءه بربه عز وجل، فلا يكون لغيره وجود ولا له حول ولا قوة، فيأتيه عند ذلك فضل الله عز وجل فحينئذ يحصل الغنى به عز وجل من غير تعب ولا هم.

* * *

(فصل) وأما الصحبة مع الفقراء:

فبإيثارهم وتقديمهم على نفسك فى المأكول والمشروب والملبوس والملذوذ والمجالس وكل شىء نفيس، وترى نفسك دونهم، ولا ترى لها عليهم فضلاً فى شىء من الأشياء ألبتة.

عن أبى سعيد بن أحمد بن عيسى قال: صحبت الفقراء ثلاثين سنة ولم يجر بينى وبينهم كلام قط تأذوا به، ولا جرى بينى وبينهم منافرة استوحشوا منها، قيل له: كيف

(١) الموضوعات ٣/ ١٣٩، وقال: هذا حديث موضوع.

ذلك؟ قال: لأنى كنت معهم على نفسى أبدًا، وإذا دخلت عليهم أدخلت عليهم سرورًا ورفقًا، واستعملت معهم خلقًا هدية وأدبًا وسببًا من الأسباب، فلا ترى بذلك لك عليهم فضلاً، بل تتقلد منهم منّة فى قبولهم ذلك منك.

واحذر أن تمنّ عليهم بذلك أو تراه منك بل اشكر الله عز وجل على ما أولاك من توفيقه على تيسير ذلك، جعله لك أهلاً لخدمة أهله وخاصته وأحبابه، فإن الفقراء الصالحين هم أهل الله وخاصته كما قال النبى ﷺ: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»[1] فأهل القرآن من يعمل بالقرآن، وأما من يقرأ بلا عمل فليس من أهله، قال النبى ﷺ: «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه»[2] . فالمنّة لمن يقبل منك العطية لا لك.

* * *

(فصل) ومن آداب الصحبة مع الفقراء:

ألا تحوجهم إلى مسألتك، وإن اتفق فاستقرض الفقير منك شيئًا فتقرضه فى الظاهر، ثم تبرئه منه فى الباطن، وتخبره عن قريب بذلك، ولا تبدأه بالعطاء على وجه الصلة لئلا يتحشم بحمل المنّة منك بذلك.

ومن الأدب معهم: مراعاة قلبه بتعجيل مراده دون تنغيص الوقت عليه بطول الانتظار، لأن الفقير ابن وقته كما ورد: ابن آدم ابن يومه وليس له وقت لانتظار المستقبل.

ومن الأدب معهم: أنك إذا علمت أنه ذو عيال وصبيان فلا تفرده بالإرفاق فحسب، بل تتخلق معه بقدر ما يتسع له ولمن يشتغل به قلبه.

ومن الأدب معهم: الصبر على ما يذكر الفقير من حاله، وأن تتلقاه فى حال ما يخاطبك بوجه طلق مستبشر، ولا تلقاه بالعبوس ولا بالنظر الشزر ولا بالكلام النزر، وإذا طالبك بما لا يحضر فى الوقت فاصرفه بالوجه الجميل إلى عند مساعدة الإمكان، ولا توحشه بيأس الرد على الجزم لئلا يعود بحشمة الإخفاق وعدم الإصابة بحاجته عندك، والندم على إفشاء سره إليك حسيرًا، وربما يغلب عليه طبعه، وتستولى عليه

---

(١) أحمد ٣/١٢٨، والإتحاف ٤/٤٦٥، والميزان (٤٨٢٠)، واللسان ٥/٣٠٢

(٢) سبق تخريجه.

نفسه، فيظهر عليه الجهل بحاله والسخط عليك والاعتراض على الرب عز وجل فيما قسم له من الفاقة إلى الخلق والتبذل عنهم، فيعمى قلبه وينطفىء نور إيمانه، فكنت أنت مؤاخذًا بذلك كله، إذا كنت سببًا لثوران ذلك من قلبه، بتركك الأدب فى رده، وربما حجب أيضًا عن الصواب، والمعارف والعلوم والمصالح المدفونة فى سؤاله للخلق، التى لو صبر وأحسن الأدب ظهرت وارتحل السؤال للخلق وحصل غنى اليد والقلب والبيت، وجاءته عساكر فضل الله وآلائه ونعمائه ودللته يد الرأفة والرحمة والراحة والرعاية، وتحقق فيه قوله عز وجل: ﴿**وهو يتولى الصالحين**﴾ [الأعراف.١٩٦] وجعل مصانًا مغارًا عليه، وله غنى عن الأشياء بخالقها وتأتيه الأشياء وهو لا يأتيها، يقصده القاصدون فينالون من أنواره وسره، ويطيبون بطيبه وهو لا يشعر بهم فى غيب عنهم، مشغول بمولاه وجاذبه الذى جذبه إليه، وأنقذه من ظلمات مخالطة الخلق، وموافقة النفس ومتابعة الهوى، والتقيد بإرادة الأشياء دنيا وأخرى ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون**﴾ [يس:٥٥] أهل الجنة لما باعوا فى الدنيا أنفسهم وأموالهم لربهم عز وجل بالجنة، كما قال جل وعلا: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ [التوبة ١١١] وصبروا على الإفلاس فى الدنيا وردوا التصرف فى الأنفس والأموال والأولاد إلى ربهم عز وجل، وسلموا الكل إليه جل جلاله سوى الأوامر والنواهى، وامتثلوا الأوامر وانتهوا عن النواهى وسلموا فى المقدور، وتحرزوا من الخليقة، وتجوهروا عن الإرادات والأمانى، والهمم فى الجملة أدخلهم الجنة فشغلهم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما قال جل وعلا: ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون**﴾ فهكذا الفقير إذا فعل ذلك فى الدنيا وتحقق بظاهر القرآن حصول الجنة له، باع حينئذ الجنة بربه عز وجل، وطلب الجار قبل الدار كما قالت رابعة رحمها الله: الجار قبل الدار، وكما قال عز وجل: ﴿**يريدون وجهه**﴾ [الأنعام ٥٢، والكهف.٢٨] وكما قال الله عز وجل فى بعض كتبه السالفة: أود الأوداء إلى عبد عبدنى بغير نوال ليعطى الربوبية حقها، وقول على رضى الله عنه: لو لم يخلق الله الجنة والنار ما كان أهلاً أن يعبد، قال عز وجل: ﴿**هو أهل التقوى وأهل المغفرة**﴾ [المدثر ٥٦] فإذا اتصف الفقير بهذه الصفة، وتحقق إفلاسه عن سوى مولاه، وتنظف قلبه عن التعلق بالأشياء وفنى عنها، وصار مريدًا حقًا، وغاب عما سوى ربه عز وجل، كان حقيقًا على كرم الله أن يتولاه ويدلله وينعمه فى الدنيا إلى حين اللقاء، ثم يزيده على ذلك، ويجدد

عليه الخلع والأنوار والنعيم والحياة الطيبة، والقرب على ما أعد وأخبر لأوليائه وأحبابه، بقوله عز وجل: ﴿فلا تعلم نفس مـا أخفى لهم من قـرة أعين جزاء بما كـانوا يعملون﴾ [السجدة: ١١].

وقول النبى ﷺ: «يقول الله عز وجل: أعددت لعـبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، اقرأوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾»(١).

فإن رددت الفقير اليد الغنى القلب المتمثل لأمر مولاه فى إخباره لك عن حاله لأجل عياله أو نفـسه طائعًا لربه عز وجل فى ذلك خائفًا له، أن لو تـرك سؤالك إذ كلفه الله ذلك وابتـلاه به، قـال الله عــز وجل: ﴿وجـعلنا بعضكم لـبعض فـتنة أتصبـرون﴾ [الفرقان: ٢٠] وهى حـالة له لا تدوم، بل تنقـضى عن قريب وينـقل إلى ما قـسم له من الغنى والعز الدائم بقرب مـولاه وإعطائه، عاقبك الله يا غنى اليد فقـير القلب، الجاهل بنفسه وبربه، ومنشئـه ومنتهاه، بأن يسلب الغنى عن يدك، فتصير فقـيد اليد كما كنت فقيـر القلب، فتكون أبدًا فقيـرًا إلى الأشياء، فلا تشـبع منها حريصًا عليهـا، طالبًا لها معذبًا فى إرادتها وتحصـيلها، وهى غير مقسومة لك، كمـا قيل: إن من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم إلا أن يتغمدك الله برحمته، فينبهك لذنبك فتستغفره، وتتوب إليه من ذلك وتعترف بتفريطك ويتوب عليك ويغفر لك، فذلك إليه وهو أرحم الراحمين غفور رحيم.

* * *

(فصل: فى آداب الفقير فى فقره)

فينبغى للفـقير أن تكون شفقتـه على فقره كشفقـة الغنى على غناه، فكما أن الغنى يفعل كل شىء ويجـتهد حتى لا يزول غناه، فكذلك ينبـغى للفقير أن يفـعل مثل ذلك حتى لا يزول فـقره، فـيسأل الله عـز وجل زوال غناه إلى فقـره، أو يتعرض بـالمعايش والاكتساب والأسباب للاستغناء، والتكثر بالدنيا للعيال، وعفة النفس عند الضيقة.

ومن شرط الفقيـر أن يقف مع كفايته، ولا يأخذ فوقـها بحال، ويكون أخذه لذلك القدر امتثالاً لأمر الله تعالى، وخوفًا من الوقوع فى إثم قتل النفس، قال الله عز وجل: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كـان بكم رحيمًا﴾ [النساء: ٢٩] لأن منعه لنفسه حـقها حرام،

(١) أحمد ٢/٤٣٨، والإتحاف ٨/٥٦٨.

وهو القوت من الطعام والشراب والكسوة والقدر الذى تقوم به البنية، ولا يضعف عن أداء الأوامر من الإتيان بشرائط الصلاة وأركانها وواجباتها واجب عليه، ويترك ما هو حظها، فإن كانت قسمته فتساق إليه من غير أن يكون هو فيه بفعل الله عز وجل، فلا يتعرض للحظ أبدًا إلاَّ أن يكون مريضًا فيوصف له شيء من الحظوظ، فيتناوله على وجه التداوى، فيصير الحظ حينئذ حقًا فى حال مرضه، كالقوت فى حال صحته.

وينبغى أن يكون استلذاذه بفقره أكثر من استلذاذ الغنى بوجود غناه.

وينبغى له أن يؤثر ذله وخموله وعدم قبول الناس له وقصدهم إليه وازدحامهم لديه.

ومن شرطه أن يكون قلبه أقوى بصفاء الحال عند خلو يده من المال، فكلما قل الفتوح كثر طيب قلبه وقوته ونوره، وازداد فرحه بشعار الصالحين، وأما إذا أظلم ذلك قلبه وأوحشه وأسخطه على ربه، فليعلم أنه مفتون قد أحدث فى فقره ذنبًا عظيمًا، فليتب إلى الله عز وجل ويستغفره، ويخلد إلى التفتيش والتنقير ولوم النفس، ومن حق الفقير أن يكون كلما كثر عياله كان قلبه فى باب أمر الرزق أسكن وبربه أوثق، يمتثل أمر ربه فى الكسب لهم فى الظاهر، ويسكن إلى وعد ربه فى الباطن، ويقطع بأن لهم رزقًا عند الله قد وعد به وقدره، وهو سائقه إليهم على يده أو يد غيره، فليتنح من الوسط ولا يكون فضوليًا، فيدخل بين الخلق وخالقهم، بل يمتثل الأمر فيهم، ولا يعترض ولا يسخط ولا يتهم الرب، ولا يشك فى وعده، ولا يشكو إلى أحد، بل يكون شكواه إلى ربه وإنزال حاجته به عز وجل، وكلامه وسؤاله له عز وجل فى توفيقه بالصبر وأداء الأمر فى حقهم، والرضا بما قضى عليهم بإضافتهم، وإلزامه له مؤنتهم، ويسأله تسهيل رزقهم وتيسيره، فهو قريب مجيب، إنما يبتلى عبده ليرده بالبلية إليه عز وجل، لأنه يحب الملحين له بالسؤال، لأن بالسؤال يتميز الرب من المربوب والسيد من العبد والغنى من الفقير، ويخرج العبد من الكبر والاستنكاف والتعظيم والنخوة إلى التواضع والذلة والافتقار، فإن تحقق ذلك من العبد تحققت الإجابة سريعًا عاجلاً مع ما يدخر له من الثواب فى العقبى.

ومن آدابه: ألا يكون له هم الوقت المستقبل، بل يكون بحكم وقته لا يتطلع للوقت الثانى، بل يحفظ الحال وحدودها وشرائطها وآدابها مطرقًا غاضًا عما سواها، لا أعلى منها ولا دونها، ولا يشده إلى حال غيره، ربما كان هلاكه فيها وهى لأهلها سلامة

ونعمة، كالأغذية فمن الأغذية ما يزيد الشخص عافية ولآخر سقمًا وبلاء، فلا ينبغى للمريض أن يتناول شيئًا منها إلا بأمر الطبيب، فكذلك ينبغى للفقير ألا يختار حالة لنفسه حتى يدخل فيها من غير أن يكون هو فيها، بفعل المولى عز وجل قدرًا محضًا وإرادة مجردة، لا يحل نفسه فى شىء من الحالات والمقامات وينزلها به فيضل ويردى، حتى يأتيه أمر الذى أمات وأحيا، وينقله منها فعل الذى منع وأعطى، وأفقر وأغنى، وأضحك وأبكى، لأن ذلك أليق به وإلى ربه أقرب وأدنى، هكذا تقدم ومضى أمر من سلف من أولى العلم من أهل الطريقة، فيما خلا فيهم الاقتداء، وإلى رب الخليقة المنتهى.

ومن أدب الفقير: أن يكون مستعدًا لورود الموت متهيئًا له منتظرًا مترقبًا فى الساعات كلها ليكون ذلك عونًا له على الرضا بفقره وحمل ما حل به من الأذى، لأن به يقصر الأمل وتنكسر النفس ويزول منها وهج شهوات الدنيا، قال النبى ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم اللذات، أعنى الموت»[1].

ومن آدابه: أن يخرج من قلبه ذكر المخلوقين.

ومن آدابه: أن يتخلق مع الغنى إذا دخل عليه بما تصل يداه إليه من القوت أو فاكهة وإن كان شيئًا يسيرًا، لأنه بقلبه محترز عن الأسباب فهو بالإيثار أولى من الغنى الذى هو فى أسر غناه إلا أن يكون ذا عيال فى ضيقة، فلا يضيق على عياله بإيثاره ذلك للغنى، إلا أن يكون يعلم من عياله الإيثار وطيب النفس بذلك والموافقة والصبر والرضا والمعرفة واليقين، والأنوار تظهر من قلوبهم على ألسنتهم وجوارحهم وأنفسهم فحينئذ لا يبالى فى البذل والمنع والإيثار والإمساك.

ومن أدب الفقير: ألا يترك الاحتياط فى الورع فى حال ضيق اليد، فلا يخرج إلى ما لا يحل فى الشرع لفقره، فيخرج من العزيمة إلى الرخص، لأن الورع ملاك الدين، والطمع هلاكه، وتناول الشبهات فساده، كما قال بعض الصالحين: من لم يصحبه الورع فى فقره أكل الحرام وهو لا يدرى، فعليه ألا يخلد إلى التأويلات فى دينه فى حالة فقره، بل يرتكب الأشق والأحوط الذى هو العزيمة.

* * *

---

(١) سبق تخريجه.

(فصل: فى سؤال الفقير)

فمن أدب الفقير ترك السؤال للخلق ما دام يجد عنه مندوحة، فإن ألجأته الضرورة والحاجة المحقرة، فيسأل بقدر الحاجة فتكون حاجته كفارته، فحينئذ يسلم له السؤال.

وينبغى ألا يسأل لأجل نفسه ما أمكنه بل لعياله على ما قدمناه، فإن كان بيده دانق وهو محتاج إلى درهم لم يسلم له السؤال حتى يصرف الدانق ويخلو عن المعلوم جداً كما قيل: لا يظهر من الغيب شىء ما دام فى الجيب شىء.

ومن شروط سؤاله للخلق ألا يراهم بل تكون إشارته إلى الله عز وجل، ويرى الخلق كالوكلاء والأمناء المتصرف فيهم المفعول فيهم فلا يتخذهم أربابًا من دون الله عز وجل، فيكون معنى سؤاله لهم إخباراً أو استخباراً، إخباراً بحاله وعياله لا شكوى من ربه، واستخباراً هل وقع لنا إليك شىء هل أجل عليك شىء هل أذن لك يا وكيل يا خازن، يا أمين يا مملوك يا فقير يا من أنا وهو سواء فيما فى يديه المالك له غيرنا كلنا فى عياله، فإذا سأل على هذا الوجه يسلم له السؤال وإلاَّ فلا، ولا كرامة لكل مشرك دجال مراء عابد الأصنام، خارج عن أهل الطريقة مدع كذاب منافق زنديق، ثم إن أعطى شكر وإن منع صبر، هكذا تكون صفات الفقير الصادق، ولا يستوحش بالرد ولا يتغير فيسخط ويعترض ويذم الراد له فيظلمه، لأنه مأمور ووكيل، والوكيل هو الذى يتصرف فيما فى يده بإذن آمره وموكله المعطى، وهو الله عز وجل، بل يرجع إليه عز وجل، فيسأله التيسير والتسهيل، ليسخر له القلوب ويذل له الصعاب، ويدر له الأرزاق ويسوق إليه الأقسام، ويرفع عنه الجوع والعذاب والتبذل إلى العبيد والأرباب، ولعله قبض أيدى الخلق عنه بالعطاء ليرده إليه، فيلازم الباب ويرفع بدعائه وتضرعه الحجاب، فيكون هو المعطى له دون العباد.

* * *

(فصل: فى آداب العشرة)

وينبغى له أن يحسن العشرة مع إخوانه، فيكون منبسط الوجه غير عبوس، ولا مخالفًا لهم فيما يريدون عنه بشرط ألا يكون فيه خرق للشرع ومجاوزة للحد وارتكاب للإثم، بل يكون مما أباحه الشرع وأذن فيه الرب، ولا يكون ماريًا ولا لجوجًا، ويكون أبداً مساعداً للإخوان على الشرط الذى ذكرنا ومتحملاً عنهم ما يخالفونه فيه، ويكون

صبوراً على أذاهم غير حقود، لا ينطوى لأحد منهم على دخلة وغش ومكر، غير مغتاب لهم فى حال غيبته، ولا يكون سيء المحضر، ويذب عن أخيه فى حال غيبته، ويستر العيوب على إخوانه ما أمكنه، وإن مرض أحد منهم عاده، فإن شغله عن ذلك شاغل مضى إليه فهنأه بالعافية، وإن مرض هو ولم يعده بعض إخوانه اعتذر عنه، فإذا مرض لم يقابله بذلك، بل يعوده ويصل من قطعه، ويعطى من حرمه، ويعفو عمن ظلمه.

وإذا أساء أحدهم إليه اعتذر عنه عند نفسه ويرجع بالملامة على نفسه، ولا يرى ملكه ممنوعًا عن غيره من الإخوان، ولا يتحكم فى ملكهم بغير إذنهم، ولا ينسى الورع فى جميع حركاته وسكناته، وإن انبسط معه أحد من إخوانه فى شيء من ماله أجابه إلى ذلك مسرعًا مستبشراً فرحًا مسروراً متقلداً منه فى ذلك منّة، حيث جعله أهلاً لمباسطته معه وإنزال حاجته به، ولا يستعير من أحد شيئًا إن أمكنه، وإن استعار أحد منه شيئًا لا يسترده ما أمكنه لأنه ما استعار منه إلا لحاجته، ولا يليق بالفتوة استرداد المعار، كما لا يحسن فى الشرع استرجاع الهدية والهبة، فإن لم يقدر على ذلك فليسرع إعارته، ولا يمنعه من ذلك ولو كل يوم، إذ لا يليق بحاله أن ينفرد عن أحد من الناس بما له، لأنه ليس فى رق شيء من الأشياء فلا يملكه شيء، فكل من ملك شيئًا فذلك الشيء يملكه، لأن المرء عبد لمن زمامه بيده، بل يرى الأشياء التى فى يده ملكًا لله عز وجل وهو وبقية الناس عبيداً لله عز وجل، والكل متساو فى ملكه عز وجل، وأما ما كان فى يد الغير فيستعمل فيه حكم الشرع والورع وحفظ الحدود، لئلا يصير فى زمرة المباحية الزنادقة.

وينبغى له إذا مسته محنة أو فاقة أن يستر حاله عن إخوانه ما أمكنه، لئلا يشغل قلوبهم بسببه، فيتكلفوا له، وكذلك إن مسه هم أو أصابه حزن لا يظهر ذلك لإخوانه، ولا يشوش عليهم ما هم فيه من الفرح والسرور، والراحة ولذة العيش، وإن رأى إخوانه منزولاً بهم هم وغم وقد أظهروا فرحًا وسروراً، ساعدهم فى الظاهر من إظهار النشاط والاستبشار، ويكتم عنهم ما هم فيه من الاستيحاش والحزن والهم، فلا يقابلهم بما يكرهون، ولا يختلف عنهم فى شيء من ذلك.

وينبغى له فى أدب حسن العشرة إذا استوحش من شيء أن يتكلم فى حسن الخلق،

ويرد قلبه إليه لتزول وحشته.

وينبغى له أن يعاشر كل أحد من حيث هو لا يكلفه مجاوزة حده وموافقته، بل يتابعه هو فيما عليه ذلك الإنسان ما لم يكن فيه خرق للشرع، قال النبى ﷺ: «أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم»[1].

وينبغى له أن يعاشر من دونه بالشفقة عليه، ومن فوقه بالإجلال، ومن هو مثله بالإفضال والإيثار والإحسان.

* * *

(فصل: فى آداب الفقراء عند الأكل)

من ذلك ألا يأكلوا بالشره ولا على الغفلة، بل يذكروا الله عز وجل بقلوبهم عند الأكل ولا ينسونه.

ومن ذلك ألا يمدوا أيديهم عند الطعام قبل من هو فوقهم.

ومن ذلك ألا يقولوا لغيرهم كل، ولا يضعوا مما بين أيديهم شيئًا بين يدى غيرهم، لا على طريق الخدمة ولا على طريق الانبساط إلا صاحب الطعام، فإنه مسلم له ذلك لأنه نوع خدمة منه، ولا يقولوا لصاحب الطعام كل معنا، وإذا أُقعد موضعًا فلا يختار غيره ويقعد حيث يؤمر، ولا يرفع يده من الطعام ما دام يأكل من معه لئلا يحتشم صاحبه فيحمله على الامتناع.

ولا ينبغى أن يرفع الطعام من بين يدى الفقير ما دام يأكل وما دام عينه عليه، ويساعد الأصحاب على الأكل بقدر ما لا يكون مخالفة وإن لم يكن به شهوة.

ولا ينبغى أن يلقم على المائدة أحدًا، وإن عرض عليه الماء لا يرد الساقى ولو بقطرة واحدة، ولو قام صاحب الطعام بالخدمة لا يمنع، ولو أراد صب الماء على يده فلا يمنعه.

وينبغى أن يأكل مع الأغنياء بالتعزز، ومع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ولا يخطر الأكل بباله إلا إذا حضر، فحينئذ يأكل ولا يساعد نفسه فى اشتهاء شهوة، ولعلها لم تكن مقسومة، فلا ينالها فيبقى محجوبًا بها عن الله تعالى، ويشتغل بها عن

(١) الإتحاف ١/ ٣٤٢.

طاعتـه ومراقـبة حاله، فـإذا أعرض عن ذلك واشـتغل بحاله كـان سليمًا، فـإن كانت مقسومة ثم حضرت اشتهاها وتناولها وشكر الله تعالى ولا يجعل الأكل همه ويعلق قلبه به ويجعله حديثـه، بل يمهد مع نفسه بأنهـا مريضة، ومن حالها الاحتـماء عن الطعام والشراب والشهوات حتى يبرأ المرض، فالمرض هواها وإرادتها ومناها، والرب عز وجل طبيبهـا ومداويها، فإذا بعث الطعام والشراب على يد مملوكـه تناولهما وعلم أن دواءها وعافيتها فى ذلك دون غيره، واشتـغل بحفظ الحال والمراقبة وإخراج الأشياء من القلب والارتكان إلى شيء من الأشياء والطمأنينة إليه أبدًا فى جميع حركاته وسكناته.

* * *

(فصل: فى آدابهم فيما بينهم)

من ذلك ألا يمنع شيئًا يكون له من أصحابهم من ثيـابهم وسجاداتهم وركوبهم وما يجرى مجراه، ولو وطىء أحـد منهم سجادته بقدمه لا يستـوحش منه، ولا يضع قدمه على سجادة غيره، ولا يبسط سجادته على سجادة من هو فوقه فى الرتبة، ولو مد أحد يده إلى كتفه لا يمنعه، ولا يمد هو يده إلى كتف غيره، ولا يستخدم أحدًا من الفقراء، ويخدم هو بـنفسه كل أحـد، ويغمـز أرجل الفقـراء، ولو أراد أحد أن يغـمز رجله لا يمنعه، وإن دخلوا الحمام فليس فى آداب الفـقراء أن يمكنوا القيم من دلكهم، ولو أراد بعضهم دلك بعض أمكنه منه ولا يمنعه، وإذا نظر فقير إلى شيء من خرقته أو سجادته أو غير ذلك فليدفعه إليه فى الوقت وليؤثره به.

ولا ينبغى أن يجعـل الفقراء فى انتظاره عنـد الأكل، وكذلك فى كل شيء لا يؤذى قلب أحد بأن ينتظره ما أمكنه، فإن المنتظر مستثقل، وإذا أراد أن يقدم إلى فقير طعامًا، فيجب ألا يحبسه فى الانتظار، لأن انتظار الرقة ذل.

ولا ينبغى أن يدخر شـيئًا مما يمكنه، وإذا لم يكن الطعام كثيرًا فـلا يأكل إلا بعد ما يفضل منهم، ويجتـهد فى تقديم الطعام إلى الفقـراء، أن يكون أنظف ما يمكنه وأوفق لهم، وإن كان فى قوم فلا ينبغى أن ينفرد عنهم بأكل شيء ولا بأخذ شيء، فإن فتح له بشيء ينبغى أن يـطرحه فى الوسط، وإن مرض وهو بين قـوم فاحتـاج إلى تخصيـصه بدواء، فينبغى له أن يستأذن الجماعة فى ذلك، وإذا نزل برباط أو مدرسة وفيها شيخ أو خادم فينبغى أن يكون بحكم ذلك الشـيخ، ولا يفعل شيئًا إلا باستطلاع رأيه، وإذا ورد

على قوم وهو بحكم فينبغى أن يوافقهم على ما هم عليه.

ولا ينبغى أن يرفع صوته بين الفقراء بتسبيحه وقراءته بل يخفى ذلك عنهم ويستتر به أو ينقل ذلك إلى تفكر واعتبار عبادة باطنة، وإن كان من الخواص ذوى الأسرار فلا كلفة عليه فى ذلك، لأن ربه يتولاه ويهيئ له ويأمره وينهاه فى ذلك، ويسخر له قلوب الجماعة ويعطفها عليه ويملؤها من حبه تارة وهيبته واحترامه أخرى.

وكذلك لا ينبغى أن يرفع صوته بغير ذلك من الكلام بينهم، وإذا كان بين قوم فينبغى ألا يسار أحدًا دونهم، ولا يتكلم بين الفقراء بشىء من حديث الدنيا والمأكولات ما أمكنه.

ومن شرطه أيضًا ألا يكتب بين الفقراء شيئًا ما أمكنه ووجد من ذلك بدًا، بل يشتغل بالعمل المكتوب ومراقبة قلبه وحفظ حاله والتفكر فيهما، ولا يكثر من النوافل بين أيديهم، وإذا صام الجماعة وافقهم فى ذلك، وكذلك إذا أفطروا وافقهم فى ذلك، ولا ينفرد عنهم بالصوم، ولا ينام بين الفقراء وهم أيقاظ، إلا أن يغلب عليه النوم، فيتفرد عنهم ويضطجع بقدر ما تنكسر فورته.

ولا ينبغى له أن يتقدم بمشيئة شىء واختياره على الفقراء إذا أمكنه، وإن طالبه الفقير بشىء فلا يرده ولو بقليل، ولا يؤذى قلبه بطول الانتظار، وإذا شاوره أحد فلا يعجل عليه بالجواب فيقطع عليه كلامه، بل يمهله حتى ينهى جميع ما فى قلبه، ولا يجيبه بالرد والإنكار، فإذا فرغ من ذلك ورآه غير صواب قابله أولاً بالموافقة، وقال: هذا وجه، ثم يبين له ما هو أصوب منه عنده برفق لا بمخاشنة ووحشة.

ومن آدابهم ألا يمدحوا الطعام حال الأكل ولا يذموه.

* * *

(فصل: فى آدابهم مع الأهل والولد)

من ذلك حسن الخلق والإنفاق عليهم بالمعروف بما أمكنه، وإذا ملك فى اليوم ما يكفيه ليومه فلا يحبس شيئًا لغد، وله إلى ذلك القدر حاجة فى الحال، فإن فضل من ذلك شىء فليدخره لغد للعيال لا لنفسه، فلا يأكل إلا تبعًا لهم، بل يكون كالوكيل والخادم لعياله والمملوك مع سيده، ويعتقد بخدمته عياله والكد عليهم والقيام بمصالحهم أداء أمر الله وطاعته، وليعزل خدمة نفسه من الوسط، ويؤثر عياله على نفسه، وإذا أكل

أكل بشهوتهم، ولا يحملهم على متابعة شهوة نفسه، وإذا كان فى ذات يده شيء يصلح لشتائه وهو فى الصيف محتاج لثمنه صرفه فى وجه حاجته فى الصيف، وإن وجد كفاية يومه وكان فيه فضل للكسب فى يومه لكفاية غد لعياله لم يشتغل بذلك، بل يقف مع الكفاية فى يومه، لأن الوقوف مع الكفايات واجب، وأخر تدبير غد إلى غد، فإن كان له قوة فى التوكل وصبر على مقاساة الشدائد والقلة والجوع والضر، وتقصر قوة عياله عن ذلك، فلا يجوز له أن يدعوهم إلى حالة نفسه، بل يتحرك ويكتسب لأجلهم، وإن رأى من أهله الطاعة لله عز وجل وحسن السيرة والعبادة، فعليه بكسب الحلال وإطعامهم الحلال المباح حتى يثمر ذلك الطاعة والصلاح ، ولا يطعمهم الحرام فإنه يثمر العصيان والجناح، وليجتهد فى ذات نفسه بإصلاح العمل والصدق وطهارة الباطن حتى يصلح الله أمره بينه وبين عياله فى حسن الصبر وحسن الطاعة له ولله عز وجل والموافقة له، وتعود بركة صلاحه على عياله، قال النبى ﷺ: «من أصلح ما بينه وبين الله عز وجل، أصلح الله تعالى ما بينه وبين الناس» وأهله وعياله من جملة الناس[1].

وإذا نزل به ضيف فيجب أن يطعم عياله مما يطعم الضيف إذا كان بذات يده سعة ومكنة فليوفر ذلك بحيث يعم الجميع ويكفيهم ويفضل عنهم، فإن كان هناك فقر وقلة وضيق يد وعلم من عياله الإيثار والرضا بذلك، فحينئذ يؤثر الضيفان، فإن فضل عنهم شيء تناولوه على وجه التبرك، فإن الله تعالى سيخلف عليهم ويوسع ما لديهم، فإن الضيف ينزل برزقه ويرحل بذنوب أهل البيت، كما جاء فى الحديث[2].

وإذا دعا الفقير إلى دعوة وله عيال وليس له ما يصلح شأنهم فليس من الفتوة أن يضيع عياله ويمضى إلى الدعوة ويؤثر شهوته على فاقة عياله، ولا يستقيم فى الطريقة والشريعة أخذ الزلة والخبية لأجل العيال من الدعوة، فليمتنع من الحضور وليصبر مع أهله، فإن كان فى صاحب الدعوة فتوة وعلم بأن للضيف عيالاً، فينبغى له ألا يفرده بالاستحضار، بل يفرغ قلب الضيف عن شغل عياله بأن يكفيه ذلك، ويحمل إليهم ما يحتاجون إليه، ويعلم ضيفه بذلك.

---

(١) الكنز (٤٣١٦٦).

(٢) كشف الخفاء ٢/ ٤٦، والجامع الصغير ٢/ ٤٤ وعزاه إلى «أبى الشيخ» من حديث أبى الدرداء، ورمز له بالحرف (ض) كناية عن ضعفه.

والواجب على الفقير أن يؤدب أهله بملازمة ظاهر العلم والشريعة، ولا يمكنهم من مخالفة العلم فى القليل والكثير.

ولا ينبغى له أن يسلم أولاده إلى السوق وتعلم الحرف، بل يعلمهم أحكام الدين ويحملهم على ترك طلب الدنيا، إلا أن يغلب عليه الفقر وقلة الصبر وانكشاف الحال والفضيحة والرجوع إلى الخلق فى القوت وما يسد به الخلة، فليشغل أهله وولده ونفسه بالكسب وتحصيل ما يحصل به الغنى عن الناس، فهو أفضل من غيره مع حفظ الحدود، ويعرف أولاده وجوب مراعاة حق الوالدين ومجانبة العقوق، ويعرف أهله مراعاة حقه، وفضيلة الصبر معه وطاعته وغير ذلك على ما بيّنا فى باب آداب النكاح.

* * *

(فصل: فى آدابهم فى السفر)

وقد ذكرنا فى كتاب الأدب فى أثناء الكتاب أنه يجب أن يكون سفر المؤمن الخروج من أوصافه المذمومة إلى صفاته المحمودة، فيخرج من هواه إلى طلب رضا مولاه بتصحيح تقواه، فإذا أراد الفقير أن يسافر من بلده، فأول شىء يجب عليه أن يرضى خصومه ويستأذن والديه أو من هو فى حكمهما فى وجوب الحق عليه من العم والخال والجد والجدة، فإذا رضوا بذلك خرج، فإن كان ذا عيال وفى سفره عنهم مضرة عليهم وضيقة، فلا يسلم له السفر إلا بعد إصلاح أمورهم أو يستصحبهم معه، قال النبى ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»[1].

ومن شرط الفقير إذا سافر أن يكون قلبه معه، لا يكون قلبه ملتفتًا إلى علاقة وراءه، ولا يكون قلبه متعلقًا بمطالبة أمامه، فحيثما نزل يكون قلبه معه ويكون قلبه خاليًا عن الأشياء كما قيل عن إبراهيم بن دوحة أنه قال: دخلت مع إبراهيم بن شيبة البادية فقال لى: اطرح ما معك من العلائق، فطرحت كل شىء إلا دينارًا، فقال: لا تشغل سرى، اطرح ما معك، فطرحت الدينار، فقال: لا تشغل سرى، اطرح ما معك من العلائق، فذكرت أن معى شسوعًا للنعل فطرحتها، فوالله ما احتجت فى الطريق إلى شسع إلا وجدته بين يدى فقال ابن شيبة: هكذا من عامل الله تعالى بالصدق.

---

(١) سبق تخريجه.

ولا ينبغى أن يقصر فى سفره من أوراده التى كان يفعلها فى حضره، لأن السفر لهم زيادة فى أحوالهم، فلا ينبغى أن يحصل له خلل فى أعمالهم وأحوالهم بسفره، وإنما الرخص للضعفاء والعوام، وما للأقوياء والخواص بالرخص، بل العزيمة شأنهم أبداً فى جميع أحوالهم، والتوفيق شامل لهم، والرحمة نازلة عليهم، والحرس قائم معهم، والحفظ دائم لهم، والحبيب جالس معهم، والأنس به زائد، والغنى به قائم، والأمداد متداركة ومتواترة، والنظر لهم لازم، والجنود لهم متكاثفة متتابعة ومشتبكة لديهم، فالسفر أقوى لهم وألين وأحسن بما هم بصدده، إذ فيه البعد من الأسباب التى هى الأرباب، والخلق الذين هم الأصنام، وأضل من الصلبان وأشد من الشيطان.

وينبغى للفقير أن يراعى قلبه فى أول سفره، ولا يخرج عن الغفلة، ويجتهد فى سفره حتى لا ينسى بقلبه ربه فى سفره.

ولا ينبغى له أن يكون سفره لغرض من أغراض الدنيا بوجه من الوجوه، بل يكون سفره لطاعة من الطاعات، إما للحج أو للقاء شيخ أو زيارة موضع من المواضع المقدسة الشريفة، وإذا سافر الفقير فوجد قلبه بموضع من المواضع ورآه فيه أصفى من الكدرات، وعيشه أوفى، فيلزم ذلك الموضع، ولا يزول عنه إلا بأمر جزم أو فعل محض وقدر، فليتنح حينئذ إلى ما يؤمر به، أو يحمله القدر إذا كان من المفعولين فيهم الزائل الهوى والإرادات والأمانى، الفانين عنهم المرادين المحبوبين.

وإذا ظهر لفقير جاه وقبول ببعض المواضع، فينبغى له أن يخرج منه ويشوش على نفسه ذلك القبول، لئلا ينفى به عن الله ويحجب عنه، فيكون الخلق نصيبه، وهذا إنما يكون مع وجود الهوى، وأما مع زواله فلا وجود للخلق ولا لقبولهم أثر، فهم خارجون عن القلب وبينهما حجب وحرس يحفظون القلب عن دخول الخلق إليه، لئلا يحصل الشرك فيتشعث التوحيد.

وينبغى للفقير أن يعاشر أصحابه فى سفره بحسن الخلق وجميل المداراة، وترك المخالفة واللجاج فى جميع الأشياء، ويشتغل بخدمتهم، ولا يستخدم منهم أحداً.

وينبغى أن يكون أبداً فى سفره على الطهارة وإن لم يجد الماء يتيمم ما أمكنه ذلك، كما يستحب له فى حضره أن يكون على الطهارة، لأن الوضوء سلاح المؤمن، كما جاء فى الخبر، وهو أمان له من الشياطين وكل مؤذ.

وينبغى ألا يصحب الأحداث المردان فى السفر على الخصوص، فإنهم أقرب إلى مصافاة الشياطين والقبول منها وإلى الشر والفتن والغش ومتابعة الهوى وهنات النفس والتهمة وفى صحبتهم خطر عظيم، إلا أن يكون الفقير ممن يقتدى به من الشيوخ والعلماء بالله وأبدال أنبيائه المحفوظين الأئمة الهداة الربانيين معلمى الخير المؤدبين المنذرين للخلق والمهذبين لهم، السفراء بين الحق والخلق، الجهابذة، فحينئذ لا يبالى بمن يصحبه من الأحداث والشيوخ.

وإذا دخل بلدًا وفيه شيخ، فينبغى أن يبدأ بسلامه عليه وخدمته له، وينظر إليه بعين الإكبار والحشمة والتعظيم، لئلا يحرم فائدته، وإذا فتح له بشىء فلا يستأثر به دون أصحابه، وإذا وقع لأحدهم عذر وقف معه ولا يضيعه، والله الموفق للصواب.

* * *

(فصل: فى آدابهم فى السماع)

من ذلك ألا يتكلفوا السماع ولا يستقبلوه بالاختيار، فإذا اتفق السماع فمن حق المستمع أن يعقد بشرط الأدب ذاكرًا لربه بقلبه مشتغلاً بحفظ قلبه من طوارق الغفلة والنسيان، فإذا قرع سمعه شىء يرى القارئ للقرآن كأنه مستنطق من قبل الحق عز وجل فيما يرد عليه من تعريفات الغيب إياه، مما يوجب ترغيبًا أو ترهيبًا أو إيناسًا أو عتابًا أو زيادة فى القيام بعبادته عز وجل أو غيره، بادر إلى ما يرد عليه، وقابل الإشارة عليه بالبدار، وإن كان السماع بحيث يصير كأن لسان القارئ لسانه، وصار كأنه يخاطب هو الحق بما يقرأ القارئ، فما يحصل مما يجده فى قلبه من ذلك يكون موافقًا لحق العبودية وآداب الشريعة، وفى الجملة لا يكون فى الطريقة ولا فى علم الحقيقة شىء يخالف آداب الشريعة، وإذا كان فى القوم شيخ حاضر فى السماع، فالواجب على الفقير السكون ما أمكنه ومراعاة حشمة ذلك الشيخ، فإن ورد عليه أمر غالب فبقدر الغلبة يسلم إليه الحركة، فإذا سكنت الغلبة فالأولى له السكون مراعاة لحشمة الشيخ.

ولا ينبغى للفقير أن يتقاضى القارئ ولا القوال، إن استبدل القول الذى هو أدنى بالذى هو خير، يعنى الأبيات بالقرآن على ما هو عادة أهل الزمان اليوم، فلو صدقوا فى قصدهم وتجردهم وتصرفهم لما انزعجوا فى قلوبهم وجوارحهم بغير سماع كلام الله عز وجل، إذ هو كلام محبوبهم وصفته، وفيه ذكره وذكر الأولين والآخرين، والماضين

والغابرين والمحب والمحبوب والمريد والمراد، وعتاب المدعين لمحبته ولومهم وغير ذلك، فلما اختل صدقهم وقصدهم وظهرت دعواهم من غير بينة، وزورهم وقيامهم مع الرسم والعادة من غير غريزة باطنة وصدق السريرة والمعرفة والمكاشفة والعلوم الغريبة، والاطلاع على الأسرار والقرب والأنس، والوصول إلى المحبوب، والسماع الحقيقى وهو الحديث، والكلام الذى هو سنة الله عز وجل مع العلماء به والخواص من الأولياء والأبدال والأعيان، وخلت بواطنهم من ذلك كله، وقفوا مع القوال والأبيات والأشعار التى تثير الطباع وتهيج ثائرة العشاق بالطباع لا بالقلوب والأرواح.

فينبغى للفقير فى الجملة: أعنى فقير الحق عز وجل، وفقير الخلق: أعنى فقير المعنى، وفقير الصورة: أعنى فقيراً من الدنيا وفقيراً من العقبى والأكوان، ألا يتقاضى القارئ والقوال بالتكرار والإعادة، بل يكل ذلك إلى الحق سبحانه إن شاء قيض من ينوب عنه فى التقاضى، أو يلهم القوال بالتكرار إذا كان الفقير المستمع صادقًا وله فى التكرار دواء ومصلحة.

ولا ينبغى للفقير أن يستعين بغيره فى حال السماع، فإن سأل الفقراء منه المساعدة فى الحركة فليساعدهم، وذلك ضعف فى الحال، وإذا سمع الفقير آية أو بيتًا فلا يجب أن يزاحمه أحد، ويجب أن يسلم له وقته، وإن خولف فزوحم فالأولى للمزاحم له التسليم، وإذا تحرك الفقير على آية أو بيت، فيجب أن يسلم له وقته، وإن وقع للحاضرين عليه إشراف ورأوا فيه تقصيراً أو نقصانًا فالواجب عليهم الستر عليه والحمل عنه، فإن اقتضى الوقت تنبيهه فلينبه بالرفق أو بالقلب لا باللسان، وهاهنا يحتاج إلى قوة حال وصفاء باطن وعلم دقيق واطلاع وآداب كاملة ومحافظة شديدة حميدة، وإذا خرج فى حال سماعه من خرقة أو من شىء من ثيابه، فلا يخلو إما أن يكون قد تخلق به مع القارئ فهو للقارئ على الخصوص أو يطرحه فى الوسط فيكون حكمه إليه، فيقال له: ما الذى أردت به؟ فإن قال: قصدت به أن يكون بحكم الفقراء كان ذلك خلقًا منه معهم فهو لهم بحكم الفتوح، وذلك إليهم يرون فيه رأيهم، وإن قال: أردت به موافقة شيخ طرح خرقته، فهذا ضعيف الحال جداً ركيك الأمر حقًا، لأنه إنما ينبغى أن يوافق الشيخ فى حكم خروجه عن خرقة من قد وافق الشيخ فى وجده وحالته، وذلك بعيد جداً أن يتفق اثنان منهم فى حال، والذى جرت به العادة بين الفقراء واستمر به الرسم بينهم اليوم فى المرافقة فى طرح الخرقة، فليس له أصل، ثم إذا جرى منه ذلك

مع ضعفه فحكم خرقته المطروحة إلى ذلك الشيخ فى رسم العادة لا فى العلم والشريعة، أو فى مقتضى الطريقة والحقيقة، وإن قال صاحب الخرقة: أردت موافقة القوم الحاضرين فهذا أيضًا أضعف من الأول، لأنه إنما ينبغى أن يكون الاشتراك فى الفعل عند الاتفاق فى الحال والوجد، وقلما يتفق ذلك للقوم حتى يستووا فى الشرب والحال، فيرجع فى ذلك إلى القوم، فما يكون حكم خرقهم فله أسوتهم فى ذلك، فإن قال لم يكن لى فى الوقت قصد ولا نية، يقال: فالآن هو بحكمك فاحكم فيه بما شئت، وليس لأحد من الحاضرين ولا للشيخ إن كان حاضرًا فى ذلك حكم ألبتة، إذ ليس صاحبه فيه محقًا، ولا له قصد ولا لذلك أصل فى الطريقة، فإن قال: وردت علىَّ فى الوقت الإشارة بالخروج من الخرقة من غير قصد إلى شىء على التعيين، فقد يكون لهذا فى الطريقة أصل لأن من خلع عليه السلطان خلعة، فالواجب على المخلوع عليه أن ينزع ملبوسه ثم يلبس الخلعة، فهذا حكم هذا الفقير أن يخرج من خرقته ويلبس ما خلع عليه البارى عز وجل من الأنوار والقرب والألطاف، ثم إن حكم خرقته إلى الشيخ الحاضر إن كان هناك، وإلا فللحاضرين من الفقراء أن يفردوا القارئ أو القوال بها، وقد قيل: إن ذلك إلى الفقير، وهو أولى بحكم خرقته من غيره، فأما معارضة الحاضرين من أرباب الدنيا ليشتروا الخرقة ثم ترد إلى صاحبها فذلك غير محمود فى الطريق وغير مرضى، اللهم إلاَّ أن يكون المشترى فيه فتوة وإيمان بالقوم يريد أن يتخلق معهم، وهو نوع من المعاوضة والسؤال بالتلطف، ولكنه مذموم جدًا، لأنه فى حال خروجه عن الخرقة أظهر صدق من نفسه فى الحال، وبرجوعه إلى الخرقة فاضح لنفسه ومكذب لها، وذلك غير مرضى.

ولا ينبغى لمن خرج من خرقته أن يعود إليها ويقبلها، فإن كان ذلك بإشارة شيخ بأن أمره بأخذها فإنه يأخذها جهرًا امتثالاً لأمر الشيخ، ثم يخرج منها بعد ذلك فيتخلق بها مع غيره، وإذا وقع شىء فى الوسط للجماعة فالواجب التسوية بينهم، فإن كان فيهم شيخ ورأى تخصيص قوم أو واحد من الحاضرين، فحكم ذلك إلى الشيخ يتبع رأيه فيه، فلو طرح خرقته فردت عليه فكانت طريقته ألا يرجع إلى شىء خرج منه، وعاد الفقراء إلى خرقتهم، فإن كان له شيخ كان له ألا يرجع إلى خرقته ويلزم طريقته، فلا يرجع إلى ما خرج منه، ولا ينقض حالته اتباعًا لأحوال الجماعة، وإن كان واحدًا من الفقراء فالأظرف من حاله والأليق بها أن يوافق الجماعة فى الحال، فيعود إلى خرقته

لئلا يخجل القوم ويستحيوا ويمقتوه، ثم بعد ذلك يخرج منها إلى الحاضرين وهو الأولى، وإن دفعها إلى غائب عن المجلس جاز.

وهذا آخر ما ألفنا من آداب القوم على وجه الاختصار والإقلال والإمكان فى الوقت، وأما ما يتعلق بدخول الرباط والسقايات ولبس الحذاء وأشياء أحدثوها ووصفوها وسموها بينهم، فذلك يستفاد من ممارستهم ومخالطتهم والاستخبار والإشارة منهم، فلم نسطره فى الكتاب، وقد ذكرنا معظم ذلك فى كتاب الأدب فى الشرع فى أثناء الكتاب.

* * *

ثم نختم الكتاب بذكر باب يشتمل على:

باب

المجاهدة والتوكل وحسن الخلق والشكر والصبر والرضا والصدق إذ هذه الأشياء السبعة أساس لهذه الطريقة والكل خير

(فصل) أما المجاهدة:

فالأصل فيها قول الله عز وجل: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾** [العنكبوت: ٦٩].

وروى أبو نضرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الجهاد قال: كلمة حق عند سلطان جائر»(١) ودمعت عينا أبى سعيد رضى الله عنه.

وقال أبو على الدقاق رحمه الله: من زين ظاهره بالمجاهدة، حسن الله سرائره بالمشاهدة، قال الله عز وجل: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾** [العنكبوت: ٦٩] وكل من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من الطريقة شمة.

وقال أبو عثمان المغربى رحمه الله: من ظن أنه يفتح عليه بشىء من هذه الطريقة أو يكشف له شىء منها بغير لزوم المجاهدة فهو فى غلط.

وقال أبو على الدقاق رحمه الله: من لم تكن له فى بدايته قومة لم يكن له فى نهايته جلسة.

وقال أيضًا رحمه الله: الحركة بركة، حركات الظواهر توجب بركات السرائر.

وقال الحسن بن علوية: قال أبو يزيد رحمه الله: كنت ثنتى عشرة سنة حداد نفسى، وخمس سنين كنت مرآة قلبى، وسنة أنظر فيما بينها فإذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه ثنتى عشرة سنة، ثم نظرت فإذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطع، فكشف لى، فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى، فكبّرت عليهم أربع تكبيرات.

---

(١) أبو داود (٤٣٤٤)، وابن ماجه (٤٠١١)، والطبرانى ٨/٣٣٨.

وعن الجنيد رحمه الله قال: «سمعت السرى رحمه الله يقول: يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغى فتضعفوا وتقصروا كما قصرت، وكان فى ذلك الوقت لا يلحقه الشباب فى العبادة».

وقال الحسن القزاز رحمه الله: بنى هذا الأمر على ثلاثة أشياء: ألا يأكل إلا عند الفاقة، ولا ينام إلا عند الغلبة، ولا يتكلم إلا عند الضرورة.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله:

لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات:

الأولى: يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة.

والثانية: يغلق باب العز ويفتح باب الذل.

والثالثة: يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد.

والرابعة: يغلق باب النوم ويفتح باب السهر.

والخامسة: يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر.

والسادسة: يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت.

وقال أبو عمر بن نجيد رحمه الله: من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه.

وقال أبو على الروذبارى رحمه الله: إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام: أنا جائع فالزموه السوق وأمروه بالكسب.

وقال ذو النون المصرى رحمه الله: ما أعز الله عبداً بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه، وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه.

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله: ما هالنى شىء إلاَّ ركبته.

وقال محمد بن الفضيل رحمه الله: الراحة هى الخلاص من أمانى النفس.

وقال منصور بن عبد الله رحمه الله: سمعت أبا على الروذبارى رحمه الله يقول: دخلت الآفة من ثلاث: سقم الطبيعة، وملازمة العادة، وفساد الصحبة، فسألته: ما سقم الطبيعة؟ فقال: أكل الحرام، فقلت: وما ملازمة العادة؟ قال: النظر والاستمتاع بالحرام والغيبة، قلت: فما فساد الصحبة؟ فقال: كلما هاجت فى النفس شهوة يتبعها.

وقال النصرآباذى رحمه الله: سجنك نفسك، إذا خرجت منها وقعت فى راحة الأبد.

وقال أبو الحسن الوراق رحمه الله: كان أجل أحكامنا فى مبادىء أمرنا فى مسجد أبى عثمان: الإيثار بما يفتح علينا، وألا نبيت على معلوم، ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم منه لأنفسنا، بل نعتذر إليه ونتواضع له، وإذا وقع فى قلوبنا حقارة لأحد قمنا بخدمته، فمجاهدة العوام فى توفية الأعمال، ومجاهدة الخواص فى تصفية الأحوال، وقد تسهل مقاساة الجوع والعطش والسهر، ومعالجة الأخلاق الرديئة تعسر وتصعب.

ومن آفات النفس: ركونها إلى استحلاء المدح والذكر الطيب وثناء الخلق، وقد تحتمل أثقال العبادات لذلك، ويستولى عليها الرياء والنفاق.

وعلاقة ذلك رجوعها إلى الكسل والفشل عند انقطاع ذلك، وذم الناس لها، ولا يتبين لك آفات نفسك وشركها ودعواها وكذبها إلا عند الامتحان فى مواطن دعواها وعند الموازنة لها، لأنها تتكلم بكلام الخائفين ما لم تضطر إلى الخوف، وإذا احتجت إليها فى مواطن الخوف وجدتها آمنة، وتقول قول الأبرار ما لم تمتحن بالتقوى، وإذا احتجت إليها وطالبتها بشروط التقوى وجدتها مشركة مرائية مزينة معجبة، وتصف وصف الصادقين ما لم تحتج إلى الغاية، فإذا طلبت منها ذلك وجدتها كذابة، وتدعى دعوى الموقنين ما لم تمتحن بالإخلاص، وتزعم أنها من المتواضعين ما لم يحل بها خلاف هواها عند الغضب، وكذلك تدعى السخاء والكرم والإيثار والبذل والغنى والفتوة وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، أخلاق الأولياء والأبدال والأعيان تمنيًا ورعونة وحمقًا، وإذا طالبتها بذلك وامتحنتها لم تجدها إلا **﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا﴾** [النور:٣٩] ولو كان ثَمَّ صدق وإخلاص وصح منها القول وصدق بالقول لسانها لما أظهرت التزين للخلق الذين لا يملكون لها ضرًا ولا نفعًا، ولصحت أعمالها عند الامتحان، فوافق قولها عملها.

وقال أبو حفص رحمه الله: النفس ظلمة كلها وسراجها سرها، يعنى الإخلاص، ونور سراجها التوفيق، فمن لم يصحبه فى سره توفيق من ربه كانت ظلمة كلها.

وقال أبو عثمان رحمه الله: لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئًا، وإنما يرى عيب نفسه من يتهمها فى جميع الأحوال.

وقال أبو حفص رحمه الله: أسرع الناس هلاكًا من لا يعرف عيبه، فإن المعاصى بريد الكفر.

وقال أبو سليمان رحمه الله: ما استحسنت من نفسى عملاً فاحتسبت به.

وقال السرى رحمه الله: إياكم وجيران الأغنياء وقراء الأسواق وعلماء الأمراء.

وقال ذو النون المصرى رحمه الله:

إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء:

أولها: ضعف النية بعمل الآخرة.

والثانى: صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم.

والثالث: طول الأمل مع قرب الأجل.

والرابع: آثروا رضى المخلوقين على رضا الخالق.

والخامس: اتبعوا أهواءهم، ونبذوا سنة نبيهم ﷺ وراء ظهورهم.

والسادس: جعلوا قليل زلات السلف حجة أنفسهم، ودفنوا كثير مناقبهم.

(فصل) والأصل فى المجاهدة مخالفة الهوى.

فيعظم نفسه عن المألوفات والشهوات واللذات، ويحملها على خلاف ما تهوى فى عموم الأوقات، فإذا انهمك فى الشهوات ألجمها بلجام التقوى والخوف من الله عز وجل، فإذا حرنت ووقفت عند القيام بالطاعات والموافقات ساقها بسياط الخوف وخلاف الهوى ومنع الحظوظ.

(فصل) ولا تتم المجاهدة إلا بالمراقبة.

وهى التى أشار إليها رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه، واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، وهذا هو أصل كل خير، وإنما يصل إلى هذه الرتبة بعد المحاسبة وإصلاح حاله فى الوقت، ولزوم طريق الحق وإحسان مراعاة القلب بينه وبين الله تعالى، وحفظ الأنفاس مع الله عز وجل، فيعلم أن الله تعالى عليه رقيب، ومن قلبه قريب، يعلم أحواله ويرى أفعاله، ويسمع أقواله، ولا تتم أيضًا إلا بمعرفة خصال أربع:

أولها: معرفة الله تعالى.

والثانية: معرفة عدو الله إبليس.

والثالثة: معرفة نفسك الأمارة بالسوء.

والرابعة: معرفة العمل لله تعالى.

ولو عاش إنسان دهراً فى العبادة مجتهداً ولم يعرفها ولم يعمل عليها لم تنفعه عبادته، وكان على الجهل ومصيره إلى النار، إلاَّ أن يتفضل الله عليه برحمته.

فأما معرفة الله عز وجل، فهو أن يلزم العبد قلبه قربه عز وجل، وقيامه عليه وقدرته عليه وشهادته وعلمه به، وأنه رقيب حفيظ، وأنه واحد ماجد، لا شريك له فى ملكه، وأنه عندما وعد صادق، وعندما ضمن واف، وعندما دعا إليه وندب إليه ملىء، وله وعد ينجزه، ووعيد صادق ينفذه، ومقام تصير إليه الخلائق، ومصدر يتصرف من عنده، وله ثواب وعقاب، ليس له شبه ولا مثيل، وأنه كاف رحيم ودود سميع عليم، وأنه كل يوم هو فى شأن، لا يشغله شأن عن شأن، يعلم الخفى وفوق الخفى، والضمير والخطرات والوسوسة والهمة والإرادة والوسواس والحركة والطرفة والغمزة والهمزة، وما فوق ذلك وما دون ذلك، مما دق فلا يعرف، وجل فلا يوصف، مما كان وما يكون، وأنه عزيز حكيم، وقد استوفينا ذلك فى باب معرفة الصانع من قبل.

فإذا ألزم هذا قلبه فى اليقين الراسخ والعمل النافع، ولزم ذلك كل عضو منه وكل جارحة وكل مفصل وعرق وعصب وشعر وبشر، وكذلك يتيقن أن الله تعالى قائم على ذلك عالم به، أحاط به علمًا لا تعزب عنه عازبة، وأنه خلقه فأحسن خلقه، وصوره فأحسن صورته، وثبت جميع ذلك فى قلبه، وصح به عزمه وأكمل عقله، وثبت حينئذ فيه المحاسبة، ووصلت إليه المعرفة وقامت عليه الحجة، وكان فى مقام من الله شريف، والحذر يصحبه فى ذلك كله، فحفظت جوارحه وقلبه، ولا ينال شيئًا من هذه الجملة إلاَّ أن يقطع الأشغال كلها، إلاَّ ما دله على هذا، والفرق لا يفارق قلبه حذراً من سطواته، لقدرته عليه لما قد سلف، وبما يكون منه، وحياء منه لقربه منه، ولم تسقط منه إرادة، ولم تزل منه همة ولا خطرة إلا له فيه علم، فيكون العالم القائم بما يحب الله منه، والنازل له عما يكرهه منه، ولا تكون منه خطرة ولا لحظة ولا وسوسة ولا إرادة ولا حركة ظاهراً ولا باطنًا، إلا وعلم الله عنده قائم فى قلبه قبل الخطرات والحركات والوساوس وهو مقام العلماء بالله عز وجل، الخائفين العارفين الأتقياء الورعين.

وأما معرفة عدو الله إبليس، فقد أمر الله تعالى بمحاربته ومجاهدته في السر والعلانية، في الطاعة والمعصية، وأعلم العباد بأنه قد عادى الله عز وجل وعبده ونبيه وصفيه وخليفته في الأرض آدم عليه السلام، وضاره في ذريته، وأنه لا ينام إذا نام الآدمي، ولا يغفل إذا غفل الآدمي، ولا يسهو إذا سها الآدمي دائبًا مجتهدًا في عطب الآدمي وهلكته في نومه ويقظته وفي سره وعلانيته في الطاعة ليبطلها وفي المعصية ليوقعه فيها، لا يألو به خديعة وحيلة ومكرًا، مصائده الشهية اللذيذة في طاعته ومعصيته، ما يجهله كثير من خلق الله تعالى من العابدين المغرورين المخدوعين، وكثير من الغافلين، ليست راحته أن يوقع ابن آدم في معصية ولا رياء ولا إعجاب، إنما بغيته أن يرده معه حيث يرد جهنم، حيث قال جل وعلا: **﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾** [فاطر٦].

فإذا عرفه العبد بهذه الصفة فينبغي له أن يلزم قلبه معرفته في الحق والباطن، بلا غفلة ولا سهو منه، فيحاربه بأشد المحاربة، ويجاهده بأشد المجاهدة، سرًا وعلانية، ظاهرًا وباطنًا لا يقصر في ذلك حتى يبذل مجهوده في محاربته، ومجاهدته في كل ما يدعو إليه من الخير والشر ولا يدع التضرع واللجأ إلى الله عز وجل والاستعانة به في حركاته كلها ليعينه عليه، ويرى الله عز وجل من نفسه الفقر والفاقة إليه، فإنه لا حيلة ولا قوة إلا به، ويستغيث بالله عز وجل بالبكاء والتضرع، ويسأله النصر عليه جاهدًا متذللاً، ليلاً ونهارًا، سرًا وعلانية، في الخلأ والملأ، حتى تصغر في عينه مجاهدته لمعرفته، بتوفيق الله تعالى إياه، فإنه عدو مولاه، وهو أول من عصى الله من خلقه، وأول من مات من خلقه، يعني من عصاه، وكل عاص لله عز وجل ميت، كما جاء في الحديث، قال الله عز وجل: «إن أول من مات من خلقي إبليس» وهو الذي عادى أولياء الله من الأنبياء والصدّيقين وأصفياءه من خلقه أجمعين.

وينبغي للعبد أن يعلم أنه في جهاد عظيم، وفي قرب من الرب جل ثناؤه، ولا يوصف شرف مقامه، فليثبت ولا يعجز فإنه إن عجز أو مل فقد عصى ربه عز وجل ووقع في جهنم، وغضب الله عليه، ويكون قد أعطى عدو الله أمنيته منه، وقوى عليه لعنه الله، وليس لإرادته في العبد غاية وانتهاء إلا بالكفر بالله، فإنه إنما ينقله من حال إلى حال حتى يغضب الله عليه، فيكله إلى نفسه فيعطب ويقع في النار مع الشيطان، فلا خلق أشد على العبد منه، فالحذر الحذر، فإنه هو الورود على العطب، أو النجاة

بفضل الله ورحمته، أعاذنا الله وجميع المسلمين من شر إبليس وجنوده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وأما معرفة النفس الأمارة بالسوء، فيضعها حيث وضعها الله عز وجل، ويصفها بما وصفها الله تعالى، ويقوم عليها بما أمره الله عز وجل فإنها أعدى له من إبليس، وإنما يقوى عليه إبليس بها وبقبولها منه، فيعرف أى شيء طباعها، وما إرادتها، وإلام تدعو، وبم تأمر، وكيف خلقها خلقة ضعيفة قوى طمعها شرهة مدعية خارجة عن طاعة الله سبحانه، متملكة متمنية، خوفها أمن، ورجاؤها أماني، وصدقها كذب، ودعواها باطلة، وكل شيء منها غرور، وليس لها فعل محمود، ولا دعوى حق فلا تغرنه بما يظهر له منها، ولا يرجو بما تأمل، إن حل عنها قيودها شردت، وإن أطلق وثاقها جمحت، وإن أعطاها سؤلها هلكت، وإن غفل عن محاسبتها أدبرت، وإن عجز عن مخالفتها غرقت، وإن اتبع هواها تولت إلى النار وفيها هوت، ليس له حقيقة ولا رجوع إلى خير، وهى رأس البلاء ومعدن الفضيحة، وخزانة إبليس ومأوى كل سوء، ولا يعرفها أحد غير خالقها عز وجل، فهى فى الصفة التى وصفها الله عز وجل، كلما أظهرت خوفًا فهو أمن، وكلما ادعت صدقًا فهو كذب، وكلما ذكرت إخلاصها فهو رياء وإعجاب عند الحقائق، يبين صدقها ويعرف كذبها، وعند الامتحان ترجع إلى دعواها، فليس بلاء عظيم إلاَّ وقد حل بها، فعلى العبد محاسبتها ومعرفتها ومراقبتها ومخالفتها ومجاهدتها فى جميع ما تدعو إليه وتدخل فيه، فليس لها دعوى حق، وإنما تسعى فى هلاكها ودمارها، ولا توصف بشيء إلا وهى أكثر مما توصف، فهى كنز إبليس ومستراحه ومسامرته ومحدثته وصديقته.

فإذا عرف العبد صفتها فقد عرفها وهانت عليه، وذلت وقوى عليها بالله عز وجل، فإذا اجتمعت فى العبد هذه الخصال الثلاث، فليستعن بالله عز وجل عليهن، ولا يغفل لأنه إذا قوى على أدب نفسه ومخالفتها عما تهوى قوى على الخصال كلها إن شاء الله تعالى، فعليه ببذل التقدم بالعزم بالله عز وجل وحده لا شريك له، ولا يميلنّ فى هذا كله إلى أحد غير الله عز وجل، فإن لم يفعل ذلك فلا يوفق لخير ويكله الله عز وجل إلى نفسه.

فينبغى له أن يستعين بالله تعالى فى هذا كله ويتبع مرضاته فى جميع ما أمره الله به

ونهاه، لا يريد بذلك أحدًا غـير الله عز وجل، فإن فعل ذلك أرشده الله ووفـقه وأحبه وجنبه مكارهه وسـتره بسـتر الأصفـياء العلماء بالله، الذين بذلك نالـوا العلم بالله عز وجل.

وأما معرفة العمل لله عز وجل، فأن يعلم العبد أن الله عز وجل أمره بأمور ونهاه عن أمـور، فالذى أمـره به هو الطاعـة، والذى نهـاه عنه هو المعصـيـة له عز وجل وأمـره بالإخلاص فيـهما والقصـد إلى سبيل الهدى عـلى نهج الكتاب والسنة، ولا يكون فى ضـميـره فى فعله كل شيء غـير الله عـز وجل، ولا يكن ممن ترك المعـاصى الظاهرة، وأعرض عن ترك المعـاصى الباطنة التى هى أمـهات الذنوب وأصولهـا، لأن الله تعالى ليس على هذا وعد بالمغـفرة، ولا على هذا ضمن الثـواب فى دار الجزاء، فلا يجـهدن العبد فى العبادة بالظاهر بفساد النية وسـقم الإرادة، فتعود إذ ذاك طاعاته معاصى كلها، فتـخل به عقـوبات الدنيا والآخرة مع تـعب البدن وقلة المراد به وترك الشـهوة واللذة، فيخسر الدنيا والآخرة، ولكن يزين طاعـته بالإخلاص والتقوى والورع، ونيته بالصدق، ويحفظ إرادته بالمحـاسبة، وليكـن همه طلب النية الصـادقة، وعزمـه طلب الإخلاص والتوحيد فى أقواله وأفعاله وأحواله أجمع عند أخذه فى الطاعة، وإعراضه عن المعصية، حتى يثبت معرفة النية، كما يثبت معرفة العمل.

وينبغى له أن يحترز من أن يخدعه إبليس اللعين بغوائله، ويصرعه بمصائده، ويوقعه فى فخوخه، ويذهب به بمكره وخدعه، فإن لـه مصائد مسجلات فى القلوب، وغوائل شهية وظرائف لذيذة، يحسبـه الجاهل نورًا ويقينًا، وهو شك وظلمة، يفتح له مائة باب من الطاعة، يريد بذلك أن يدخله فى أدنى منزلة يستغـرق عمله بها، فإياه ثم إياه الحذر الحذر، فإن قدر أن يتعلم خـدعه كما يتعلم القرآن فليفعـل، فبهذا أمره الله جل ثناؤه، فليحذره العبد فى طاعته، كما يحذره فى معاصيه، فإن خطر بباله أمر أو دعته نفسه إلى شيء أو تحرك بحـركة فلا يعـجلن دون المعرفة والعلم، وليـرفق بنفسه ويتـرسل بترسل العلماء، ويجـالس الفقهاء العـالمين بالله وبأمره ونهيه، حـتى يدلوه على طريق الله عز وجل، ويعرفوه ذلك ويدلوه على دوائه ودائه على ما قدمناه فى مجلس التوبة.

ولا ينبغى لـه أن يغتر بطول القـيام وكثـرة الصيـام والنوافل الظاهرة بلا معـرفة منه بعمله، فإن كان كـذلك ورأى فعله مع معرفته بنفسه وبربه وبعـدوه صح فعله، فعندما

يورث العلم والفقه، فما كان من علم ظاهر أو باطن نظر إن كان لله خالصًا صادقًا قبله الله منه وأثابه عليه، وإن كان غير ذلك رده عليه فلم يسقط له عند ذلك فعل ولا يخفى عليه أمر، فإذا كان كذلك فقد أعطى كل خلق حسن وصح عقله وثبت عمله وزاد حلمه، وكان من أولياء الله وأصفيائه الذين بالله ينظرون، وبالله يتكلمون، وبه يأخذون، وبه يعطون، ومع ذلك اتهم نفسه واتهم هواه على نفسه ودينه، واتهم إبليس، فحينئذ اتهم مع ذلك معرفته بنفسه على معرفته بها.

(فصل) ولأهل المجاهدة والمحاسبة وأولى العزم عشر خصال جربوها لأنفسهم، فإذا أقاموها وأحكموها بإذن الله تعالى وصلوا إلى المنازل الشريفة:

أولها: ألا يحلف العبد بالله عز وجل صادقًا ولا كاذبًا، عامدًا ولا ساهيًا، لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعود لسانه رفعه ذلك أن يترك الحلف ساهيًا وعامدًا، فإذا اعتاد ذلك فتح الله له بابًا من أنواره يعرف منفعة ذلك فى قلبه، وزيادة فى بدنه، ورفعة فى درجته، وقوة فى عزمه وفى بصره، والثناء عند الإخوان وكرامة عند الجيران حتى يأتمر به من يعرفه ويهابه من يراه.

والثانية: أن يجتنب الكذب هازلاً وجادًا، لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاده لسانه، شرح الله به صدره وصفى به علمه، حتى كان لا يعرف الكذب، وإذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه وعيره به فى نفسه، وإن دعا له بزوال ذلك كان له ثوابًا.

والثالثة: أن يحذر أن يعد أحدًا شيئًا فيخلفه إياه، وهو يقدر عليه إلاَّ من عذر بين، أو يقطع العدة ألبتة، فإنه أقوى لأمره وأقصد لطريقه، لأن الخلف من الكذب، فإذا فعل ذلك فتح له باب السخاء، ودرجة الحياء، وأعطى مودة فى الصادقين، ورفعة عند الله جل ثناؤه.

والرابعة: يجتنب أن يلعن شيئًا من الخلق، أو يؤذى ذرة فما فوقها، لأنها من أخلاق الأبرار والصادقين، وله عاقبة حسنة فى حفظ الله إياه فى الدنيا، مع ما يدخر له عنده من الدرجات، ويستنقذه من مصارع الهلكة ويسلمه من الخلق، ويرزقه رحمة العباد والقرب منه عز وجل.

والخامسة: يجتنب أن يدعو على أحد من الخلق وإن ظلمه، فلا يقطعه بلسانه ولا

يكافئه بفعاله، ويحتمل ذلك لله تبارك وتعالى، ولا يكافئه بقول ولا فعل، فإن هذه الخصال ترفع صاحبها فى الدرجات العلا، إذا تأدب بها ينال منزلة شريفة فى الدنيا والآخرة، والحب والمودة فى قلوب الخلق أجمعين، من قريب وبعيد، وإجابة الدعوة والعلو فى الخير، والعز فى الدنيا فى قلوب المؤمنين.

والسادسة: ألا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفاق، فإنه أقرب للرحمة وأعلى فى الدرجة، وهى تمام السنة وأبعد عن الدخول فى علم الله سبحانه وتعالى، وأبعد من مقت الله عز وجل، وأقرب إلى رضا الله تعالى ورحمته، فإنه باب شريف كريم على الله، يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين.

والسابعة: يجتنب النظر والهم إلى شىء من المعاصى ظاهرًا وباطنًا، ويكف عنها جوارحه، فإن ذلك من أسرع الأعمال ثوابًا للقلب والجوارح فى عاجل الدنيا، مع ما يدخر الله تعالى له من خير الآخرة، نسأل الله تعالى أن يمنّ علينا أجمعين بالعمل بهذه الخصال، وأن يخرج شهواتنا من قلوبنا.

والثامنة: يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة ولا كبيرة، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين، مما احتاج إليه واستغنى عنه، فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقين، وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويكون الخلق عنده أجمعون بمنزلة واحدة فى الحق سواء، فإن كان كذلك نقله الله تعالى إلى الغنى واليقين والثقة به عز وجل، ولا يرفع أحدًا بهواه، ويكون الناس عنده فى الحق سواء، ويقطع بأن هذا الباب عز المؤمنين وشرف المتقين، وهو أقرب باب إلى الإخلاص.

والتاسعة: ينبغى له أن يقطع طمعه من الآدميين لا يطمع نفسه فى شىء مما فى أيديهم، فإنه العز الأكبر، والغنى الخالص، والملك العظيم، والفخر الجليل، واليقين الصادق، والتوكل الشافى الصحيح، وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل، وهو باب من أبواب الزهد، وبه ينال الورع ويكمل نسكه، وهو من علامات المنقطعين إلى الله تبارك وتعالى.

الخصلة العاشرة: التواضع لأن بها يشيد محل العابد وتعلو درجته ويستكمل العز والرفعة عند الله تعالى وعند الخلق، ويقدر على ما يريد من أمر الدنيا والآخرة، وهذه الخصلة أصل الطاعات كلها وفرعها وكمالها، وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين

عن الله تعالى فى الضـراء والسراء، وهى كمال الـتقوى والتواضع، هو ألا يلقى العـبد أحـدًا من الناس إلا رأى له الفضـل عليه، ويقـول عسى أن يـكون عند الله خيـرًا منى وأرفع درجة، فـإن كان صغيـرًا قال: هذا لم يعص الله وأنا قد عصـيت، فلا أشك أنه خير منى، وإن كان كبيرًا قال: هذا عبد الله قبلى، وإن كان عالمًا قال: هذا أعطى ما لم أبلغ ونال مـا لم أنل، وعلم ما جـهلت وهو يعمل بعلـم، وإن كان جاهلاً قـال: هذا عصى الله بجهل، وأنا عـصيته بعلم، ولا أدرى بم يختـم له، وبما يختم لى، وإن كان كافرًا قال: لا أدرى عسى يسلم هذا فيختم له بخـير العمل، وعسى أكفر أنا فيختم لى بشر العمل، وهذا باب الشـفقة والوجل، وأول ما يصحب وآخر ما يبـقى على العباد، فإن كـان العبد كـذلك سلمه الله من الغوائل، وبلـغ به منازل النصيحـة لله عز وجل، وكان من أصفـياء الرحمن وأحبابه، وكان مـن أعداء إبليس عدو الله لعنه الله وهو باب الرحمـة، ومع ذلك يكون قد قطـع طريق الكبر وحـبال العجب، ورفض درجـة العلو وجانب درجة التعزز فى نفسه فى الدين والدنيا والآخرة، وهو ملح العبادة وغاية شرف الزاهدين وسيما الناسكين، فلا شىء أفضل منه ومع ذلك يقطع لسانه عن ذكر العالمين، فلا يتم له عمل إلاَّ به، ويخـرج الغل والبغى والكبر من قلبه فى جمـيع أحواله، وكان لسانه فى السر والعلانية واحدًا ومشيئته فى السر والعلانية واحدًا وكلامه كذلك، والخلق عنده فى النصيحة واحدًا، ولا يكون من الناصـحين وهو يذكر أحدًا من خلق الله بسوء أو يعيره بفعل، أو يحب أن يذكر عنده بـسوء، أو يرتاح قلبه إذا ذكر عنده بسوء، وهذا آفة العـابدين وعطب النساك وهلاك الـزاهدين، إلاَّ من أعانه الله عز وجل عـلى حفظ لسانه وقلبه برحمته.

* * *

(فصل) وأما التوكل:

فالأصل فيـه قوله عز وجل: ﴿ومن يتوكل على الله فهـو حسبه﴾ [الطلاق: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ [المائدة: ٢٣].

وعن عبد الله بن مسعـود رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الأمم بالموسم، فرأيت أمتى قد ملأت السـهل والجبل فأعجبتنى كثرتهم وهيـئتهم، فقيل لى: أرضيت؟ قلت: نـعم، قيل: ومع هؤلاء سبـعون ألفًا يدخلون الجنة بغـير حـساب، لا

يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن الأسدى فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اجعله منهم، فقام آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال ﷺ: سبقك بها عكاشة»[1].

وحقيقة التوكل: تفويض الأمور إلى الله عز وجل، والتنقى عن ظلمات الاختيار والتدبير، والترقى إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير، فيقطع العبد ألا تبديل للقسمة، فما قسم له لا يفوته، وما لم يقدر له لا يناله، فيسكن قلبه إلى ذلك، ويطمئن إلى وعد مولاه، فيأخذ من مولاه.

والتوكل ثلاث درجات: وهى التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعد ربه، وصاحب التسليم يكتفى بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه.

وقيل: التوكل بداية، والتسليم وسط، والتفويض نهاية.

وقيل: التوكل صفة المؤمنين، والتسليم صفة الأولياء، والتفويض صفة الموحدين.

وقيل: التوكل صفة العوام، والتسليم صفة الخواص، والتفويض صفة خاص الخاص.

وقيل: التوكل صفة الأنبياء، والتسليم صفة إبراهيم، والتفويض صفة نبيّنا صلوات الله عليهم أجمعين.

فالتوكل على كمال الحقيقة وقع لإبراهيم الخليل عليه السلام فى الوقت الذى قال لجبريل عليه السلام: أما إليك فلا، لأنه غابت نفسه حتى لم يبق لها أثر، فلم ير مع الله تعالى غير الله عز وجل.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى: أول مقام فى التوكل أن يكون العبد بين يدى الله عز وجل كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف أراد، لا يكون له حركة ولا تدبير، فالمتوكل على الله سبحانه وتعالى يكون لا يسأل ولا يريد ولا يرد ولا يحبس.

وقال أيضًا: التوكل هو الاسترسال.

وقال حمدون رحمه الله تعالى: هو الاعتصام بالله عز وجل.

(١) البخارى ٧/ ١٧٤، ومسلم فى. الإيمان: حديث (٣٦٧)، وأحمد ١/ ٢٧١.

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى: حقيقة التوكل إسقاط الخوف والرجاء مما سوى الله عز وجل.

وقيل: التوكل رد العيش إلى يوم واحد، وإسقاط هم غد.

وقال أبو على الروذبارى رحمه الله تعالى: مراعاة التوكل ثلاث درجات:

الأولى منها: إذا أعطى شكر، وإذا منع صبر.

والثانية: أن يكون العبد المنع والعطاء عنده واحد.

والثالثة: المنع مع الشكر أحب إليه لعلمه باختيار الله تعالى له ذلك.

وروى عن جعفر الخلدى قال: قال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى: كنت فى طريق مكة، فرأيت شخصًا وحشيًا، فجئت إليه فقلت: أجنى أم إنسى، فقال: بل جنى، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى مكة، فقلت له: بلا زاد ولا راحلة؟ قال: نعم. فينا أيضًا من يسافر على التوكل، فقلت له: ما التوكل؟ قال: الأخذ من الله.

وقال سهل رحمه الله تعالى: هو معرفة معطى أرزاق المخلوقين، ولا يصح لأحد التوكل حتى يكون عنده السماء كالصفر والأرض كالحديد، لا ينزل من السماء مطر، ولا يخرج من الأرض نبات، ويعلم أن الله لا ينسى له ما ضمن له من رزقه بين هذين.

وقيل: هو ألا تعصى الله تعالى من أجل رزقك.

وقال بعضهم: حسبك من التوكل ألا تطلب لنفسك ناصرًا غير الله تعالى، ولا لرزقك خازنًا غيره، ولا لعملك شاهدًا غيره.

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: التوكل أن تقبل بالكلية على ربك وتعرض عمن دونه.

وقال النورى رحمه الله تعالى: هو أن تفنى تدبيرك فى تدبيره، وترضى بالله وكيلاً ومدبرًا ونصيرًا. قال الله تعالى: ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ [النساء: ٨١].

وقيل: هو اكتفاء العبد الذليل بالرب الجليل، كاكتفاء الخليل بالجليل حين لم ينظر إلى عناية جبريل عليه السلام.

وقيل: هو السكون عن الحركات اعتمادًا على خالق الأرض والسموات.

وقيل لبهلول المجنون رحمه الله تعالى: متى يكون العبد متوكلاً؟ قال: إذا كان بالنفس غريبًا بين الخلق، وبالقلب قريبًا إلى الحق.

وقيل لحاتم الأصم رحمه الله تعالى: علام بنيت أمرك هذا من التوكل؟ قال: على

أربع خلال: علمت أن رزقى ليس يأكله غيرى فلست اشتغل به، وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتى بغتة فأبادره، وعلمت أنى بعين الله تعالى فى كل حال فأنا مستح منه.

وعن أبى موسى الدبيلى قال: سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال لى: لو أدخلت يدك فى فم التنين حتى تبلغ إلى الرسغ لم تخف مع الله شيئًا، فقال أبو موسى رحمه الله تعالى: فخرجت إلى أبى يزيد البسطامى رحمه الله تعالى أسأله عن التوكل فدخلت بسطام ودققت عليه الباب فقال لى: يا أبا موسى ما كان لك فى جواب عبد الرحمن من القناعة حتى تجيء وتسألنى؟ فقلت: يا سيدى افتح الباب، فقال: لو زرتنى لفتحت لك الباب، خذ الجواب من الباب، فانصرفت، فلو أن الحية التى هى مطوقة بالعرش همت بك لم تخف مع الله شيئًا، قال أبو موسى رحمه الله تعالى: فانصرفت حتى جئت إلى دبيل، فأقمت بها سنة، ثم اعتقدت الزيارة، فخرجت إلى أبى يزيد، فقال لى: الآن جئتنى زائرًا مرحبًا بالزائر ادخل، فأقمت عنده شهرًا لا يقع لى شيء إلا أخبرنى به قبل أن أسأله، فقلت له: يا أبا يزيد أخرج وأريد فائدة منك فقال: اعلم أن فائدة المخلوقين ليست بفائدة، فانصرف، فجعلتها فائدة وانصرفت.

وعن ابن طاوس اليمانى رحمه الله تعالى عن أبيه طاوس رحمه الله تعالى قال: إن أعرابيًا جاء براحلة له فأبركها وعقلها، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم إن هذه الراحلة وما عليها فى ضمانك، حتى أخرج إليها ومضى، فخرج الأعرابى من المسجد الحرام، وقد أخذت الراحلة وما عليها، فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم ما سرق منى شيء وما سرق إلاَّ منك.

قال طاوس: فبينما نحن كذلك مع الأعرابى إذ رأينا رجلاً نازلاً من رأس جبل أبى قبيس يقود الراحلة بيده اليسرى، ويمينه مقطوعة معلقة فى عنقه، حتى جاء إلى الأعرابى فقال: خذ راحلتك وما عليها، فسألته عن حاله، فقال: استقبلنى فارس على فرس أشهب فى رأس أبى قبيس، فقالى لى: يا سارق مد يدك، قال: فمددتها فوضعها على حجر ثم أخذ آخر فبتلها وعلقها فى عنقى، وقال: انزل ورد الراحلة وما عليها إلى الأعرابى.

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو توكلتم

على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا»(١).

وروى محمد بن كعب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه مما فى يديه»(٢).

وكان عمر رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين:

هون عليك فإن الأمور ... بأمر الإله مقاديرها

فليس بآتيك مصرفوها ... ولا عازب عنك مقدورها

وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضى بالله وكيلاً.

وقال بشر رحمه الله تعالى: يقول أحدهم: توكلت على الله يكذب، والله فإنه لو توكل على الله رضى بما يفعل به.

وقال أبو تراب النخشبى رحمه الله تعالى: هو طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطى شكر، وإن منع صبر.

وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى: التوكل: ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة.

وقال ذو النون رحمه الله تعالى أيضًا لرجل سأله عن التوكل فقال: هو خلع الأرباب، وقطع الأسباب، فقال له السائل: زدنى، فقال: إلقاء النفس فى العبودية وإخراجها من الربوبية.

وقال أيضًا: هو انقطاع المطامع.

وأما الحركة بالظاهر التى هى الكسب بالسنة فلا تنافى توكل القلب بعدما يتحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى فى قلبه، لأن محل التوكل القلب، وهو تحقيق الإيمان، فمن أنكر الكسب فقد أنكر السنة، ومن أنكر التوكل فقد أنكر الإيمان، فإن تعسر شىء من الأسباب فبتقدير الله عز وجل، وإن تيسر شىء منها فبتيسيره عز وجل، فتكون جوارحه وظواهره متحركة فى السبب بأمر الله عز وجل ، وباطنه ساكن لوعد

(١) أحمد ١/ ٣٠، وابن المبارك (١٩٦)، والصحيحة (٣١٠).

(٢) ابن عدى ٧/ ٢٥٦٥، وكشف الخفاء ١/ ٣٧٣.

الله عز وجل.

وقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: «جاء رجل على ناقة له فقال: يا رسول الله أدعها وأتوكل؟ فقال ﷺ: اعقلها وتوكل»(١).

وقيل: المتوكل كالطفل لا يعرف شيئًا يأوى إليه إلاَّ ثدى أمه، كذلك المتوكل لا يهتدى إلا إلى ربه عز وجل.

وقيل: التوكل نفى الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك.

وقيل: التوكل الثقة بما فى يد الله عز وجل، واليأس مما فى أيدى الناس.

وقيل: التوكل إفراغ السر عن التفكر للتقاضى فى طلب الرزق.

* * *

(فصل) وأما حسن الخلق:

فالأصل فيه قول الله عز وجل لنبيه ﷺ فى كتابه المنزل عليه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم:٤].

وما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: «قيل: يا رسول الله أى المؤمنين أفضل إيمانًا؟ قال ﷺ: أحسنهم خلقًا»(٢).

الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه تظهر جواهر الرجال، والإنسان مستور بخلقه مشهور بخلقه.

وقيل: إن الله عز وجل خص نبيه ورسوله محمدًا ﷺ بما خص به من المعجزات والكرامات والفضائل، ثم لم يثن عليه بشىء من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلقه، فقال عز من قائل: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم:٤].

وقيل إنما وصفه الله تعالى بالخلق العظيم لأنه جاد بالكونين، واكتفى بالله عز وجل.

وقيل: الخلق العظيم: أن لا يخاصِم ولا يخاصَم من شدة معرفته بالله تعالى.

وقيل: معناه لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق.

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى: هو ألا تكون له همة غير الله عز وجل.

(١) الحلية ٨/ ٣٩٠، والإتحاف ٩/ ٥٧، وكنز العمال (٥٦٨٧).

(٢) الإتحاف ٧/ ٣٢٠، والكنز (٧٠٣)، والدر المنثور ٢/ ٧٦، والجامع الصغير ١/ ٤٢ وعزاه إلى «ابن ماجه والحاكم» من حديث ابن عمر، وصححه.

وقال الجنيد رحمــه الله تعالى: سمعت الحارث المحاسبى يقول: فـقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء مع الوفاء.

وقيل: الخلق الحسن استصغار ما منك، واستعظام ما لك.

وقيل: علامة حسن الخلق كف الأذى، واحتمال المؤن.

وقال النبى ﷺ لأصحابه رضى الله عنهم: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق»(١).

وحسن الخلق مع الله عز وجل أن تؤدى أوامره، وتترك نواهيه، وتطيعه فى الأحوال كلها من غير اعتقـاد استحقاق العوض عليه، وتسلم جميع المقـدور إليه من غير تهمة، وتوحده من غير شرك، وتصدقه فى وعده من غير شك.

وقيـل لذى النون المصرى رحـمه الله تعـالى: من أكثـر الناس همًّا؟ قال: أسـوأهم خلقًا.

وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى فى قوله عز وجل: ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر: ٤] أى خلقك فحسن.

وقـيل فى قوله تعـالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمـه ظاهرة وباطنة﴾ [لقمان: ٢٠] قيل: الظاهرة: تسوية الخلق، والباطنة: تصفية الخلق.

وقيل لإبراهيم بن أدهم رحـمه الله تعالى: هل فرحت فى الدنيـا قط؟ فقال: نعم، مرتين، إحـداهما: كنت قاعداً ذات يوم فـجاء كلب وبال على، والثانية: كنـت قاعداً فجاء إنسان وصفعنى.

وقيل: كان أويس القرنى رحمه الله تعالى إذا رآه الصبـيان يرمونه بالحجارة، فيقول: إن كان لابد فارمونى بالصغار لئلا تدموا ساقى وتمنعونى عن الصلاة.

وقيل: شـتم رجل الأحنف بن قيس رحمـه الله تعالى وكان يتـبعه، فلمـا قرب من الحى وقف وقال: يا فتى إن كـان بقى فى قلبك شىء فقله كيلا يسمعك بـعض سفهاء الحى فيجيبوك.

وقيل لحاتم الأصم رحـمه الله تعالى: يحتمل الـرجل من كل أحد، قال: نعم، إلاَّ

(١) الإتحاف ٦/ ٢٢٠، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٢، وعزاه إلى «أبى يعلى» و «البزار» من طريق عبد الله ابن سعيد المقبرى، وهو ضعيف.

من نفسه.

وروى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه دعا غلامًا له فلم يجبه، فدعاه ثانيًا وثالثًا فلم يجبه، فقام إليه فرآه مضطجعًا، فقال: أما تسمع يا غلام؟ قال: نعم، قال: ما حملك على ترك جوابى؟ قال: أمنت عقوبتك فتكاسلت، قال: امض فأنت حر لوجه الله عز وجل.

وقيل: الخلق الحسن أن تكون من الناس قريبًا وفيما بينهم غريبًا.

وقيل: الخلق الحسن قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق.

وقيل: مكتوب فى الإنجيل: عبدى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب.

وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى: يا مرائى، فقال: يا هذه قد وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة.

وقال لقمان لابنه: يا بنى لا تعرف ثلاثًا إلا عند ثلاث: الحليم عند الغضب، والشجاع فى الحرب، والأخ عند الحاجة إليه.

وقال موسى عليه السلام: يا إلهى أسألك ألا يقال لى ما ليس فى، فأوحى الله تعالى إليه: ما فعلت ذلك لنفسى، فكيف أفعله لك؟

* * *

(فصل) وأما الشكر:

فالأصل فيه قوله عز وجل: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ [إبراهيم:٧] وما روى عن عطاء رحمه الله تعالى قال: «دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ، فبكت ثم قالت: وأى شىء من شأنه لم يكن عجبًا؟ إنه أتانى فى ليلة فدخل معى فى فراشى، أو قالت: فى لحافى: حتى مسّ جلدى جلده، ثم قال: يا بنت أبى بكر ذرينى أتعبد لربى، قالت: فقلت: إنى أحب قربك، ولكنى أؤثر هواك، فأذنت له ﷺ فقام إلى قربة من ماء، فتوضأ وأكثر صب الماء، ثم قام فصلى، فبكى حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل ﷺ كذلك حتى جاء بلال رضى الله عنه فأخبره بالصلاة، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال ﷺ:

أفلا أكـون عبـدًا شكورًا؟ ولم لا أفعل، وقد أنزل الله عـز وجل علىَّ: ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾ [البقرة: ١٦٤]»[1].

وحقـيقة الشكر عند أهل التحـقيق: الاعتـراف بنعمة المنعم على وجه الخـصوص، وعلى هذا المعنى وصف الله تعـالى نفسه بأنه الشكور توسـعًا، معناه أنه يجازى العـباد على الشكر، فـسمى جزاء الشكر شكرًا، كـما قـال الله عزوجل: ﴿وجزاء سيئـة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠].

وقيل: حقيـقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فـشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسـانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليـه بذكر إحسانه له، ثم إن إحسان العـبد طاعته لله، وإحسان الحق سـبحانه إنعامه على العبـد، وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب.

ثم الشكر ينقسم أقسامًا إلى:

شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة.

وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاء والخدمة.

وشكر بالقلب وهو انعكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة.

وقيل: شكر العينين أن تستر عيبًا تراه لصاحبك، وشكر الأذنين أن تستر عيبًا تسمعه فيه.

وفى الجملة الشكر ألا تعصى الله تعالى بنعمه.

ويقال: شكر هو شكر العالمين فيكون من جملة أقوالهم، وشكر هو شكر العابدين، فيكون نوعًا من أفعالهم، وشكر هو شكر العارفين، يكون بـاستقامتهم له عز وجل فى عموم أحـوالهم، واعتقادهم أن جميع مـا هم فيه من الخير ومـا يظهر منهم من الطاعة والعبودية والذكر له عز وجل بتوفيقـه وإنعامه وعونه وحوله وقوته عز وجل، وانعزالهم عن جميع ذلك والفناء فيه، والاعتراف بالعجز والقصور والجهل، ثم الاستكانة إليه عز وجل فى جميع الأحوال.

وقال أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى: شكر النعمة مشاهدة المنّة وحفظ الحرمة.

(١) سبق تخريجه.

وقيل: شكر النعمة أن ترى نفسك فيه طفيليًا.

وقال أبو عثمان رحمه الله تعالى: الشكر معرفة العجز عن الشكر.

وقيل: الشكر على الشكر أتم من الشكر، وذلك أن ترى شكرك بتوفيقه، ويكون ذلك التوفيق من أجل النعم عليك فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر إلى ما لا يتناهى.

وقيل: الشكر إضافة النعم إلى مولاها بنعت الاستكانة له.

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: الشكر ألا ترى نفسك أهلاً للنعمة.

وقيل: الشاكر الذى يشكر على الموجود، والشكور الذى يشكر على المفقود.

ويقال: الشاكر الذى يشكر على النفع، والشكور الذى يشكر على المنع.

ويقال: الشاكر الذى يشكر على العطاء، والشكور الذى يشكر على البلاء.

ويقال: الشاكر الذى يشكر عند البذل، والشكور الذى يشكر عند المطل.

وقال الشبلى رحمه الله تعالى: الشكر رؤية النعم لا رؤية النعمة.

وقيل: الشكر قيد الموجود وصيد المفقود.

وقال أبو عثمان رحمه الله تعالى: شكر العامة على المطعم والمشرب والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعانى قال الله عز وجل: ﴿**وقليل من عبادى الشكور**﴾ [سبأ.١٣].

وقال داود عليه السلام: إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من نعمك؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: الآن قد شكرتنى.

وقيل: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر.

وقيل: لما بشر إدريس عليه السلام بالمغفرة سأل الحياة، فقيل له: لم ؟ فقال: لأشكره، فإنى كنت أعمل قبله للمغفرة، فبسط الملك جناحه وحمله إلى السماء.

وقيل: مر بعض الأنبياء عليه السلام بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير، فتعجب منه، فأنطقه الله له، فسأله عن ذلك، فقال: منذ سمعت الله عز وجل يقول: ﴿**ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾ [مريم.٦] فأنا أبكى من خوفه، فدعا ذلك النبى عليه السلام أن يجبر ذلك الحجر من النار، فأوحى الله عز وجل إليه، إنى قد أجرته من النار، فمر ذلك النبى، فلما عاد وجد الماء يتفجر منه أوفر مما كان قبل ذلك، فعجب، فأنطق الله

تعالى الحجر له، فقال له: لِمَ تبكى وقد غفر الله لك؟ فقال: ذلك كان بكاء الحزن والخوف، وهذا بكاء الشكر والسرور.

وقيل: الشاكر مع المزيد، لأنه فى شهود النعمة، قال الله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم:٧] والصابر مع الله لائذ به تعالى لأنه فى شهود المبلى، قال الله تعالى: ﴿إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة:١٥٣، والأنفال:٤٦].

وقيل: الحمد على الأنفاس، والشكر على نعم الحواس.

وقيل فى الخبر الصحيح: «أول من يدعى إلى الجنة الحمادون لله على ما صنع»[(١)].

وحكى عن بعضهم أنه قال: رأيت فى بعض الأسفار شيخًا كبيراً قد طعن فى السن، فسألته عن حاله، فقال: إنى كنت فى ابتداء عمرى أهوى ابنة عم لى، وهى كذلك كانت تهوانى، فاتفق أنى تزوجت بها، فليلة زفافها قلت لها: تعالى حتى نحيى هذه الليلة شكراً لله عز وجل على ما جمعنا، فصلينا تلك الليلة ولم يفرغ أحدنا إلى الآخر، فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك، فمنذ سبعين سنة أو ثمانين سنة ونحن على تلك الحالة كل ليلة، أليس كذلك يا فلانة؟ فقالت العجوز: هو كما قال الشيخ.

* * *

(فصل) وأما الصبر:

فالأصل فيه قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وقوله عز وجل: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النمل:١٢٧].

وما روى عن عائشة رضى الله عنها، عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الصبر عند الصدمة الأولى»[(٢)].

وما روى «أن رجلاً قال: يا رسول الله ذهب مالى وسقم جسمى، فقال النبى ﷺ: لا خير فى عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه، إن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه، وإذا ابتلاه صبره»[(٣)].

(١) الحاكم ١/٥٠٢، والمعجم الصغير ١/١٠٣، والضعيفة (٦٣٢).

(٢) البخارى ٢/١٠٠، وأبو داود فى: الجنائز: ب (٢٧)، وابن ماجه (١٥٩٦).

(٣) الإتحاف ٩/١٤٢، والمغنى عن حمل الأسفار ٤/١٢٨ وضعفه.

وما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله عز وجل لا يبلغها بعمله حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك»(١).

وما جاء فى الخبر «أنه لما نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ [النساء: ١٢٣] قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذه الآية؟ فقال النبى ﷺ: غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض؟ أليس يصيبك البلاء؟ أليس تصبر؟ أليس تحزن؟ فهذا ما تجزون به»(٢).

يعنى أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك.

فالصبر على ثلاثة أضرب:

أحدها: صبر لله عز وجل، وهو على أداء أمره وانتهاء نهيه.

وصبر مع الله عز وجل، وهو الصبر تحت جريان قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا.

وصبر على الله عز وجل، وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية والنصر والثواب فى دار الآخرة.

وقيل: الصبر على قسمين:

أحدهما: صبر على ما هو كسب للعبد، وصبر على ما ليس بكسب له.

فالصبر على الكسب ينقسم على قسمين، أحدهما: على ما أمر الله به عز وجل، والثانى: على ما نهاه عز وجل عنه.

وأما الصبر على ما ليس بكسب للعبد: فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله وقضائه فيما له فيه مشقة وألم فى القلب والجسد.

وقيل: الصابرون ثلاثة: متصبر، وصابر، وصبار.

وقيل: وقف رجل على الشبلى رحمه الله تعالى فقال له: أى الصبر أشد على الصابرين؟ قال: الصبر فى الله، فقال: لا، فقال: الصبر لله، قال: لا، قال: الصبر مع الله، قال: لا، قال: فأيش؟ قال: الصبر على الله، فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه تتلف.

---

(١) الإتحاف ٩/ ١٤٢، والمغنى عن حمل الأسفار ٤/ ٣٢٨.

(٢) أحمد ١/ ١١، والبيهقى ٣/ ٣٧٣، والحاكم ٣/ ٧٤ وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبى.

وقال الجنيد رحـمه الله تعالى: السير من الدنيـا إلى الآخرة سهم هين على المؤمن، وهجران الخلق فى جنب الحق شديد، والسير من النفس إلى الله صعب شديد، والصبر مع الله أشد.

وسئل رحمه الله تعالى عن الصبر؟ فقال: تجرع المرارة من غير تعبيس.

وقـال على بن أبى طـالب رضى الله عنه: «الصبـر من الإيمـان بمـنزلة الرأس من الجسد»، وقيل ذلك عن النبى ﷺ[1].

وقال ذو النون المصـرى رحمه الله تعالى: الصبـر التباعد عن المخـالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة.

وقيل: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الفناء فى البلوى بلا ظهور شكوى.

وقيل: الصبر هو المقام مع البلاء بحسن الصحبة، كالمقام مع العافية.

وقيل: أحسن الجزاء على العبادة الجزاء على الصـبر ولا جزاء فوقه، قال الله تعالى: **﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** [النحل.٩٦]، وقال عز وجل: **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** [المزمر ١٠].

وقيل : الصبر هو الثبات مع الله عز وجل، وتلقى أذية بلائه بالرحب والدعة.

وقال الخـواص رحمه الله تعـالى: الصبر الثـبات مع الله تعالى عـلى أحكام الكتاب والسنة.

وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى: صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين، واعجبًا كيف يصبرون؟ وأنشد:

الصبر يحمل فى المواطن كلها   إلا عليـك فإنه لا يحمـل

وقيل: الصبر ترك الشكوى.

وقيل : هو الاستكانة والاستعاذة بالله عز وجل.

وقيل: الصبر كاسمه.

وقيل: الصبر هو ألا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما، والتصبر

(١) الكنز (٦٥٠١)، والتذكرة (١٨٩).

هو السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة.

* * *

(فصل) وأما الرضا:

فالأصل فيه قول الله عز وجل: ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩، والتوبة: ١٠٠، والمجادلة: ٢٢، والبينة: ٨].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان﴾ [التوبة: ٢١] الآية.

وروى عن ابن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله عز وجل ربًا»[1].

وقيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما: أما بعد، فإن الخير كله فى الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر.

وروى عن قتادة رحمه الله تعالى فى قوله عز وجل: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا﴾ [النحل: ٥٨]، هذا صنيع مشركى العرب، أخبرنا الله عز وجل بخبيث صنيعهم. فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له، وقضاء الله عز وجل خير من قضاء المرء لنفسه، وما قضاء الله لك يا ابن آدم فيما تكره خير لك مما قضى الله عز وجل لك فيما تحب، فاتق الله تعالى وارض بقضائه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة: ٢١٦].

يعنى ما فيه صلاح دينكم ودنياكم، فالله عز وجل طوى عن الخلق مصالحهم وكلفهم عبوديته من أداء الأوامر وانتهاء المناهى، والتسليم فى المقدور والرضا بالقضاء فيما لهم وعليهم فى الجملة، واستأثر هو عز وجل بالعواقب والمصالح، فينبغى للعبد أن يديم الطاعة لمولاه، ويرضى بما قسم الله له ولا يتهمه.

واعلم أن تعب كل واحد من الخلق على قدر منازعته المقدور للقدر، وموافقته لهواه وترك رضاه بالقضاء، فكل من رضى بالقضاء استراح، وكل من لم يرض به طالت شقاوته وتعبه ولا ينال من الدنيا إلا ما قسم له، فما دام هواه متبعًا قاضيًا عليه فهو غير راض بالقضاء، لأن الهوى منازع للحق عز وجل، فتعبه متكاثف متزايد، فاستجلاب

(١) مسلم فى: الإيمان: حديث (٥٦)، والترمذى (٢٦٢٣)، وأحمد ١/٢٠٨.

الراحة فى مخالفة الهوى، لأن فيه الرضـا بالقضاء بلا بد، واستجلاب التعب والنصب فى موافقة الهوى، لأن فيه منازعة الحق عز وجل بلا بد، فلا كان الهوى، وإذا كان فلا كنا.

واختلف أهل العلم والطريقة فى الرضا هل هو من الأحوال أو من المقامات؟

فقال أهل العراق: هو من جملة الأحـوال، وليس هو كسبًا للعبد، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال ثم تحول وتزول ويأتى غيرها.

وقال الخراسانيون: الرضا من جملة المقامات، وهو نهاية التوكل يعنى يؤول إلى غاية ما يتوصل إليه العبد باكتسابه.

والجمع بينهما ممكن بأن يقال: بداية الرضا مكتسبة للعبد وهى من المقامات، ونهايته من جملة الأحوال وهى ليست بمكتسبة.

وفى الجملة الراضى هو الذى لا يعترض على تقدير الله عز وجل.

وقال أبو على الدقاق رحمه الله تعـالى: ليس الرضا ألا تحس بالبلاء، إنما الرضا ألا تعترض على الحكم والقضاء.

وقد قالت المشائخ رحمهم الله تعـالى: الرضا بالقضاء باب الله الأعظم وجنة الدنيا: أى من أكرم بالرضا فقد لقى بالرحب الأوفى، وأكرم بالقرب الأعلى.

وقيل إن تلميذًا قال لأستاذه: هل يعرف العبد أن الله تبارك وتعالى راضٍ عنه؟ قال: لا، كيف يعلم ذلك، ورضاه غيب، فقال التلمـيذ: يعلم ذلك. فقال: كيف؟ قال: إذا وجدت قلبى راضيًا عن الله تعالى علمت أنه راض عنى، فقال الأستاذ: لقد أحسنت يا غلام، ولا يرضى العبد عن الله حـتى يرضى الحق جل جلاله عنه، قال الله عز وجل: ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩، والتوبة: ١٠٠، والمجادلة:٢٢، والبينة:٨] أى برضاه عنهم رضوا عنه.

وقيل: سأل موسى عليه السلام ربه عـز وجل فقال: إلهى دلنى على عمل إذا عملته رضيت عنى فـقال: إنك لا تطيق ذلك، فخـر موسى عليه السـلام ساجدًا متـضرعًا، فأوحى الله عز وجل إليه يا ابن عمران إن رضائى فى رضاك بقضائى.

وقيل: من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله عز وجل رضاه فيه.

وقيل: الرضا على قسمين: رضا به، ورضا عنه، فالرضا به مدبر، والرضا عنه فيما

يقتضى حاكمًا وفاصلاً.

وقيل: الراضى أن لو جعلت جهنم عن يمينه ما سأل أن يحولها إلى يساره.

وقيل: الرضا إخراج الكراهية من القلب حتى لا يبقى إلا فرح وسرور.

وسئلت رابعة العدوية رحمها الله تعالى متى يكون العبد راضيًا بالقضاء؟ فقالت رحمها الله تعالى: إذا سر بالمصيبة كما يسر بالنعمة.

وقيل: قال الشبلى رحمه الله تعالى بين يدى الجنيد رحمه الله تعالى: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال الجنيد رحمه الله: قولك ذا لضيق صدر، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء.

وقال أبو سليمان رحمه الله تعالى: الرضا ألا تسأل الجنة من الله ولا تستعيذ به من النار.

وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى: ثلاثة من علامات الرضا: ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان الحب فى حشو البلاء.

وقال أيضًا رحمه الله تعالى: هو سرور القلب بمر القضاء.

وسئل أبو عثمان رحمه الله تعالى عن قول النبى ﷺ: «أسألك الرضا بعد القضاء»(١) قال: لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا، والرضا بعد القضاء هو الرضا.

وروى أنه قيل للحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما: إن أبا ذر رضى الله عنه يقول: الفقر أحب إلى من الغنى، والسقم أحب إلى من الصحة، والموت أحب إلى من الحياة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير ما اختار الله له.

وقال الفضيل بن عياض لبشر الحافى رحمهما الله تعالى: الرضا أفضل من الزهد فى الدنيا؛ لأن الراضى لا يتمنى فوق منزلته، والذى قال الفضيل هو الصحيح، لأن فيه الرضا بالحال، وكل خير فى الرضا بالحال، قال الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ [الأعراف: ١٤٤] أى ارض بما أعطيتك، ولا تطلب منزلة غيره، وكن من الشاكرين: يعنى بحفظ الحال.

---

(١) أحمد ٥/ ١٩١.

وكذلك لنبينا محمد ﷺ: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ [طه:١٣١] فأدّب نبيه عليه الصلاة والسلام وأمره بحفظ الحال والرضا بالقضاء والعطاء بقوله تعالى: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ [طه:١٣١] أى ما أعطيتك من النبوة والعلم والقناعة والصبر وولاية الدين والقدوة فيه أولى مما أعطيت غيرك وأحرى، فالخير كله فى حفظ الحال والرضا به، وترك الالتفات إلى ما سواه، لأنه لا يخلو إما أن يكون ذلك قسمك أو قسم غيرك، أو أنه لا قسم لأحد، بل أوجده الله تعالى فتنة.

فإن كان قسمك فهو واصل إليك شئت أم أبيت، فلا ينبغى أن يظهر منك سوء الأدب والشره فى طلبه، فإن ذلك غير محمود فى قضية العقل والعلم.

وإن كان قسم غيرك فلا تتعب فيما لا تناله ولا يصل إليك أبدًا.

وإن كان ليس بقسم لأحد بل هو فتنة، فكيف يرضى العاقل ويستحسن اللبيب أن يطلب لنفسه فتنة ويستجلبها.

وقال قوم: الرضا بالقضاء هو أن يستوى عندك ما تحب وما تكره من قضائه عز وجل.

وقال بعضهم: هو الصبر على مر القضاء.

وقال آخر: هو طرح الكف بين يدى الله عز وجل والتسليم لأحكامه.

وقال آخر: هو إسقاط التخيير على المدبر.

وقال آخر: هو ترك الاختيار.

وقال بعضهم: أهل الرضا هم الذين قطعوا عن قلوبهم فى الأصل الاختيار، فهم لا يختارون شيئًا من الأشياء مما تريد أنفسهم، ولا شيئًا مما يريدون به الله، ولا يسألونه ولا يطالعون حكمًا قبل نزوله، فإذا وقع حكم من الله حيث لا يتشوقون إليه ولم يطالعوه، رضوا به فأحبوه وسروا به.

وقال: إن لله عبادًا إذا وقع بهم الحكم من البلوى رأوه نعمة من الله عليهم، فشكروه عليها وسرّوا بها، ثم رأوا بعد سرورهم بالنعم أن اشتغالهم بالنعمة عن المنعم نقص، فاشتغلت قلوبهم بالمنعم عن النعم فكان البلاء جاريًا عليهم وقلوبهم غائبة عنه، فلما استوطنوا هذا المقام وداوموا عليه نقلهم مولاهم إلى ما هو أعلى لهم وأسمى من ذلك، لأن مواهبه عز وجل لا غاية لها ولا نهاية.

وأقل ما فى الرضا بالقضاء أن ينقطع طمعه عما سوى الله عز وجل، وقد ذم الله عز وجل الطمع فى غيره عز وجل، فروى عن يحيى بن كثير أنه قال: قرأت التوراة فرأيت فيها أن الله سبحانه وتعالى يقول: ملعون من كان ثقته بمخلوق مثله.

وروى فى بعض الأخبار أن الله سبحانه يقول: وعزتى وجلالى وجودى ومجدى لأقطعن أمل كل مؤمل آمل غيرى باليأس، ولألبسنه ثوب المذلة بين الناس، ولأبعدنه من قربى، ولأقطعنه من وصلى، أيؤمل غيرى فى الشدائد والشدائد بيدى وأنا الحى، ويرجى غيرى ويطرق بالفكر أبواب غيرى وهى مغلقة ومفاتيحها بيدى.

وروى فى خبر آخر أن الله عز وجل يقول: ما من عبد يعتصم بى دون خلقى، أعلم ذلك من قلبه ونيته، فتكيده السموات والأرض ومن فيهن، إلا جعلت له من ذلك مخرجًا، وما من عبد يعتصم بمخلوق دونى، إلا قطعت أسباب السماء من فوقه، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم أهلكه فى الدنيا وأتعبه فيها.

وروى عن بعض الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعزز بالناس ذل»[1].

وقيل: من اتكل على مخلوق مثله ذل، فكفاه الطمع بما يناله من اطلاع قلبه، وتشتت همه وذله ومسكنته، فقد اجتمع عليه أمران: ذل فى الدنيا، وبعد من الله عز وجل بلا ازدياد فى رزقه ذرة واحدة.

وقال بعضهم: لا أعرف شيئًا أضر على المريدين والطالبين من الطمع، ولا أخرب لقلوبهم ولا أذل لهم ولا أظلم لقلوبهم ولا أبعد لهم ولا أشد تشتيتًا لهمهم من الطمع، إنما كان ذلك كذلك لأنه أشرك بالله عز وجل حيث طمع فى مخلوق مثله لا يملك ضرًا ولا نفعًا ولا عطاء ولا منعًا، فجعل ملك الملك لمملوكه، فأنى يكون له ورع، فلا يتحقق ورعه حتى ينسب الأشياء إلى مالكها عز وجل، فيطلبها منه ولا يطلبها من غيره.

وقيل: الطمع له أصل وفرع، فأصله الغفلة وفرعه الرياء والسمعة والتزين والتصنع وحب إقامة الجاه عند الناس.

وقال عيسى عليه السلام للحواريين: الطمع القتول الموجى.

(١) المغنى عن حمل الأسفار ٤/ ٢٥٤.

وعن بعضهم أنه قال: طمعت يومًا مرة فى شىء من أمر الدنيا، فهتف بى هاتف وهو يقول: يا هذا إنه لا يحمد بالحر المريد إذا كان يجد عند الله كل ما يريد أن يركن بقلبه إلى العبيد.

واعلم أن لله عبادًا يخفى عليهم الطمع فيمن يملك لهم ما فيه يطمعون حتى تكون الأشياء داخلة عليهم من حيث لا يطمعون، ويرون أن حالة الطمع نقص فى الأحوال، وهو أدنى درجة من درجات العارفين من أهل التوكل، ولا يخطر على قلب مريد شىء من الطمع ويساكنه، إلا لأجل كمال البعد من الله عز وجل، حيث طمع فى مخلوق مثله، وهو يرى أن مولاه مطلع عليه، ثم لم يحجزه الخوف من ذلك.

* * *

(فصل) وأما الصدق:

فالأصل فيه قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾** [التوبة:١١٩].

وما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقًا، ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»(١).

وقيل: إن الله أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود من صدقنى فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته.

واعلم أن الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، وهو ثانى درجة النبوة، وهو قوله عز وجل: **﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين﴾** [النساء:٦٩].

والصادق هو الاسم اللازم من الصدق، والصدّيق هو المبالغة منه، وهو من تكرر منه الصدق فصار دأبه وسجيته، وصار الصدق غالبه، فالصدق استواء السر والعلانية، فالصادق هو الذى صدق فى أقواله، والصديق من صدق فى أقواله وجميع أفعاله وأحواله.

---

(١) البخارى ٨/ ٣٠، ومسلم فى: البر والصلة: حديث (١٠٣:١٠٥)، وأحمد ١/ ٣٨٤.

وقيل: من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق، فإن الله مع الصادقين.

وقال الجنيـد رحمه الله تعالى: الصـادق ينقلب فى اليوم أربعين مـرة، والمرئى يثبت على حالة واحدة أربعين سنة.

وقيل: الصدق هو القول بالحق فى مواطن الهلكة.

وقيل: الصدق موافقة السر بالنطق.

وقيل: الصدق منع الحرام من الشدق.

وقيل: الصدق الوفاء لله بالعمل.

وقال سهل بن عبد الله: لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره.

وقال أبو سعيد القرشى رحمه الله تعالى: الصادق الذى يتهيأ أن يموت ولا يستحيى من سره لـو كشف ، قال الله تـعالى : ﴿فتـمنوا الموت إن كنتم صـادقين﴾ [البقرة:٩٤، والجمعة:٦].

وقيل: الصدق صحة التوحيد مع القصد.

وقيل: حقيقة الصدق أن تصدق فى موطن لا ينجيك منه إلا الكذب.

وقيل: ثلاثة لا تخطىء الصادق: الحلاوة، والهيبة، والملاحة.

وقال ذو النون رحمه الله تعالى: الصدق سيف الله فى أرضه ما وضع على شيء إلا قطعه.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى: أول جناية الصدّيقين حديثهم مع أنفسهم.

وسئل فـتح الموصلى رحمـه الله تعالى عن الصـدق، فأدخل يده فى كـانون الحداد وأخرج الحديد وهى تشتعل ناراً ووضعها على كفه حتى بردت وقال: هذا هو الصدق.

وسئل الحـارث المحاسبى عن علامـة الصدق، فقال: الصـادق هو الذى لا يبالى لو خرج كل قـدر له فى قلوب الخلق من أجل صلاح قلبـه، ولا يحب اطلاع الناس على مثـاقيـل الذر من حسن عـمله، ولا يكره أن يطلع الناس على السيئ من عمله، فـإن كراهته ذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم، وليس هذا من أخلاق الصدّيقين.

وقال بعضـهم : من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفـرض المؤقت ، قيل : ما الفرض الدائم؟ قال: الصدق.

وقيل: إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تنظر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة.

* * *

تم التحقيق والتعليق على يد الفقير إليه سبحانه وتعالى

أبى عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضه

غفر الله له ورحمه